

إقرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب السادس والعشرين من القرآن الكريم (سورة الرعد من آية ١٩ إلى الآية ٥٢ من سورة إبراهيم)

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هي نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه
حيثما ورد، وإن هذه الرسالة ككل، أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل درجة أو لقب علمي أو
بحثي لدى أية مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

DECLARATION

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the
researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any
other degree or qualification

Student's name:

اسم الطالبة: نسمة نافذ الغولة

Signature:

التوقيع:

Date:

التاريخ: ٢٠١٥/٣/٣٠ م



نتيجة الحكم على أطروحة ماجستير

بناءً على موافقة شئون البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحثة/ نسمة نافذ أسعد الغولة لنيل درجة الماجستير في كلية أصول الدين / قسم التفسير وعلوم القرآن وموضوعها:

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب السادس والعشرين من القرآن الكريم
(سورة الرعد من آية 19 إلى الآية 52 من سورة إبراهيم)

وبعد المناقشة العلنية التي تمت اليوم السبت 23 جمادى الأولى 1436هـ، الموافق 2015/03/14م الساعة الحادية عشرة صباحاً بمبنى اللحيان، اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

.....	مشرفاً ورئيساً	د. وليد محمد العامودي
.....	مناقشاً داخلياً	د. زهدي محمد أبو نعمة
.....	مناقشاً داخلياً	د. محمود هاشم عنبر

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحثة درجة الماجستير في كلية أصول الدين / قسم التفسير وعلوم القرآن.

واللجنة إذ تمنحها هذه الدرجة فإنها توصيها بتقوى الله ويزوم طاعته وأن تسخر علمها في خدمة دينها ووطنها.

والله ولي التوفيق ،،،

مساعد نائب الرئيس للبحث العلمي والدراسات العليا

.....
أ.د. فؤاد علي العاجز



الجامعة الإسلامية بغزة
عمادة الدراسات العليا
كلية أصول الدين
قسم التفسير وعلوم القرآن

الدراسة التحليلية

**لمقاصد وأهداف الحزب السادس والعشرين من القرآن الكريم
(سورة الرعد من آية ١٩ إلى الآية ٥٢ من سورة إبراهيم)**

The analytical study

The Purposes And Objective of The Party And The Twenty-Sixth of The Quran

(Surat Alrad verses: 19-to verses 52 in Surat Ibrahim)

إعداد الطالبة

نسمة نافذ الغولة

إشراف الدكتور

وليد محمد العامودي

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾

سورة التوبة آية (١٠٥)

صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ



أهدي هذه الرسالة :

- ◀ إلى خير من وطأت قدماه الثرى خير البرية وسيد البشرية محمد النبي الأمي عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.
- ◀ إلى سر الوجود النبع الصافي أمي التي ضمتني بأحشائها تسعة أشهر فضممتها في قلبي العمر كله .. من كان دعاؤها سر نجاحي وحضنها بلسم لجراحي..
- ◀ إلى من أفى عمره لأجل سعادتي الذي ما تتوجت عرش جمال إلا وكان أول من أعده لي بدريي والدي الغالي.
- ◀ إلى من توشحت الحياة بعطر وجودهم الكواكب العشرة إلى من حملوا حقائب الأمل وساروا معي الدروب خطوات وخطوات وخاضوا لأجلي الصعاب إخوتي وأخواتي.
- ◀ إلى من أتقوى بوجودهم وأفتخر بحضورهم وتكتمل هويتي بهم جدي الغالي أخوالي خالتي أعمامي عماتي أقاربي..
- ◀ إلى أخواتي اللواتي لم تلهن أمي من تحلو بالمؤاخاة وتميزوا بالوفاء والعطاء الزهرات اللواتي أستنشق رحيقهن لأهتدي خطاي من برفقتهن تمضي الحياة بطلوها ومرها وأخص بالذكر صابرين عبد الله وأيام خلة وباسمين جابر.
- ◀ إلى من تفضل علي بالكثير سعادة الدكتور ناصر السعدي ومن وفى بعهده لأجلي الدكتور جمال ناجي الخضري، إلى قدوتي الأستاذة المبجلة منال العشي، إلى الروح المباركة التي ترشقني في كل رمشة عين الطاهرة بثينة الدجني، إلى معلمي ومعلماتي في كافة سني دراستي لكل من عرفني وأحبني، إلى العلماء الأفاضل، إلى كل طالب علم يبتغي مرضاة الله، إلى كل غيور على دينه ووطنه من القادة العظماء، إلى السائرين بقلوبهم في طريق الإسلام إلى كل شهيد نعيش على ومضات جهاده، وكل جريح رافع الهامة صابر، وكل أسير ينتظر الفرج خلف قضبانه ..
- ◀ إلى كل مجاهد رافع لراية الإسلام.

أهدي هذا العمل..

شكر وتقدير

الحمد لله الذي بفضله تدوم النعم، الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، الحمد لله الذي أسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة، سبحانه أحق من يذكر ويحمد ويشكر، والصلاة والسلام على النبي الأمي الذي علم المتعلمين وأنار دروب الحائرين الصادق الوعد الأمين، ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين أما بعد...

اعترافاً لأهل الفضل بفضلهم وأهل الإحسان بجودهم فإنني أتقدم بالشكر الجزيل لأستاذي فضيلة الدكتور/ وليد محمد العامودي الذي لم يأل جهداً في نصحي وإرشادي وما بخل علي في وقت أو جهد، فكان نعم الأب والصاحب بالدرب، وكان خير امتثال لصحابة المصطفى المعلمين الأبرار حفظه الله.

كما أتقدم بالشكر الجزيل لعضوي لجنة المناقشة كل من:

الدكتور الفاضل/ زهدي محمد أبو نعمة حفظه الله

والدكتور الفاضل/ محمود هاشم عنبر حفظه الله

لتفضلهما بقراءة هذه الرسالة متابعة وتقريراً لتخرج بإذن الله بأفضل ما تكون عليه من أبحاث سابقة وهي التي سوف يؤخذ بها بعين الاعتبار.

والشكر كل الشكر لجامعتي الغراء، تلك الصرح العلمي الشامخ تلك المنارة التي نرتقي بها وترتقي بحبنا وإصرارنا على البقاء ... جامعتنا المعطاءة، مخرجة العلم والعلماء، والشكر لكل من تطأ أقدامه هذه الجامعة وعلى وجه الخصوص، كما أتقدم بالشكر للأقمار المضيئة التي كانت الشعاع الذي ما سرت إلا اقتفاء لأثره.

والشكر موصول لأساتذتي الذين نهلت من علمهم وتتلذت على يديهم خيرة أيام عمري كما أتقدم بشكري لعمادة الدراسات العليا في الجامعة الإسلامية لجهودهم المباركة ولمتابرتهم في توفير اللازم لراحتي وراحة طلاب العلم..

كذلك أنثر كل معاني الشكر لمن كانت بصمات جهودهم ماثلة في كل لحظة من لحظات دراستي أساتذتي في قسم التقنيات المساعدة تلك اليد المشتعلة دائماً بنور

الهداية العين المبصرة المهندس حازم محمد شحادة، والأستاذ بهاء محمد سرحان
والأستاذ نائل ناصر السوافيري حفظهم الله، كما أتقدم بعظيم الشكر لأهلي الذين
علموني الشكر قبل كل شيء فلهم الشكر الوافر العظيم من كان لهم الدور البارز
لتشجيعي وتوفير الجو المناسب لي في دراستي ...

ولا أنسى أن أتقدم بجزيل الشكر لمن على خطى أنفاسه أسير لمن ارتشفت من
عطائه العطاء وجاد علي بكل غالي شيخي وأستاذي فضيلة الدكتور: حازم السراج،
والشكر موصول لكل من خطت أنامله وعبرت نظراته لأجلي لكل من جاد وقدم وما
بخل علي بنصح وإرشاد خلال دراستي وكتابتي للبحث.

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً، والصلاة والسلام على من أرسله الله هادياً ومبشراً ونذيراً، سيدنا محمد صلاةً وسلاماً متلازمين أبداً إلى يوم الدين، وبعد ، فإن علم التفسير يعدُّ من أجل العلوم، وأعظمها، وأرفعها منزلةً، وأعلاها درجةً، لتعلُّقه بكلام الله ﷻ، الذي يمثل دستوراً إلهياً لهذه الأمة جميعها، ويعدُّ سبيلاً للهداية، وطريقاً للسلامة من الضلال والغواية.

والم تأمل والمتدبر لآيات القرآن الكريم يجد بين آياته وحروف كلماته الإعجاز من المعاني الرائعة، والحكم البليغة والتشريعات السماوية، سواء اهتدينا أم لم نهتد لها، وكل آية منه تشتمل على كمٍّ وافٍ من المقاصد والأهداف، التي إن ظهرت كانت علاجاً شافياً وسبباً ناجحاً في تشخيص المشاكل والمصاعب والخطوب، ومن فضل الله تعالى أن جعل القرآن كتاب هداية وإعجاز من حيث ألفاظه ومعانيه، ليعجز البشر عن الإتيان بمثله.

ولقد منَّ الله عليَّ بحوله الكريم بالانتماء لهذه الجامعة المباركة، التي أقرت سلسلة لبيان مقاصد وأهداف أحزاب القرآن الكريم، والتي كان نصيبي منها:

أهداف ومقاصد الحزب السادس والعشرين (سورة الرعد من الآية ١٩ حتى الآية ٥٢ من سورة إبراهيم).

أولاً: أسباب اختيار موضوع البحث:

- ١- ابتغاء مرضاة الله تعالى وخدمة كتابه الكريم.
- ٢- إبراز مقاصد وأهداف آيات الدراسة في كون القرآن الكريم كتاب هداية وإرشاد للبشرية جمعاء.
- ٣- إثراء المكتبة الإسلامية بدراسات خاصة بأهداف القرآن الكريم.
- ٤- إبراز مقاصد وأهداف ما تناولته سورتنا الرعد وإبراهيم من موضوعات متنوعة، وربط هذه الموضوعات بالواقع المعاش.
- ٥- تشجيع أساتذتي في قسم التفسير وعلوم القرآن للكتابة في هذه السلسلة.

ثانياً: أهمية موضوع البحث:

- ١- موضوع علم التفسير من أشرف العلوم، وأعظمها لتعلقها بأشرف الكتب، القرآن العظيم.
- ٢- إبراز أهداف ومقاصد سورة الرعد من آية ١٩ إلى آية ٥٢ من سورة إبراهيم .

ثالثاً: أهداف البحث:

- ١- ابتغاء مرضاة الله، والأجر منه ﷻ، جُلُّ ما أتمنى من إنجاز هذا البحث.
- ٢- تفسير وتحليل الآيات المتعلقة بكل مقصدٍ وهدفٍ، وربطها مع المحور الأساسي للسورة.
- ٣- بيان مقاصد وأهداف سورة الرعد من الآية ١٩ إلى الآية ٥٢ من سورة إبراهيم.
- ٤- مشاركة طلاب وطالبات الماجستير في قسم التفسير وعلوم القرآن في إتمام هذه السلسلة المباركة.
- ٥- إيجاد حلول مناسبة للمشاكل التي تعاني منها الأمة الإسلامية، وذلك من خلال استنباط مقاصد وأهداف هذا الحزب.

رابعاً: الدراسات السابقة:

- بعد البحث في المكتبة المركزية في الجامعة الإسلامية، والبحث في شبكة الإنترنت لم أجد رسالة ماجستير تناولت هذا الموضوع .
- كما أن هذا الموضوع هو حلقة في سلسلة لمشروع بيان مقاصد وأهداف القرآن الكريم، وكان نصيبي من هذا المشروع مقاصد وأهداف سورة الرعد من الآية ١٩ حتى الآية ٥٢ من سورة إبراهيم.

خامساً: منهجية الباحثة:

- ١- اتخذت طريق المنهج الموضوعي في البحث، واستخدمت المنهج الوصفي التحليلي في تحليل مقاصد وأهداف الآيات.
- ٢- ذكرت مدخلاً لسورتي الرعد وإبراهيم مبينة فيه أسماء السورة، وفضلها وترتيبها، وعدد آياتها، ومحورها الرئيس، ومناسبتها لما قبلها وما بعدها.
- ٣- قسمت الآيات إلى مقاطع، حسب مقاصد وأهداف كل مقطع، وربطها بالمحور الأساسي للسورة وذلك بالرجوع إلى أمهات كتب التفسير، وبعض الكتب المعاصرة في دراسة وتحليل مقاصد وأهداف الآيات التي تناولتها في الدراسة.

- ٤- قمت بربط مدلول الآيات بالموضوعات، والمشكلات الواقعية، واستنباط حلول قدر الإمكان.
- ٥- قمت بتفسير الآيات تفسيراً إجمالياً وبيان وجوه البلاغة، وأسباب النزول، والمناسبات.
- ٦- عزوت الآيات المستشهد بها إلى سورها بذكر اسم السورة ورقم الآية، وذلك في المتن.
- ٧- استشهدت بالأحاديث التي تخدم البحث، وتخرجها وبيان حكم العلماء عليها .
- ٨- الرجوع إلى معاجم اللغة، لتوضيح وبيان الألفاظ الغريبة.
- ٩- الرجوع إلى كتب السير والأعلام، لترجمة أسماء الأعلام الواردين في البحث.
- ١٠- خدمت البحث بالفهارس اللازمة وهي:

- فهرس الآيات القرآنية.
- فهرس الأحاديث النبوية الشريفة.
- فهرس الأعلام المترجم لهم.
- فهرس المحتويات.

سادساً : خطة البحث :

المقدمة: وتشتمل على العناصر الآتية:

- ١- أسباب اختيار موضوع البحث.
- ٢- أهمية موضوع البحث.
- ٣- أهداف البحث.
- ٤- الدراسات السابقة.
- ٥- منهجية الباحثة.
- ٦- خطة البحث.

التمهيد

مدخل إلى سورتي الرعد وإبراهيم :

أولاً : مدخل إلى سورة الرعد:

- ١- اسم السورة وعدد آياتها .
- ٢- مكان وزمان نزول السورة.
- ٣- فضل السورة وجو نزولها.
- ٤- المحور الأساس للسورة.

٥- الأهداف العامة للسورة.

ثانياً: مدخل إلى سورة إبراهيم:

١- اسم السورة وعدد آياتها.

٢- مكان وزمان نزول السورة .

٣- فضل السورة وجو نزولها.

٤- المحور الأساس للسورة .

٥- الأهداف العامة للسورة.

ثالثاً: التعريف بالدراسة التحليلية لأهداف ومقاصد السورة:

١- التعريف بالدراسة التحليلية لغة واصطلاحاً .

٢- التعريف بالأهداف لغة واصطلاحاً.

٣- التعريف بالمقاصد لغة واصطلاحاً.

٤- الفرق بين الأهداف والمقاصد.

٥- الأسس التي تقوم عليها المقاصد.

الفصل الأول

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الرعد من الآية (١٩ إلى ٤٣)

المبحث الأول: الدراسة التحليلية لأهداف ومقاصد سورة الرعد من الآية (١٩ - ٢٧).

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول : صفات المؤمنين وجزاؤهم .

المطلب الثاني: بعض صفات الكافرين وجزاؤهم.

المطلب الثالث: سعة الرزق وتقتيره والهداية والضلال بيد الله.

المبحث الثاني : الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الرعد من الآية (٢٨ إلى ٣٤).

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول : للرسول تسليية في تكذيب الأقسام لرسولهم.

المطلب الثاني: مدح الله للقرآن وتفضيله علي سائر الكتب.

المطلب الثالث: عقاب من استهزأ بالرسول وصد عن سبيل الله.

المبحث الثالث : الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الرعد من الآية (٣٥ إلى ٣٩).

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: وصف الجنة ونعيمها.

المطلب الثاني : خلاف أهل الكتاب في قبول ما أرسل للنبي من القرآن.

المطلب الثالث: حال النبي ﷺ كسابقه من المرسلين.

المطلب الرابع: إنزال القرآن حكماً عربياً شرفاً وتفضيلاً لرسول الله ﷺ.

المطلب الخامس : يحو الله ما يشاء ويثبت.

المبحث الرابع : الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الرعد من الآية (٤٠ إلى ٤٣).

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : البلاغ على الرسول والحساب على الله.

المطلب الثاني : قدرة الله في خراب القرى الظالمة.

المطلب الثالث: رد كيد الكافرين والعاقبة للمنتقين.

المطلب الرابع: إنكار الكافرين لرسالة النبي ﷺ وشهادة الله له بها.

الفصل الثاني

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة إبراهيم

المبحث الأول : الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة إبراهيم من الآية (١ إلى ٨).

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: القرآن الكريم يخرج الناس من الظلمات إلى النور.

المطلب الثاني: توعدهم الكفار الصادين عن سبيل الله.

المطلب الثالث : إرسال الله الأنبياء لهداية الناس.

المطلب الرابع: من نعم الله على بني إسرائيل.

المطلب الخامس: جزاء من شكر النعمة وعقوبة من جحدها.

المبحث الثاني : الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة إبراهيم من الآية (٩ إلى ١٧).
وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: كفر ومجادلة الأقوام للأنبياء.

المطلب الثاني: توكل الأنبياء على الله وصبرهم على إيذاء أقوامهم.

المطلب الثالث: بشرى هلاك الظالمين وعودة الأرض إلى أصحابها المؤمنين.

المطلب الرابع: صور من عقاب المجرمين في الآخرة.

المبحث الثالث : الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة إبراهيم من آية (١٨ إلى ٢٢).
وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول: ضرب المثل لأعمال الكفار بالرماد.

المطلب الثاني : ضرب المثل في خلق السموات والأرض بأنها أكبر من خلق النار.

المطلب الثالث: حوار بين الضعفاء والسادة يوم القيامة.

المطلب الرابع: خطبة الشيطان لأوليائه والتخلي عنهم.

المبحث الرابع: الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة إبراهيم من (٢٣ إلى ٣٤).
وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: صدق وعد الله للمؤمنين بالجنة .

المطلب الثاني : ضرب الله المثل للكلمة الطيبة والكلمة الخبيثة.

المطلب الثالث: تثبيت الله للمؤمنين بالقول الثابت في الدنيا والآخرة.

المطلب الرابع: التعجب للمبدلين نعمة الله كفوراً.

المطلب الخامس: أمر الله لعباده المؤمنين بالصلاة والنفاق.

المطلب السادس: مظاهر نعمة الله الدالة على وحدانيته.

المبحث الخامس: الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة إبراهيم من الآية (٣٥ إلى ٤٦).
وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: دعاء إبراهيم لأهله وأهل مكة بالخير.

المطلب الثاني : حمد إبراهيم لربه على رزقه الولد بعد كبر.

المطلب الثالث: دعاء إبراهيم له ولولده وللمؤمنين.

المطلب الرابع: إمهال الله للظالمين.

المطلب الخامس : موقف الظالمين يوم إتيان العذاب.

المطلب السادس: صفات الظالمين.

المبحث السادس: الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة إبراهيم من الآية (٤٧ إلى ٥٢).

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول : نصره الله لرسوله في الحياة الدنيا والآخرة.

المطلب الثاني : وصف عذاب المجرمين يوم القيامة.

المطلب الثالث : القرآن بلاغ لجميع الخلق من إنس وجن.

الخاتمة : وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات.

الفهارس العامة: وتشتمل على الفهارس التالية:

أولاً: فهرس الآيات القرآنية.

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية.

ثالثاً: فهرس الأعلام المترجم لهم.

رابعاً: فهرس المصادر والمراجع.

خامساً: فهرس الموضوعات.

التمهيد

مدخل إلى سورتي الرعد وإبراهيم

أولاً: مدخل إلى سورة الرعد

ثانياً: مدخل إلى سورة إبراهيم

ثالثاً: التعريف بالدراسة التحليلية لأهداف ومقاصد السورة.

التمهيد

مدخل إلى سورتي الرعد وإبراهيم

أولاً: مدخل إلى سورة الرعد:

١ - اسم السورة وعدد آياتها:

تسمى هذه السورة باسم هذه الظاهرة الكونية التي ورد ذكرها في السورة، وهي: الرعد، وقد ورد ذكر الرعد في القرآن الكريم: مرتين.

الأولى : في سورة البقرة، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾ [البقرة: ١٩].

الثانية : في سورة الرعد، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ﴾ [الرعد: ١٣]^(١).

ولعل سر تسمية هذه السورة بما ورد في هذه الآية: هو بيانها كمال قدرة الله تعالى، ولفت الأنظار إلى هذا الأمر البديع العجيب، وهو تسبيح الرعد بحمد الله تعالى، عن طريق صوته المزعج المخيف القارع، المنذر بغضب الله تعالى، المذكر بعذابه.

وعدد آياتها: (٤٣) ثلاث وأربعون آية.

وكلماتها : (٨٦٥) ثمانمائة وخمس وستون كلمة.

وحرروفها : (٦٤٣٤) ستة آلاف وأربعمائة وأربعة وثلاثون حرفاً^(٢).

أما ترتيب السورة في المصحف فإنها بعد سورة "يوسف"، وقبل سورة "إبراهيم".

وفى النزول بعد : سورة "محمد"، وقبل سورة "الرحمن" و ترتيبها الثالث عشرة^(٣).

٢ - مكان وزمان نزول السورة:

اختلف حول مكية هذه السورة ومدنيتها على أقوال:

(١) انظر: التحرير والتنوير: ابن عاشور (٧٥/١٣).

(٢) انظر: تفسير لباب التأويل: الخازن (٣/٣).

(٣) انظر: تفسير المراغي: للشيخ المراغي (٦٠/١٣).

الأول: ذهب بعضهم إلى أن السورة مكية، وهذا قول ابن عباس -رضي الله عنهما- ومجاهد^(١) وسعيد بن جبير^(٢) وعطاء^(٣) (٣) (٤)، ويؤكد ذلك قول سيد قطب رحمه الله: "إن افتتاح السورة، وطبيعة الموضوعات التي تعالجها، وكثيراً من التوجيهات فيها... كل ذلك يدل دلالة واضحة على أن السورة مكية، وليست مدنية، كما جاء في بعض الروايات والمصاحف، وأنها نزلت في فترة اشتد فيها الإعراض والتكذيب والتحدي من المشركين"^(٥).

الثاني: إنها مدنية، كما نُقل عن ابن عباس -رضي الله عنهما- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَغَيْرِهِ مِنَ التَّابِعِينَ إِلَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ [الرعد: ٣١]، فقالوا: إنها مكية^(٦)، وقال النسفي: هي مدنية، ولم يستثن شيئاً وهي ثلاث وأربعون آية كوفي وخمس وأربعون آية شامي^(٧).

الثالث: ويجمع بين الاختلاف ما رواه السيوطي وغيره بأنها مكية إلا آيات منها نزلت بالمدينة،

يعني قول الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾ [الرعد: ١٢]، إلى قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ

(١) مجاهد: مُجَاهِدُ بْنُ جَبْرِ' (٢١-١٠٤ هـ - ٦٤٢-٧٢٢م) مولى السائب بن أبي السائب المخزومي القرشي. ويعرف اختصاراً في المصادر والكتب التراثية بمجاهد. وهو إمامٌ وفقيه وعالمٌ ثقة وكثير الحديث، وكان بارعاً في تفسير وقراءة القرآن الكريم والحديث النبوي، روى مجاهد الكثير عن ابن عباس، كما عرض عليه القرآن ثلاث مرات، انظر: الطبقات الكبرى: لابن سعد.

(٢) سعيد بن جبير ابن هشام، الإمام الحافظ المقرئ المفسر الشهيد، أبو محمد، ويقال: أبو عبد الله الأسدي الوالبي، مولاهم الكوفي، روى عن ابن عباس فأكثر وجود، وعن عبد الله بن مغفل، وعائشة، وروى عن التابعين، مثل أبي عبد الرحمن السلمي وكان من كبار العلماء، انظر: سير أعلام النبلاء: للذهبي (١٧٨/٥).

(٣) عطاء: الإمام الحافظ الفقيه المفسر، مفتي أهل مكة ومحدثهم أبو محمد عطاء بن أبي رباح المكي، روى عن أبي هريرة، وابن عباس، وجابر، وابن الزبير، وأبي سعيد الخدري، وعائشة، رضي الله عنهم.

روى عنه الجم الغفير والعدد الكثير منهم عمرو بن دينار، وقتادة، والحكم بن عتيبة، وأيوب السختياني، وابن جريج، والليث بن سعد، انظر: تهذيب الكمال: للمزي (١٦٦/٥).

(٤) انظر: البيان في عد آي القرآن: أبو عمرو الداني (١٦٩/١).

(٥) في ظلال القرآن: سيد قطب (٢٠٦٦/٤).

(٦) انظر: التحرير والتنوير (٧٥/١٣).

(٧) انظر: تفسير مدارك التنزيل وحقائق التأويل: للنسفي (١٤١/٢).

كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴿الرعد: ٤٣﴾^(١)، وهو

الراجح عندي.

٣- فضل السورة:

جاء في فضل هذه السورة: "أنه كان يستحب إذا حضر الميت: أن يُقرأ عنده سورة الرعد؛ فإن ذلك يخفف عن الميت، وأنه أهون لقبضه، وأيسر لشأنه"^(٢).

٤- المحور الأساسي للسورة:

أ- بدأت السورة بإقامة الأدلة على وجود الله تعالى ووحدانيته، من خلق السموات والأرض، والشمس والقمر، والليل والنهار، والجبال والأنهار، والزروع والثمار المختلفة الطعوم، والروائح والألوان، وأن الله تعالى منفرد بالخلق والإيجاد، والإحياء والإماتة، والنعف والضر.

ب- إثبات البعث والجزاء في عالم القيامة، وتقرير إيقاع العذاب بالكفار في الدنيا.

ت- الإخبار عن وجود ملائكة تحفظ الإنسان، وتحرسه بأمر الله تعالى.

ث- إيراد الأمثال للحق والباطل، ولمن يعبد الله وحده، ولمن يعبد الأصنام، بالسيل والزبد الذي لا فائدة فيه، وبالمعدن المذاب، فيبقى النقي الصافي، ويطرح الخبث الذي يطفو.

ج- تشبيه حال المتقين أهل السعادة الصابرين المقيمي الصلاة بالبصير، وحال العصاة الذين ينقضون العهد والميثاق، ويفسدون في الأرض بالأعمى.

ح- البشارة بجنان عدن للمتقين، والإنذار بالنار لناقضي العهد المفسدين في الأرض.

خ- "بيان مهمة الرسول، وهي الدعوة إلى عبادة الله وحده، وعدم الشرك به، وتحذيره من مجاملة المشركين في دعوتهم"^(٣).

د- الرسل بشر كغيرهم من الناس، لهم أزواج وذرية، وليست المعجزات رهن مشيئتهم، وإنما هي بإذن الله تعالى، ومهمتهم مقصورة على التبليغ، أما الجزاء فإلى الله تعالى.

ذ- إثبات ظاهرة التغيير في الدنيا، مع ثبوت الأصل العام لمقادير الخلائق في اللوح المحفوظ.

(١) انظر: التحرير والتنوير: لابن عاشور (٧٥/١٣).

(٢) أخرجه أبي شيبة في مصنفه، كتاب الجنائز (١٢٤/٣) باب (ما يقال عند المريض إذا حضر) بصيغة (أنه كان يقرأ عند الميت سورة الرعد) وهو حديث مرسل.

(٣) التفسير المنير: الزحيلي (٩٨/١٣).

- ر - الإعلام بأن الأرض ليست كاملة التكوير، وإنما هي بيضاوية ناقصة في أحد جوانبها: (أولم يروا أنا نأتى الأرض ننقصها من أطرافها).
- ز - إحباط مكر الكافرين بأنبيائهم في كل زمان.
- س- ختمت السورة بشهادة الله لرسوله ﷺ بالنبوة والرسالة، وكذا شهادة المؤمنين من أهل الكتاب بوجود أمارات النبي ﷺ في كتبهم، وكان في السورة بيان مدى فرح هؤلاء بما ينزل من القرآن مصدقاً لما عرفوه من الكتب الإلهية^(١).

٥- الأهداف العامة للسورة:

سورة الرعد مكية، تهدف إلى ترسيخ أصول العقيدة، وذلك من خلال:

- أ- الإيمان بالله تعالى وتوحيده.
- ب- الإيمان بالرسول مع بيان مهمتهم.
- ت- الإيمان بالملائكة مع الإشارة إلى بعض وظائفهم.
- ث- الإيمان بالقرآن الكريم وأنه موحى به.
- ج- الإيمان باليوم الآخر وما فيه نعيم وعذاب.
- ح- الإيمان بالقضاء والقدر^(٢).

ثانياً: مدخل إلى سورة إبراهيم:

١- اسم السورة وعدد آياتها:

سميت سورة إبراهيم، لما فيها من قصص إبراهيم وولديه إسماعيل وإسحاق عليهم السلام، وسكن إسماعيل وذريته بجوار بيت الله المحرم^(٣)، ولكن لم يتخذ شخص إبراهيم ﷺ محور السورة، كما كان الشأن في سورة يوسف ﷺ، ويقول ابن عاشور: "أضيفت هذه السورة إلى اسم إبراهيم ﷺ فكان ذلك اسماً لها لا يعرف لها غيره ولم أقف على إطلاق هذا الاسم عليها في كلام النبي ﷺ، ولا في كلام أصحابه في خبر مقبول^(٤)، ويحتمل أن يكون السبب تخليداً لمآثر أبي الأنبياء

(١) انظر: التفسير المنير: الزحيلي (١٣/٩٧).

(٢) انظر: في ظلال القرآن: سيد قطب (٤/٢٠٣٩).

(٣) انظر: التفسير المنير: للزحيلي (١٣/١٩٧).

(٤) التحرير والتنوير: لابن عاشور (١٣/١٧٧).

وإمام الحنفاء إبراهيم عليه السلام الذي حطم الأصنام ورفع راية التوحيد، وقد عدت السبعين في ترتيب السور في النزول وعدد آياتها أربع وخمسون عند المدنيين وخمسون عند أهل الشام، وإحدى وخمسون عند أهل البصرة، واثنان وخمسون عند أهل الكوفة^(١)، وثمانمائة وإحدى وستون كلمة، وثلاثة آلاف وأربعمائة وأربعة وثلاثون حرفاً^(٢).

٢- مكان وزمان نزول السورة:

هي مكة كلها عند الجمهور، وعن قتادة إلا آيتين: قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا﴾ إلى قوله: ﴿وَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾ [إبراهيم: ٢٧-٢٨]، وقيل: إلى قوله: ﴿فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾ [إبراهيم: ٣٠]^(٣).

نزلت هذه السورة بعد سورة نوح^(٤)، وقيل: نزلت هذه السورة بعد سورة الشورى وقبل سورة الأنبياء^(٥).

٣- الأهداف العامة للسورة:

إن الهدف العام للسورة هو التحدث عن نعمة الإيمان، ونقمة الكفر، حيث تتحدث السورة عن مواجهة الرسل مع أقوامهم الراضين لدعوتهم، وتركز السورة على أن أهم أو أفضل نعمة على الإطلاق هي نعمة الإيمان، وأسوأ نقمة هي الكفر، وليس كما يتخيل البعض بأن النعم هي نعم الدنيا المادية، ويتعلقون بها، ويحرصون على كسبها، والتنعيم بها على حساب الآخرة، وتتحدث السورة أيضاً عن خطبة إبليس في جهنم، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٢٢].

(١) انظر: التحرير والتنوير (١٣ / ١٧٧).

(٢) انظر: لباب التأويل في معاني التنزيل: الخازن (٢٧/٣).

(٣) انظر: تفسير البغوي (٢٩/٣).

(٤) انظر: تفسير الكشاف: الزمخشري (٥٣٧/٢).

(٥) انظر: التحرير والتنوير: ابن عاشور (١٧٧/١٣).

وكيف يتبرأ ممن أغواهم، ثم تنتقل السورة إلى أعظم نعمة في الأرض، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ [إبراهيم: ٢٤]، وهذه الكلمة الطيبة هي كلمة التوحيد، وهي أفضل النعم لا النعم المادية من مال وبنين، مثلما يثمر شجر الدنيا بأطيب الثمار التي نأكلها، فإن التوحيد يثمر في الآخرة جنةً ونعيمًا خالدًا، أما الكفر فهو كالقلمة الخبيثة، أي: الشرك.

ثم تنتقل السورة إلى عرض نموذج سيدنا إبراهيم عليه السلام الذي عرف أن نعمة الله تعالى تتجلى في نعمة الإيمان، قَالَ تَعَالَى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ * رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾ [إبراهيم: ٣٩، ٤٠]؛ ولذا سميت السورة باسمه، لأنه خير نموذج لمن قدر النعمة.

ثم تختتم السورة (العشر آيات الأواخر) بإظهار خطورة الكفر، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهُ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِیَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ [إبراهيم: ٤٢] إلى نهاية السورة، وكأنما السورة عرضت لنموذجين: أحدهما عرف قدر نعمة الإيمان والتوحيد، والآخر كفر بالنعمة فكانت نقمة عليه، وهذا هو هدف السورة ومحورها الذي دارت حولها الآيات^(١).

٤ - المحاور الأساسية للسورة:

سورة إبراهيم هي سورة مكية، موضوعها الأساس هو ترسيخ أصول العقيدة، وذلك من خلال:

- أ- الوحي والرسالة والتوحيد والبعث والحساب والجزاء.
- ب- تضمنت السورة عدة حقائق رئيسه في العقيدة، ولكن حقيقتين كبيرتين تظللان جوهر السورة كلها، وهما الحقيقتان المتناسقتان مع ظل إبراهيم في جوهر السورة:
 - أولاهما- حقيقة وحدة الرسالة والرسول، ووحدة دعوتهم ووقفهم أمة واحدة في مواجهة الجاهلية المكذبة بدين الله، على اختلاف الأمكنة والأزمان.
 - ثانيهما- حقيقة نعمة الله على البشر، وزيادتها بالشكر، ومقابلة أكثر الناس لها بالجحود والكفران^(٢).

(١) انظر: التحرير والتنوير: ابن عاشور (١٣/١٧٧ - ١٧٩)، التفسير المنير: الزحيلي (١٣/١٩٨)، التفسير الوسيط: طنطاوي (٧/٥٠٥ - ٥٠٩).

(٢) انظر: في ظلال القرآن: سيد قطب (٤/٢٠٧٧)، التفسير الوسيط للقرآن الكريم: مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر (٥/٥١٥).

ثالثاً: التعريف بالدراسة التحليلية لأهداف ومقاصد السورة:

١- التعريف بالدراسة التحليلية لغة واصطلاحاً:

تعريف الدراسة لغة:

هي مصدر الفعل (دَرَسَ)، ودرس الكتاب ونحوه، أي: كرر قراءته، ليحفظه ويفهمه، ودرس العلم على فلان، أي: تلقاه عنه، وتلمذ على يديه، وقيل: درس تعني عفا، وأصل الدراسة الرياضة والتعهد للشيء^(١).

تعريف التحليلية لغة:

التحليلية نسبة إلى التحليل، فهو مأخوذ من الحل بمعنى: الفتح، ونقض المنعقد، وفكه، قال: ابن منظور: "وحل العقدة يحلها حلاً، وفتحها، ونقضها، فأنحلت"^(٢). والتحليلي: "عملية تقسيم الكل إلى أجزائه، ورد الشيء إلى عناصر"^(٣).

تعريف الدراسة التحليلية اصطلاحاً:

ترى الباحثة أنه يمكن تعريف الدراسة التحليلية اصطلاحاً بأنها: تفكيك الكلام على الآية لفظة لفظة، وتحليل الآية تحليلاً يفك ما صعب فهمه، والتعمق في أسرارها، للتوصل لغاياتها، ومعرفة المراد منها.

٢- التعريف بالأهداف لغة واصطلاحاً:

الهدف لغة:

الهاء والذال والفاء: أُصِيْلٌ يَدُلُّ عَلَى انْتِصَابٍ وَارْتِفَاعٍ.

والهَدَفُ كُلُّ شَيْءٍ عَظِيمٍ مَرْتَفِعٍ، وَلِذَلِكَ سَمِّيَ الرَّجُلُ الشَّخِصَ الجَافِي هَدَفًا^(٤)، وَالْهَدَفُ كُلُّ شَيْءٍ عَظِيمٍ مَرْتَفِعٍ؛ لِلدُّنُو مِنْكَ وَالاسْتِقْبَالَ لَكَ، وَالانْتِصَابُ: الْإِهْدَافُ وَالِدُنُو، أَهْدَفَ الْقَوْمَ، أَي: قَرَّبُوا، وَقَدْ اسْتَهْدَفَ، أَي: انْتَصَبَ، وَمَنْ ذَلِكَ أَخَذَ الْهَدَفَ؛ لِانْتِصَابِهِ لِمَنْ يَرْمِيهِ الْهَدَفَ كُلُّ بِنَاءٍ

(١) انظر: لسان العرب: ابن منظور (١٣٦٠/٢)، معجم اللغة العربية المعاصرة: أحمد مختار عبد الحميد عمر (٧٣٧/١).

(٢) لسان العرب (٩٧٦/٢).

(٣) معجم اللغة العربية المعاصرة: أحمد مختار (٥٥٠/١).

(٤) انظر: مقاييس اللغة: ابن فارس (٣٩/٦).

مرتفع مشرف، والصدف نحو من الهدف؛ والهدف ما رفع وبني من الأرض للنضال، والهدف: حيد مرتفع من الرمل، وقيل: هو كل شيء مرتفع كحيود الرمل المشرفة، والجمع أهداف، لا يكسر على غير ذلك^(١).

الهدف، محرّكة: كل مرتفع من بناء أو كثيب رمل أو جبل، والغرض، والرجل العظيم، والثقيل النؤوم، الوخم الذي لا خير فيه^(٢).

فالهدف مطلب وغرض يوجه إليه القصد، هدفه مساعدة المحتاجين، وأن يصبح عالماً طبيباً، أو لانتقادات خصوم^(٣).

أما اصطلاحاً:

فالأهداف "هي التي شرعت الأحكام؛ لتحقيقها، وأهداف الشارع: هي المصالح التي تعود إلى العباد في دنياهم وآخرتهم، سواء كان تحصيلها عن طريق جلب المصالح أو درء المفساد"^(٤)، ويدور المعنى اللغوي والاصطلاحي للهدف على معنى واحد مفاده: الغاية التي يُسعى إلى الوصول إليها وإلى تحقيقها، والغرض الذي يُراد إدراكه ونيله.

٣- التعريف بالمقاصد لغة واصطلاحاً:

أولاً: المقاصد لغة:

القصد: استقامة الطريق والاعتماد والأُم، قصده وله وإليه يقصده، قصد يقصد قصداً، فهو قاصد، وقوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ [النحل: ٩]؛ أي: على الله تبيين الطريق المستقيم والدعاء إليه بالحجج والبراهين الواضحة، ومنها جائز، أي: ومنها طريق غير قاصد، وطريق قاصد: سهل مستقيم، وسفر قاصد: سهل قريب، وسفراً قاصداً، أي: غير شاق، والقصد: العدل، وفي الحديث: (عليكم هدياً قاصداً)^(٥)، أي: طريقاً معتدلاً، والقصد: الاعتماد والأُم، قصده يقصده قصداً وقصد له وأقصدني إليه الأمر، وهو قصدك، وقصدك، أي: تجاهك، والقصد: إتيان الشيء وقصدت قصده: نحوته نحوه^(٦).

(١) انظر: لسان العرب: ابن منظور (٩-٣٤٦).

(٢) انظر: القاموس المحيط: الفيروز آبادي (ص: ٨٦١).

(٣) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة: أحمد عمر (٣/ ٢٣٣٤).

(٤) المقاصد العامة للشريعة: يوسف حامد العالم (٧٩).

(٥) مسند أحمد : حديث بريدة الأسلمي (٣٨ / ٦١) ح (٢٢٩٦٣) إسناده صحيح.

(٦) انظر: لسان العرب ابن منظور (٩-٣٤٦).

ثانياً: المقاصد اصطلاحاً:

"مقاصد الشريعة في اصطلاح العلماء: هي الغايات والأهداف والنتائج والمعاني التي أنتت بها الشريعة، وأثبتتها في الأحكام، وسعت إلى تحقيقها وإيجادها، والوصول إليها في كل زمان ومكان"^(١). وقيل: "هي المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع، أو معظمها، بحيث لا تختص ملاحظتها بالكون في نوع خاص من أحكام الشريعة"^(٢).

وقيل: تطلق "مقاصد الشريعة على الأهداف العامة التي تسعى الشريعة إلى تحقيقها في حياة الناس، وتطلق أيضاً على الأهداف الخاصة التي شرع لتحقيق كل منها حكم خاص"^(٣).

وبالنظر إلى التعريفات السابقة لمصطلح المقاصد: يتبين أن التعريف الأدق والأشمل هو التعريف الأول؛ إذ إنه لا يقتصر على علم من علوم الدين؛ إنما يشمل كل مقاصد الدين، والله أعلم.

٤- الفرق بين الأهداف والمقاصد

الأهداف تتميز عن المقاصد على النحو التالي:

- ١- أن الأهداف تكون قبل أي نتاج علمي؛ لأنها قد تتحقق ويمكن ألا تتحقق.
- ٢- يختلف تعريف الهدف تبعاً لنوعية ومستوى عموميته.
- ٣- الهدف الواحد ينقسم إلى عدة أهداف سلوكية تطبيقية.
- ٤- الأهداف العامة والخاصة لا بد من ربطها بالواقع التطبيقي للحياة قدر الإمكان.
- ٥- الأهداف الكبرى والعامة تهتم وتعتني في صياغة القيم والاتجاهات والتراث والآمال.^(٤)

٥- الأسس التي تقوم عليها المقاصد

أقسام المقاصد في الشريعة الإسلامية:

- المقاصد العامة:

هي تحقيق مصالح الخلق جميعاً في الدنيا والآخرة، ويتحقق هذا من خلال جملة أحكام الشريعة الإسلامية، ومنها: حفظ النظام، وجلب المصالح، ودرء المفسد، وإقامة المساواة بين

(١) انظر: رسالة ماجستير بعنوان: "أهداف ومقاصد وموضوعات سورة التوبة دراسة تحليلية" إعداد الطالب: حسن عبد الله الخطيب، إشراف د. عبد الكريم الدهشان، (ص: ٥٧).

(٢) نظرية المقاصد عند ابن عاشور (١١٥).

(٣) مقاصد الشريعة الإسلامية (ص: ١).

(٤) انظر: المرجع السابق نفسه: الصفحة نفسها.

الناس، وجعل الشريعة مهابة مطاعة نافذة، وجعل الأمة قوية مرهوبة الجانب مطمئنة البال^(١).

- المقاصد الخاصة:

هي الأهداف التي تسعى الشريعة إلى تحقيقها في مجال خاص من مجالات الحياة، كالنظام الاقتصادي، أو الأسري، أو السياسي... إلخ، وذلك عن طريق الأحكام التفصيلية التي شرعت لكل مجال على حدة، مثل: قصد التوثق في عقدة الرهن، وإقامة نظام المنزل والعائلة في عقدة النكاح، ودفع الضرر المستدام في مشروعية الطلاق^(٢)، ومعرفة المقاصد الخاصة أسهل بكثير من معرفة المقاصد العامة؛ وذلك أن المقاصد العامة تحتاج إلى استقراء عام، وتتبع غير يسير لنصوص الشرع وأحكامه قصد تقريرها وتثبيتها^(٣).

وقد ذكر ابن عاشور أن هذه المقاصد هي:

- مقاصد خاصة بالعائلة.

- مقاصد خاصة بالتصرفات المالية.

- مقاصد خاصة بالمعاملات المنعقدة على الأبدان - العمل والعمال.

- مقاصد خاصة بالقضاء والشهادة.

- مقاصد خاصة بالتبرعات.

- مقاصد خاصة بالعقوبات.^(٤)

- المقاصد الجزئية:

هي العلل و الحكم الجزئية المتعلقة بالأحكام الشرعية الفرعية، ومثالها: مقصد تحريم وطء الزوجة الحائض، والذي هو تجنب الأذى، ومقصد الأذان، والذي هو الإعلام والتنبيه والتجميع، ومقصد أفضلية الأضحية الذكر دون الأنثى، والمقصد هو إكثار وتقوية الثروة الحيوانية؛ لأن الأنثى مواطن التوالد والتناسل.

(١) انظر: مقاصد الشريعة: ابن عاشور (ص: ٥١)، نظرية المقاصد عند الامام الشاطبي (٦/١).

(٢) نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي: أحمد الريسوني (٨/١).

(٣) انظر: مقاصد الشريعة الإسلامية: محمد البيوي (ص: ٤١٤)، علم المقاصد الشرعية: نور الدين بن مختار الخادمي (١٩٣/١).

(٤) انظر: مقاصد الشريعة: ابن عاشور (ص: ١٥٥).

وتعرف المقاصد الجزئية" بعلل الأحكام وحكمها وأسرارها، وقد اهتم بها العلماء في القديم اهتماماً أكبر وأعمق من اهتمامهم بالمقاصد العامة أو المقاصد الخاصة"^(١).

ومصالح الناس من حيث الأهمية على ثلاث مراتب:

أ- الضروريات:

وهي ما لا يستغني الناس عن وجودها بأي حال من الأحوال، ويأتي على رأسها الكليات الخمس، وهي: حفظ الدين، وحفظ النفس، وحفظ العقل، وحفظ النسل، وحفظ المال.

ب- الحاجيات:

وهي ما يحتاج الناس إليه، لتحقيق مصالح هامة في حياتهم، يؤدي غيابها إلى المشقة واختلال النظام العام للحياة، دون زواله من أصوله، كما يظهر في تفصيلات أحكام البيوع والزواج وسائر المعاملات.

ج- التحسينيات:

وهي ما يتم بها اكتمال وتجميل أحوال الناس وتصرفاتهم، مثل: الاعتناء بجمال الملبس، وإعداد المأكل، وجميع محاسن العادات في سلوك الناس^(٢).

(١) مقاصد الشريعة الإسلامي (١/١٩٣).

(٢) انظر: الموافقات للشاطبي (٢/١٨).

الفصل الأول

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الرعد من الآية (١٩ إلى ٤٣)

المبحث الأول: الدراسة التحليلية لأهداف ومقاصد سورة
الرعد من الآية (١٩ - ٢٩).

المبحث الثاني: الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة
الرعد من الآية (٣٠ إلى ٣٤).

المبحث الثالث: الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة
الرعد من الآية (٣٥ إلى ٣٩).

المبحث الرابع: الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة
الرعد من الآية (٤٠ إلى ٤٣).

المبحث الأول

الدراسة التحليلية لأهداف ومقاصد سورة الرعد من الآية (١٩-٢٧).

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: صفات المؤمنين وجزاؤهم .

المطلب الثاني: بعض صفات الكافرين وجزاؤهم.

المطلب الثالث: سعة الرزق وتقديره والهداية والضلال بيد الله تعالى.

المبحث الأول

الدراسة التحليلية لأهداف ومقاصد سورة الرعد من الآية (١٩-٢٩).

واقع الحياة الدنيا وأحوال الناس فيها عجيب غريب، فمنهم أهل الحق والاستقامة، وهم السعداء بالفعل، ومنهم أهل الباطل والانحراف، وهم الأشقياء بالفعل، وكل امرئ بما كسب رهين، وبحسب ما يزرع كل إنسان يحصد في الدنيا والآخرة، فمن زرع نباتاً طيباً، استفاد من هو أفاد الآخرين، ومن زرع نباتاً خبيثاً، أضر نفسه وأضر الآخرين، ولا غرابة بعدئذ أن يجازى المحسنون على أعمالهم بجنان الخلد، ويجازى الأشرار والفجار بنيران الجحيم، وذلك هو مقتضى العدل^(١).

المطلب الأول

صفات المؤمنين وجزاؤهم

قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَنْذَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَّا لَيْبٌ﴾ [الرعد: ١٩]

بعد أن فرق الله ﷻ بين أهل العلم والعمل وبين ضدهم، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ﴾ [الرعد: ١٩]، ففهم ذلك وعمل به، كالأعمى الذي لا يعلم الحق ولا يعمل به فبينهما من الفرق الكبير كما بين السماء والأرض، فيجب على العبد أن يتذكر ويتفكر أي الفريقين أحسن حالاً وخير مآلاً فيؤثر طريقها ويسلك خلف فريقها، ولكن ما كل أحد يتذكر ما ينفع هو يضره فلا يتذكر إلا أصحاب العقول النيرة^(٢).

قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْعَيْثَ * وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ * وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ * جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ * سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٠-٢٤].

(١) انظر: التفسير الوسيط: الزحيلي (١١٦٣/٢).

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن: السعدي (ص: ٤١٦).

أولاً: المناسبة:

هذه الآية متعلقة بما قبلها، فهي تذكر الصفات الحميدة لأولي الألباب، فمن اتصف بهذه الصفات له سعادة الدنيا والآخرة^(١).

ثانياً: المعنى اللغوي:

(وَيَذَرُوكَ): يدفعون، يقال: درأته إذا دفعته^(٢).

(عُقْبَى الدَّارِ) أي: "عاقبتها المحمودة، أي الجنة"^(٣).

(عَدْنٍ): إقامة، يقال: عدن بالمكان إذا أقام فيه^(٤).

ثالثاً: التفسير الإجمالي:

بعد أن ضر بالله ﷻ الأمثال لمن اتبع الحق وسلك سبيلا لرشاد، ولمن أبقى الكفر وعاند، وسار في سبل الضلال، بين أن من جمع صفات الخير الآتية يكون ممن اتبعوا الحق، وملكوا نواحي الإيمان، وأقاموا أسسه، هم أولو الألباب من المؤمنين، الذين تحققوا من نبوة النبي ﷺ واعتقدوا أنما أنزل إليه هو الحق لا شيء غير الحق، وهؤلاء قد كتب الله ﷻ لهم حسن العقبى والسعادة في الدنيا والآخرة^(٥)، ويصفهم الله ﷻ بالعديد من الصفات، وهي:

١ - الوفاء بالعهد:

والمقصود الذين يوفون بما عقده على أنفسهم من الاعتراف بربوبية الله تعالى، وبالمواثيق بينهم وبين ربهم، وبينهم وبين العباد، وعهد الله: كلما قام الدليل على صحته من الأدلة العقلية والسمعية، والوفاء بالعهد أي جميع فروض الله، وهي أوامره ونواهيه التي وصانا بها ﷻ^(٦).

(١) انظر: التفسير المنير: الزحيلي (١٣ / ١٥٢)

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه: الزجاج (٣ / ١٤٧).

(٣) معجم وتفسير لغوى لكلمات القرآن: حسن عز الدين الجمل (٣ / ١٤٦).

(٤) معاني القرآن وإعرابه: الزجاج (٣ / ١٤٧).

(٥) انظر: التفسير المنير: الزحيلي (١٣ / ١٥٢).

(٦) انظر: تفسير المراغي: المراغي (١٣ / ٩٢).

والعهود أيضاً تشمل العهود التي عُقدت موثقة بيمين سواء أكانت نذوراً أم كانت عهوداً للناس، وثقها على نفسه بيمين الله تعالى، فالوفاء بها من الإيمان، في الحقوق والواجبات، والوفاء بالعهد من صفات المؤمنين، ومن خصال الإيمان؛ وذلك لأن الوفاء يقتضي أن تصدق النفس في ذاتها وأن تدرك ما يجب في حق النفس، ويشعر المرء بالمعادلة في الحياة بينه وبين الناس، يشعر بحقهم عليه كما يطالبهم بحقه عليهم، ولذا كان علامة من علامات الإيمان^(١).

٢- عدم نقض الميثاق:

ومن صفاتهم أيضاً أنهم لا يخلون بواجبات العهد والتزاماته التي التزموها، ولا ينقضون عهد الإيمان مع ربهم، ولا بالعقود التي يبرمونها مع الناس مثل: البيع والشراء وسائر المعاملات، حتى لا يكونوا كالمنافقين الذين من صفاتهم إذا عاهد أحدهم غدر، وإذا خاصم فجر، وإذا حدث كذب، وإذا ائتمن خان^(٢).

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان)^(٣)، وهنا تعميم بعد تخصيص؛ فقد ذكر ﷺ الوفاء بالعهد، وخص منها عدم نقض الميثاق.

قال قتادة^(٤) (إن الله ﷻ ذكر الوفاء بالعهد والميثاق في بضع وعشرين موضعاً في القرآن، عناية بأمره، واهتماماً بشأنه)^(٥).

٣- صلة الرحم ورعاية جميع الحقوق الواجبة لله وللعباد:

وهنا الذين يصلون كلما أمر الله ﷻ بصلته ونهى عن قطعه من حقوق الله ﷻ، ومنها مؤازرة النبي ﷺ ونصرته في الجهاد وعدم خذلانه، ومنها حقوق العباد من: الإحسان إلى الفقراء والمحتاجين، وبذل المعروف، ومنها صلة الرحم على المستوى الضيق والمستوى الواسع فقد وصفهم ﷻ بوصف يتعلق بالصلوات الاجتماعية التي على أساسها يقوم البناء الاجتماعي السليم

(١) انظر: زهرة التفاسير: أبو زهرة (٨/ ٣٩٣٠).

(٢) انظر: التفسير المنير: الزحيلي (١٣/ ١٥٣).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب: الإيمان، باب علامة المنافق، (١٦/١) (ح٣٣).

(٤) قتادة: هو الإمام الحافظ -قوة المفسرين والمحدثين، قتادة بن دعامة بن قنادة بن عزيز بن عمرو بن ربيعة ابن عمرو بن الحارث بن سدوس، و يقال: قتادة بن دعامة ابن عكابة بن عزيز بن كريم بن عمرو بن حارث ابن سدوس، أبو الخطاب السدوسي البصري، انظر: التاريخ الكبير: للبخاري (٧/ ١٨٥).

مولده سنة ٦٠ هـ، أو ٦١ هـ. وقيل: ولد أكمه.

(٥) التفسير الواضح: محمد محمود حجازي (٢/ ٢٢٧).

يبتدئ من الأسرة الذي يشمل القرابة جميعها قريبة كانت أم بعيدة، ويشمل المجتمع الصغير، ومجتمع المدينة، ثم الدولة، ثم المجتمع الإنساني^(١)

٤ - الخوف من الله:

أي يخافون الله ﷻ في كل عمل يعملونه، فلا يطغون، ولا يظلمون، ولا ينقصون الناس حقوقهم، فمن خشي الله ﷻ يتذكره في كل عمل يعمله في ذات نفسه، وفي أهله وبينه وبين الناس فيراقبون الله ﷻ في كبيرة وصغيرة^(٢).

والخشية: خوف مقرون بالتعظيم والعلم بمن يخشاه المرء؛ لذا خص الله ﷻ العلماء بالخشية، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: ٢٨]^(٣).

٥ - الخوف من العذاب:

وهم الذين يحذرون سوء الحساب بيوم القيامة، ويخافون المناقشة في الحساب؛ لأن من نوقش الحساب عُدب، وخوف الحساب يتضمن الإيمان بالبعث والنشور، ولقاء الله تعالى يوم القيامة أولاً، وأنه سيحاسب على ما كان في الدنيا ثانياً، ويحاسبون أنفسهم قبل أن يحاسبوا؛ لأن الحساب يشمل كل صغير وكبير، ومن خاف الحساب أقبل على الطاعة، وتجنب المعصية.

ويلاحظ أن الوصف الرابع إشارة إلى الخشية من الله ﷻ، وهذا يقتضي خوف الجلال والمهابة والعظمة، وهذا الوصف إشارة إلى الخوف من سوء الحساب وسوء العاقبة^(٤).

٦ - الصبر:

والصبر أنواع، صبر على الطاعة وصبر عن المعصية، وصبرٌ حالٌ وقوع البلاء، فمن فعل الطاعات وامتنع عن المعاصي والسيئات، ورضي بالقضاء والقدر عند التعرض للمصائب، وكان صبرهم بقصد مرضاة الله ﷻ ونيل ثوابه، لا رياء وسمعة فهم أصحاب الأجر العظيم.

(١) انظر: زهرة التفاسير: أبو زهرة (٨/ ٣٩٣١).

(٢) انظر: المرجع السابق.

(٣) انظر: التفسير المنير: الزحيلي (١٣/ ١٥٣).

(٤) انظر: المرجع السابق (١٣/ ١٥٤).

ولقد فسّر ابن كثير الصبر، في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ [الرعد: ٢٢]، بقوله: "الصبر عن المحارم والمآثم، فقطعوا أنفسهم عنها لله ﷻ ابتغاء مرضاته وجزيل ثوابه" (١).

٧- إقامة الصلاة:

والذين أقاموا الصلاة، أي: أدوها مستكاملة أركانها وشروطها التامة، مع خشوع القلب لله ﷻ على الوجه الذي يرضيه، وبإداء حقيقة معناها الناهية عن الفحشاء والمنكر، كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

٨- الإنفاق في وجوه الخير:

ومن صفات أولي الألباب أنهم يتصدقون ونفي الأحوال كلها، ظاهراً وباطناً حسب مقتضى الحال، مرة يتصدقون سراً مخافة الرياء والسمعة، ومرة يتصدقون علانية بقصد التشجيع والتعليم والقوة، ويقال: يتصدقون صدقة التطوع في السر، ويتصدقون صدقة الفريضة في العلانية (٢).

٩- مقابلة السيئة بالإحسان:

ويدفعون الإساءة بالإحسان كالجهل بالحلم، والأذى بالصبر، ويقابلون السيئة بالحسنة لمحوها ومنع تكرارها، فعند الإحسان للمسيء إلينا فإنه يستحي أن يكرر مساءته بعد أن قابلناها بإحسان؛ فالمعاملة الكريمة مع المسيء وغيره أفضل وأجدي وأوقع أثراً؛ لأنها تهون الأمر، وتستل الأحقاد، وتكون عاقبتها أسلم، مالم يكن المسيء لثيماً خبيثاً، لا يأمن جانبه فعندها التعامل بالمثل أولى (٣).

وفسرها بعضهم بأنهم يتبعون السيئة الحسنة فتمحوها كما جاء في السنة؛ لقوله ﷻ في ما يرويه عنه أبو ذر ﷺ: (اتق الله حيثما كنت، وخالق الناس بخلق حسن، وإذا عملت سيئة، فاعمل حسنة تمحها) (٤).

(١) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير (٤/٤٥٠).

(٢) انظر: بحر العلوم: للسمرقندي (٢/٢٢٥).

(٣) انظر: التفسير الوسيط: مجمع البحوث (٥/٤٣٢).

(٤) أخرجه أحمد بن حنبل في مسند الانصار، باب حديث أبي ذر الغفاري ﷺ (٢٥/٤٢٥) (ح ٢١٥٣٦)، حسن لغيره.

وقد بين الله ﷻ جزاء المؤمنين الذين اتصفوا بهذه الصفات الحميدة السامية المطهرة للنفوس، وهي تدل على أن هذه الصفات هي سبب الجزاء العظيم الذي يستحقونه، (أُولَئِكَ لَهُمْ عِزِّي الدَّارِ) وعقبى الدار (الجنة)، فأولئك الموصوفون بما ذكر سابقاً لهم عقبى الحسنة والسعادة في الدنيا والآخرة، أما في الدنيا فهو النصر على الأعداء، وأما في الآخرة فهو الجنة^(١).

فحقيق لمن سمع هذه الآيات العطرة وما فيها من صفات لأولي الألباب أن يستنفر بنفسه؛ لنيل هذه الصفات؛ لتكون له تلك عقبى الحميدة جنات عدن.

رابعاً: وجوه البلاغة:

١- قوله تعالى: (أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ)، الاستفهام إنكاري، يفيد إنكار الوقوع، أي نفي التشابه بين من يعلم الحق ويؤمن به، ومن يعرض عن الحق، ويترك الآيات الدالة على الحق المبين، وكأنه الأعمى الذي لا يبصر؛ إذ عدم البصيرة كعدم البصر على السواء^(٢).

٢- قوله تعالى: (سِرًّا وَعَلَانِيَةً) و(بِالْحُسْنَةِ السَّيِّئَةِ) بينهما طباق^(٣).

٣- قوله تعالى: (الَّذِينَ يُوفُونَ) و(وَالَّذِينَ يَصِلُونَ)، جاءت الصلات وما عطف عليهما بصيغة المضارع في تلك الأفعال؛ لإفادة التجدد كناية عن الاستمرار^(٤).

٤- قوله تعالى: (وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ)، جاءت الصلة وما عطف عليها وهو (وأقاموا وأنفقوا..) بصيغة الماضي؛ لإفادة تحقق هذه الأفعال الثلاثة لهم، وتمكنها من أنفسهم^(٥).

٦- قوله تعالى: (وَيَدْرُؤُونَ بِالْحُسْنَةِ السَّيِّئَةَ)، أسلوب التعبير بالمضارع في المعطوف على الصلة؛ لاقتضاء المقام أفاد التجدد إيماءً إلى أن تجدد هذا الدرء ما يحرص عليه؛ لأن الناس عرضة للسيئات على تفاوت، فوصف لهم دواء ذلك بأن يدرءوا السيئات بالحسنات^(٦).

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن السعدي (٤١٦).

(٢) انظر: زهرة التفاسير: أبو زهرة (٨/ ٣٩٢٨).

(٣) انظر: التفسير المنير: الزحيلي (١٣/ ١٥١).

(٤) انظر: التحرير والتنوير: ابن عاشور (١٣/ ١٢٨).

(٥) انظر: المرجع السابق نفسه: الصفحة نفسها.

(٦) انظر: التحرير والتنوير: ابن عاشور (١٣/ ١٢٩).

٧- قوله تعالى: (سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ)، قدم المجرور على المبتدأ للدلالة على القصر الإضافي، أي: لهم عقبى الدار لا للمتصفين بأضداد صفاتهم^(١).

خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف:

- ١- بينت الآيات أنه لا يستوي الأعمى والبصير، ولا الظلمات والنور، حيث مثلت للذين يسمعون آيات، ولا يعقلونها، بالأعمى الذي لا يرى النور الساطع حيث لا يهتدي سبيلاً.
- ٢- تشبيه حال المتقين أهل السعادة الصابرين المقيمي الصلاة بالبصير، وحال العصاة الذين ينقضون العهد والميثاق، ويفسدون في الأرض بالأعمى.
- ٣- بيان أن الذين لا يستجيبون للحق الذي جاءهم به القرآن، هم بشهادة الله سبحانه عمي، وضم، وبكم في الظلمات، وأنهم لا يتفكرون، ولا يعقلون، وأن الذين يستجيبون له هم أولو الألباب، وهؤلاء تطمئن قلوبهم بذكر الله، وتتصل بما هي عارفة له، ومصطلحة عليه بفطرتها السليمة، فتسكن، وتستريح.
- ٤- وعدت الآيات الذين يستجيبون لدعوة ربهم بالثوبة الحسنى والجزاء الحسن على ما فعلوا^(٢).
- ٥- أنا الله ﷻ يقضي بالهدى لمن ينيب ويرجع إليه؛ وهذه الحقيقة تدل على أن الله ﷻ إنما يضل من لا ينيب، ومن لا يستجيب للحق إذ أتاه، وذلك وفق وعده سبحانه في قوله: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩]، فهذه الهداية وذلك الإضلال هما مقتضى مشيئته سبحانه بالعباد، هذه المشيئة التي تجري وتتحقق من خلال تغيير العباد ما بأنفسهم، والاتجاه إلى الاستجابة لما أمر الحق ﷻ، أو الإعراض والتكبر والعناد^(٣).
- ٦- وجوب الوفاء بالعهد، وهو يشمل كل حقوق الله ﷻ وفرائضه وحقوق العباد، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٤].
- ٧- نقض المواثيق سواء كانت مع الله ﷻ أو مع العباد غير جائز، فإذا عقد الإنسان عهداً في طاعة الله، أو مع الناس، لم يجز نقضه أبداً وعليه إنجازها^(٤).

(١) انظر: التحرير والتنوير: ابن عاشور (١٣ / ١٣٠).

(٢) انظر: التفسير الوسيط - مجمع البحوث (٥ / ٣٩٩).

(٣) انظر: التفسير المنير: الزحيلي (١٣ / ١٥٦).

(٤) انظر: المرجع السابق نفس الصفحة.

٨- صلة الأرحام ورعاية جميع حقوق الله ﷻ وحقوق العباد، إنما أمر الله به أن يوصله وما يتعلق ببناء المجتمع على المودة والرحمة، فيصل قرابته القريبة والبعيدة، فقد أمر سبحانه وتعالى بصلة الرحم، فقال: ﴿ثِيَابِي تُدِيءِي﴾ [الأنفال: ٧٥]، والأمر بأن يصل ما أمر الله به أن يوصل، أن يعملوا على رَأْب الصدع وجمع الوحدة، وإزالة الفرقة، وأن يحسنوا إلى الضعفاء والمساكين^(١).

٩- الخوف من سوء الحساب، ومن نوقش الحساب عذب، فهو خوف نتائج السر الذي كان في الدنيا، والله غفور رحيم، وخشية عقابه، ورجاء ثوابه، وأن يكون ذاكر الله، شكوراً لنعمه، راجياً قبو لطاعته، فهم أعلم الناس به ذاتاً، وصفاتٍ، وقدرًا، وإكباراً^(٢).

١٠- الصبر بإخلاص لله تعالى على الطاعة، وعن المعصية، وعلى الرزايا والمصائب، والحوادث والنوائب.

١١- إقامة الصلاة: وهو أداؤها بفروضها وخشوعها في مواقيتها.

١٢- الإنفاق من بعض المال سراً وجهراً، بأداء الزكاة المفروضة والتطوع بالصدقات المندوبة في سبيل الله تعالى.

١٣- درء السيئة بالحسنة، أي الدفع بالعمل الصالح السيء من الأعمال، كالتخلق بالأخلاق الطيبة في مواجهة أذى الناس، كالحلم في وجه الجهل، والصبر في وجه الأذى، ودفع الشر بالخير، والمنكر بالمعروف، واتباع السيئة بالحسنة لمحو أثرها لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود: ١١٤].

١٤- قررت الآيات بكل وضوح أن حياة الناس لا تصلح إلا بأن يتولى قيادتها المبصرون أولو الألباب، الذين يعلمون أن ما أنزل إلى محمد ﷺ هو الحق، ومن ثم يوفون بعهد الله، ويعبدونه وحده، ويدينون له وحده، ولا يتلقون عن غيره، ولا يتبعون إلا أمره ونهيه، ومن ثم يصلون ما أمر الله به أن يوصل، ويخشون ربهم، فيخافون أن يقع منهم ما نهى عنه، ويخافون سوء الحساب، فيجعلون الآخرة في حسابهم في كل حركة؛ ويصبرون على الاستقامة على عهد الله ذاك بكل تكاليف الاستقامة؛ ويقىمون الصلاة؛ وينفقون مما رزقهم الله سراً وعلانية؛ ويدفعون السوء والفساد في الأرض بالصلاح والإحسان.

(١) انظر: زهرة التفسير: أبو زهرة (٣٩٢٩/٨).

(٢) انظر: المرجع السابق نفس الجزء والصفحة.

- ١٥- للمؤمنين الذين يعملون الصالحات الجنة والخير والنعمة والفرح وحسن المرجع، وفي هذا ترغيب في الطاعة، وتحذير من المعصية، ومن سوء العقاب والمصير.
- ١٦- يدخل الجنة مع المؤمن الصالح أبواه وأزواجه وأبناؤه إن صدقوا وصلحت أعمالهم، وإن لم يعملوا مثل أعمالهم، واشتراط العمل الصالح كاشتراط الإيمان، ولكن من فضل الله تعالى وإكرام المؤمن وثواب المطيع: سروره واجتماعهم عرבותه في الجنة، وحضور أهله معه فيها، وإن دخلها كل إنسان بعمل نفسه من زاوية العدل، وبرحمة الله تعالى من ناحية الفضل^(١).
- ١٧- التقييد بالصلاح بقوله: (ومن صلح من آبائهم..)، دليل على أن مجرد الأنساب لا تنفع، فلا تفيد الأنساب شيئاً إذا لم تقرن بالعمل الصالح^(٢).
- ١٨- تدخل أفواج الملائكة من مختلف أبواب الجنة مهتة المؤمنين، ومبشرة لهم بالسلامة، قائلين لهم: سلام عليكم بما صبرتم، فنعم عقبى الدار أي قد سلمتم من الآفات والمحن، أو هو خبر بمعنى الدعاء، أي: ندعو لكم بدوام السلامة، سلمكم الله، وهذا يتضمن الاعتراف بالعبودية والسلام عليكم كان بصبركم على ملازمة الطاعة، ومفارقة المعصية، فنعم عاقبة الدار التي كنتم فيها، عملتم فيها ما أعقبكم هذا الذي أنتم فيه^(٣).
- ١٩- استدل بعض العلماء بهذه الآية على أن الملائكة أفضل من البشر فقالوا: إنه سبحانه ختم مراتب سعادات البشر بدخول الملائكة عليهم على سبيل التحية والإكرام والتعظيم، فكانوا به أجل مرتبة من البشر، ولو كانوا أقل مرتبة من البشر، لما كان دخولهم عليهم؛ لأجل السلام والتحية موجباً علو درجاتهم وشرف مراتبهم^(٤).

(١) انظر: التفسير المنير: الزحيلي (١٥٨/١٣).

(٢) انظر: المرجع السابق نفسه: الصفحة نفسها.

(٣) انظر: التفسير المنير: الزحيلي (١٥٨/١٣)..

(٤) انظر: المرجع السابق نفسه: الصفحة نفسها.

المطلب الثاني

بعض صفات الكافرين وجزاؤهم

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يَتَّقُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ۗ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٥].

أولاً: المناسبة:

بعد أن ذكر الله ﷻ صفات السعداء وجزاءهم الذي أعده لهم في الجنة، ذكر حال الأشقياء وماهي أهلهم من عذاب النار، حيث أتبع الوعد بالوعيد، والثواب بالعقاب^(١).

ثانياً: المعاني اللغوية:

(عَهْدَ اللَّهِ): ما أخذ الله على النبيين ومن اتبعهم ألا يكفروا بأمر النبي ﷺ^(٢).

(لَهُمُ اللَّعْنَةُ): البعد من رحمته، والإقصاء من جنانه^(٣).

(سُوءُ الدَّارِ): "النَّار يسوء داخلها"^(٤).

ثالثاً: المعنى الإجمالي :

هذه أوصاف الذين عتوا عن أمر ربهم، وخرجوا عن جادة الحق، وأوصافهم في مقابلة أوصاف المؤمنين، فهم الذين ينقضون عهد الله ﷻ، ويفسدون في الأرض بالكفر والظلم والمعاصي وإثارة الفتن، ولهم اللعنة بالطرد أو البعد من رحمة الله ﷻ، ولهم العقاب السيئة في الدار الآخرة، وهي جهنم، أو سوء عاقبة الدنيا؛ لأنه في مقابلة عقبي الدار للسعداء وهم متصفون بصفات ثلاث، جعلتهم يمردون على الكفر والطغيان، وهذه الصفات الثلاث هي: نقض عهد الله، والثانية: قطعهم ما أمر الله به أن يوصل، والثالثة: الفساد في الأرض^(٥).

(١) انظر: التفسير المنير: الزحيلي (١٣ / ١٥٩).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه: الزجاج (١ / ١٠٥).

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن: الطبري (١٦ / ٤٢٨).

(٤) غريب القرآن: السجستاني (ص: ٢٧٥).

(٥) انظر: التفسير المنير: الزحيلي (١٣ / ١٥٨)، زهرة التفاسير: أبو زهرة (٨ / ٣٩٣٩).

رابعاً: البلاغة:

١- قوله تعالى: (ولهم عقبى الدار) و(ولهم سوء الدار) بينهما مشاكلة.

خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف:

١- أرشدت السورة إلى أن ثمة علاقة وثيقة بين الفساد الذي يصيب حياة البشر في هذه الأرض، وبين ذلك العمى عن الحق الذي جاء من عند الله ﷻ؛ لهداية البشر إلى الحق وإلى صراط مستقيم.

٢- بينت السورة أن الذين لا يستجيبون لعهد الله ﷻ، ولا يعلمون الحق الذي جاء من عنده، هم الذين يفسدون في الأرض، كما أن الذين يعلمون أنه الحق، ويستجيبون له، هم الذين يصلحون في الأرض، وتزكو بهم الحياة.

٣- وتوعدت من لا يستجيبون لله لهم سوء الحساب والخلود في جهنم وبئس المهاد^(١).

٤- تحريم نقض الموثيق والعهد الإلهية والبشرية: فإذا عقد الإنسان عهداً في طاعة الله ﷻ، أو مع الناس، لم يجز نقضه.

٥- قطع ما أمر الله بوصله من صلة الأرحام والإيمان بجميع الأنبياء، والتعاون مع المؤمنين أمر محرم فعله؛ لما يعود على المجتمع من التفكك والفساد والخراب.

٦- تحريم الإفساد في الأرض بالكفر وارتكاب المعاصي والظلم وإثارة الفتن، وارتكاب كلما يؤدي إلى دمار البلاد وتخريبها، وإتلاف الأموال والحقوق واغتصابها والاعتداء عليها.

٧- المرتكبون لهذه المنكرات والفواحش التي ذكرت في الآية لهم اللعنة، أي: الطرد والإبعاد من الرحمة، ولهم سوء الدار، أي: سوء المنقلب، وهو جهنم^(٢).

(١) انظر: التفسير الوسيط: مجمع البحوث (٥/ ٣٩٩).

(٢) انظر: التفسير المنير: الزحيلي (١٣/ ١٦٠).

المطلب الثالث

سعة الرزق وتقتيره والهداية والضلال بيد الله ﷻ

قَالَ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلَّا مَتَعٌ * وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يَضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن أُنَابَ * الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ * الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسُنَ مَا تَابَ ﴾ [الرعد: ٢٦ - ٢٩].

أولاً: المناسبة:

بعد أن ذكر الله ﷻ عاقبة المؤمن وعاقبة المشرك، بين أنه تعالى الذي يبسط الرزق و يقدر في الدنيا؛ لأنها دار امتحان، فلا تعلق للرزق بالكفر والإيمان، ثم ذكر تعالى ما طلبه المشركون من آية مادية حسية تدل على نبوة محمد ﷺ؛ لإنكارهم أن القرآن والتحدث عن المشركين والمؤمنين هنا مناسب لما ذكر سابقاً من: بيان صفات وعاقبة المؤمن، وصفات وعاقبة المشرك^(١).

ثانياً: معاني المفردات:

(يَبْسُطُ) يوسع، (وَيَقْدِرُ) يضيق^(٢).

(طُوبَى) هي اسم علم للجنة أو لشجرة فيها، أو مصدر كالسقياء والرجعى والبشرى ومعناها الحسنى والمقصود عيش طيب لهم في الآخرة^(٣).

(أُنَابَ) إذا تَابَ فَرَجَعَ^(٤).

ثالثاً: المعنى الاجمالي:

يحكي ﷻ عن الكفار الذين ظلوا يتحدّون النبي ﷺ بالإتيان ببرهان من ربه على صدق دعوته، ويتعنتون في مطالبهم هذه، ويرد عليها أنه يبطلها ويعلن أن الله ﷻ يضلّ من يشاء وأن

(١) انظر: التفسير المنير: الزحيلي (١٦٢ / ١٣)، تفسير المراغي: المراغي (٩٨ / ١٣).

(٢) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية: مكي بن أبي طالب (٣٧٣١ / ٥).

(٣) انظر: معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن: حسن الجمل (٦٦ / ٣).

(٤) انظر: تهذيب اللغة: لابن الأزهري (٣٥١ / ١٥).

دعوته إنما يهدي الله ﷻ إليها، من حسنت نياتهم وطابت قلوبهم ورجبوا في الإنابة إلى الله ﷻ، فهم الذين تطمئن قلوبهم بذكر الله، فيؤمنون ويعملون الأعمال الصالحة، وهؤلاء لهم قرة العين وحسن المصير والمنقلب وكلما هو طيب، ويبئسهم ﷻ من إيمان أعدائهم؛ لاستيلاء العناد والجحود على قلوبهم^(١).

رابعاً: البلاغة:

- ١- قوله تعالى: (يسط، ويقدر)(ويضل، ويهدي) بينهما طباق.
- ٢- قوله تعالى: (بِذِكْرِ اللَّهِ) بتقديم الجار والمجرور على الفعل يفيد الاختصاص^(٢).
- ٣- قوله تعالى: (وجيء) فيجانب الكافرين بضمير الغيبة إشارة إلى أنهم أقل من أن يفهموا هذه الامور الدقيقة؛ لكبر نفوسهم^(٣).
- ٤- قوله تعالى: (متاع) نكرة؛ للتقليل والتحقير^(٤).
- ٥- قوله تعالى: (تطمئن) جاء على صيغة المضارع مرتين، لدلالته على تجدد الاطمئنان واستمراره وأنه لا يتخلله شكولا تردد^(٥).
- ٦- قوله تعالى: (ألا بذكر الله) "افتتحت الجملة بحرف التنبيه اهتماماً بمضمونها وإغراء بوعيه"^(٦).
- ٧- قوله تعالى: (وما الحياة الدنيا إلا متاع) تشبيهه بليغ، حذف منه أداة الشبه ووجه التشبيه، أي: ما الحياة الدنيا إلا مثل الشيء الذي يتمتع به الإنسان في منزله ويبلى.

خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف:

- ١- بينت الآيات أنه تعالى مصدر الرزق، فهو الذي يبسطه لمن يشاء ويضيقه على من يشاء، على وفق حكمته وعدله، ولا تعلق للرزق بالإيمان والكفر، فقد يرزق الله الكافر، ويحرم المؤمن، استدراجاً للأول، وابتلاءً واختباراً للثاني^(٧).

(١) انظر: التفسير الحديث: محمد عزت دروزة (٥/ ٥٣٨)، والتفسير الوسيط: طنطاوي (٧/ ٤٦٨).

(٢) انظر: زهرة التفاسير: أبو زهرة (٨/ ٣٩٤٦).

(٣) انظر: المرجع السابق نفسه (١٣/ ١٣٤).

(٤) نظر: التحرير والتنوير: ابن عاشور (١٣/ ١٣٥).

(٥) انظر: المرجع السابق نفسه (١٣/ ١٣٨).

(٦) المرجع السابق نفسه (١٣/ ١٢٤).

(٧) انظر: التفسير المنير: الزحيلي (١٣/ ١٦٦)، التفسير الوسيط: مجمع البحوث (٥/ ٤٠٠).

- ٢- ذكرت عناد المشركين بطلبهم من الرسول ﷺ آية من ربه، وبينت أن هذا ضلال منهم وانحراف عن الآية الكبرى وهي القرآن، وأنه تعالى يضل من يشاء من المنحرفين، ويهدى إليه من أناب ويعينه، وأن القرآن هو ذكر الله، وأنه تطمئن به القلوب^(١).
- ٣- الكفار وكل أصحاب النزعات المادية يفرحون في الدنيا، ولا يعرفون غيرها، ويجهلون ما عند الله من أفضل ونعم وخيرات كثيرة.
- ٤- ليست الحياة الدنيا في جانب الآخرة إلا متاع قليل من الأمتعة، سريع الزوال^(٢).
- ٥- طلب الآيات الكونية من الرسل جهل، بعد أن رأوا آية واحدة تغني عن كل آية، هي القرآن، تدل على الصدق، وصحة النبوة والوحي، وكونه كلام الله.
- ٦- الإضلال والهداية من الله، ولإنسان دور فيهما، فالكافر هو الذي عاند وعارض ولم يؤمن، فلم يهده الله، والمؤمن هو الذي آمن وعمل الصالحات، فزاده الله هدى.
- ٧- "الرسول ﷺ في ما لاقاه من قومه مثل ما لقي الرسل - عليهم السلام - من قبله فهي سنة الله في رسله، وبيان مهمة الرسول وهي الدعوة إلى عبادة الله وحده، وعدم الشرك به، وتحذيره من مجاملة المشركين في دعوتهم"^(٣).
- ٨- ذكرت الآيات عناد المشركين ومكابرتهم بطلبهم من الرسول ﷺ آية من ربه، وبينت أن هذا ضلال منهم وانحراف عن الآية الكبرى وهي القرآن، ومقابلة ذلك بيقين المؤمنين، وما أعد الله لهم من الخير^(٤).
- ٩- الله ﷻ يضل من يشاء من المنحرفين، ويهدى إليه من أناب ويعينه، وأن القرآن هو ذكر الله، وأنه تطمئن به القلوب وتسكن.
- ١٠- الرسل بشر كغيرهم من الناس، لهم أزواج وذرية، وليست المعجزات رهن مشيئتهم، وإنما هيب إذن الله تعالى، ومهمتهم مقصورة على التبليغ، أما الجزاء فالإله تعالى^(٥).
- ١١- بينت الآيات أن المسلم يرفض بحكم إيمانه بالله، وعلمه بأن ما أنزل على محمد ﷺ هو الحق كل منهج للحياة غير منهج الله، ومجرد الاعتراف بشرعية منهج، أو وضع، أو حكم من صنع غير الله، هو بذاته مناقض لمنهج الله ﷻ؛ فالاستسلام لله هو توحيد الدينونة له دون سواه^(٦).

(١) التفسير الوسيط - مجمع البحوث (٥/ ٤٠٠).

(٢) انظر: التحرير والتنوير: ابن عاشور (١٣/ ٧٧).

(٣) المرجع السابق نفسه: الصفحة نفسها.

(٤) انظر: التفسير الوسيط - مجمع البحوث (٥/ ٤٠٠).

(٥) انظر: التفسير المنير: الزحيلي (١٣/ ٩٨).

(٦) انظر: في ظلال القرآن: سيد قطب (٤/ ٢٠٧٦).

المبحث الثاني

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة

الرعد من الآية (٢٨ إلى ٣٤)

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : للرسول أسوة في تكذيب الأتقوام لرسولهم.

المطلب الثاني : مدح الله ﷻ للقرآن وتفضيله على سائر الكتب.

المطلب الثالث : عقاب من استهزأ بالرسول وصّد عن سبيل الله ﷻ.

المبحث الثاني

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الرعد من الآية (٣٠ إلى ٣٤)

تتحدث الآيات في هذا المبحث عن سنة الله ﷻ في إرسال الرسل؛ لإبلاغهم رسالة الله ﷻ إليهم، وديدن الكافرين في التكذيب والعناد والاستهزاء بالرسل والأنبياء، وفضل القرآن الكريم على باقي الكتب السماوية، وحكمة الله ﷻ في الآيات التي ينزلها على رسله، وعقاب المكذبين المعاندين فهو وعد من الله ﷻ، والله لا يخلف وعده.

المطلب الأول

للسو لتسليية في تكذيبا لأقوام لرسلمهم

قَالَ تَعَالَى: ﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لَتَتْلُوا عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٌ﴾ [الرعد: ٣٠]

أولاً: المناسبة:

بعد أن قص الله ﷻ علينا ما طلبه المشركون من آيات تثبت نبوة محمد ﷺ، أوضح أن محمداً ﷺ كغيره من الرسل مع أقوامهم الذين عانوا من تكذيبهم وإجرامهم^(١).

ثانياً: المعنى اللغوي:

(مَتَابٍ) التوبة والمرجع^(٢).

(خَلَّتْ) مضت^(٣).

ثالثاً: المعنى الاجمالي:

يبين الله ﷻ أنه أرسل محمداً ﷺ في هذه الأمة؛ ليبلغهم رسالته إليهم كما أرسل في الأمم الماضية الكافرة بالله ﷻ، وقد كُذِّبَ الرسل من قبله، فبين أن له بهم أسوة، وكما أوقع الله ﷻ بأسه ونقمته بأولئك، فليحذر هؤلاء من حلول النقم بهم، فقد نصرهم وجعل العقاب لهم ولأتباعهم في الدنيا

(١) انظر: التفسير المنير: الزحيلي (١٣ / ١٧٠).

(٢) انظر: اللباب في علوم الكتاب: أبو حفص (١١ / ٣٠٤).

(٣) انظر: تفسير القرآن: السمعاني (٣ / ٩٣).

والآخرة، وهذه الأمة التي بُعثَ محمد ﷺ فيهم يكفرون بالرحمن لا يقرون به، ويأمره أن يقول للكفار هذا الذي تكفرون به هو مؤمن به معترف مقر له بالربوبية والألوهية، وعليه توكلت في جميع أموري، وإليه أرجع وأنيب فإنه لا يستحق ذلك أحد سواه^(١).

رابعاً: البلاغة:

(الذِي) اسم إشارة تأكيد للمشار إليه، وهو التعجب من ضلالتهم إذ عموا عن صفة الرسالة^(٢).

(يَكْفُرُونَ) التعبير بالمضارع؛ للدلالة على تجدد واستمرار كفرهم^(٣).

(الْمَتَّابِ): مصدر ميمي على وزن مفعل، يفيد المبالغة^(٤).

(عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ) وتقديم الجار والمجرور على الفعل؛ للدلالة على القصر، أي: لا أتوكل على غيره^(٥).

(وَأَلَيْهِ مَتَّابٍ) تقديم الجار والمجرور يفيد الاختصاص، أي: أن مرجعي إليه وحده، وله الحساب وحده^(٦).

(كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ) تشبيه مرسل مجمل^(٧).

خامساً: سبب النزول:

"نزلت في صلح الحديبية حين أرادوا كتاب الصلح، فقال رسول الله ﷺ لعلي رضي الله عنه: "اكتب بسم الله الرحمن الرحيم"، فقال سهيل بن عمرو والمشركون: ما نعرف الرحمن إلا صاحب اليمامة، يعنون مسليمة الكذاب، اكتب باسمك اللهم، وهكذا كان أهل الجاهلية يكتبون، فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآية"^(٨).

(١) انظر: مختصر تفسير ابن كثير: الصابوني (٢/ ٢٨١).

(٢) انظر: التحرير والتوير: ابن عاشور (١٣/ ١٣٩).

(٣) انظر: المرجع السابق نفسه (١٣/ ١٤٠).

(٤) انظر: المرجع السابق نفسه (١٣/ ١٤٢).

(٥) انظر: زهرة التفاسير: أبو زهرة (٨/ ٣٩٥٠).

(٦) انظر: المرجع السابق نفسه (٨/ ٣٩٥٠).

(٧) انظر: التفسير المنير: الزحيلي (١٣/ ١٦٨).

(٨) أسباب النزول: للواحدي (ص: ٢٧٣).

سادساً: تحقيق المقاصد والأهداف:

١- "بيان مهمّة الرسول، وهي: الدّعوة إلى عبادة الله وحده، وعدم الشّرك به، وتحذيره من مجاملة المشركين في دعوتهم، حيث أمر الله سبحانه وتعالى رسوله ﷺ وهو أحق من يؤمر بعبادته وحده سبحانه؛ لأنه أرسل إليهم كافة، حيث قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، قال تعالى: ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَدْعُوا اللَّهَ وَإِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ ﴾ [الإسراء: ١١٠].

فالله تعالى الواحد الأحد، المستحق بالعبادة وعلى ذلك حق للعبد أن يتوكل عليه، ويرجع دائماً إليه في كل أموره، وأشير هنا إلى حقيقة أن من أعظم القربات إلى الله هو الدعاء باسم الرحمن^(١).

٢- إن الرسول ﷺ ما لقي من قومه إلا كما لقي الرسل - عليهم السلام - من قبله، وقد تعرض النبي ﷺ للإيذاء ومعارضة قومه له وكفرهم به، فما قرئش إلا كالأقوام السابقة التي آذت الرسول ﷺ وأعدت له كل وسائل التعذيب والإغراء والبعد عن الدين ومن صور الإيذاء التي لاقاها الرسول الكريم ﷺ: عدم الإذن له في بداية الأمر بالإعلان بالقرآن، وكذلك حصاره في بيته، ومن ذلك - أيضاً - تعذيب أصحابه، ومثال ذلك عمار بن ياسر وآله؛ وذلك للضغط على الرسول ﷺ لترك دينه، وفي هذا المجال أشير إلى أن ما لقيه الرسول ﷺ من عذاب دليل على أن الرسول بشر، حيث قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ ﴾ [الكهف: ١١٠]^(٢).

٣- "وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ) أي بالله ﷻ بليغ الرحمة، الذي أحاطت بهم نعمته، ووسعت كل شيء رحمته فلم يشكروا نعمه سبحانه لا سيما ما أنعم به عليهم بإرسالك إليهم، وإنزال القرآن الذي هو مدار المنافع الدينية والدنيوية عليهم، بل قابلوا رحمته ونعمه بالكفر، ومقتضى العقل عكس ذلك، وكان الظاهر - بنا-، إلا أنه التفت إلى الظاهر وأوثر هذا الاسم الدال على المبالغة في الرحمة؛ للإشارة إلى أن الإرسال ناشئ منها، كما قال سبحانه: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]^(٣).

(١) التحرير والتنوير: ابن عاشور (٧٧/١٣).

(٢) انظر: المرجع السابق نفسه (٧٧ / ١٣).

(٣) روح المعاني: الألوسي (٧ / ١٤٤).

٤- أمر النبي ﷺ بالإجابة والتوبة إبانة لفضلهما ومقدارهما عند الله ﷻ، وأنها صفة الأنبياء وبعثاً للكفرة على الرجوع عما هم عليه بأبلغ وجه وأطفه، فإنه ﷻ لا يمنزه عن شائبة اقتراف ما يوجبها من الذنب - وإن قل-، فتوبتهم وهم عاكفون على أنواع الكفر والمعاصي يكون مما لا بد منه أصلاً، وفيه أن هذا إنما يصلح باعثاً للإقلاع عن الذنب على أبلغ وجه وأطفه لو كان الكلام مع غير الكفرة الذين يحسبون أنهم يحسنون صنعا^(١).

٥- "لقد أبان الله ﷻ في هذه الآيات قيمة وأهمية إرسال النبي ﷺ، وقيمة ما أرسل به، وعظمة القرآن الكريم المنزل عليه، فمثل ذلك الإرسال للأنبياء السابقين أرسلناك أيها الرسول محمد إرسالاً له شأنٌ وفضلٌ على سائر الإرسالات، ومهمتك في هذا الإرسال واضحة، أرسلناك بكتاب تبليغه للناس وتقرؤه عليهم"^(٢).

٦- "إرسال الرسل قبل إرسال محمد ﷺ كان ظاهرة عامة، قد يؤمن بهم بعض أقوامهم، وقد يكذبهم الأكثرون، ويكفرون بالرحمن، فلقد أرسل الله ﷻ الرسل إلى أقوامهم؛ ليبين لهم شرائع الإيمان ويدعوهم لعبادة الله وحدهم، فمنهم من كذبهم، ومنهم من صدق وآمن، وجاء إرسال رسولنا الكريم إلى قومه؛ ليبين حقيقة ما جاء به سيدنا محمد وهو تبليغ الرسالة فهو يؤكد على أهمية نشر الدعوة"^(٣).

٧- كما أرسل الله رسلاً إلى أمم، وأعطاهم كتباً تتلى عليهم، كذلك أعطى الله نبيه محمداً ﷺ هذا الكتاب (القرآن) وهو يتلوه عليهم، فلماذا طلبوا غيره، وقد قال سبحانه وتعالى:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [الحجر: ٩٠]، لقد أنزل الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم علي نبيه، وتكفل بحفظه ورعايته، فهو المعجزة الخالدة الباقية فعجباً لمن لا يؤمن بقدرسية هذا القرآن العظيم، وعجباً لمن يقارن بين القرآن والكتب الأخرى التي أرسلت كالتوراة والإنجيل والزبور، فرغم أن كلها من عند الله ﷻ إلا أن الله سبحانه وتعالى قرن وفرق بين تلك الرسائل والقرآن العظيم .

٨- الله ﷻ هو الإله بحق، فهو الذي لا إله غيره، ولا معبود سواه، وهو واحدٌ بذاته، وإن اختلفت صفاته، عليه يتوكل العبد، ويعتمد ويثق، وإليه مرجع العباد غداً، وعليه يتوكل المؤمن اليوم وفي كل وقت، رضى بقضائه، وتسليماً لأمره.

(١) انظر: روح المعاني: للأوسى (٧/ ١٤٦).

(٢) التفسير الوسيط: الزحيلي (٢/ ١١٦٧).

(٣) المرجع السابق نفسه (١٣/ ١٧٦).

٩- في الآيات تقرير لأصول العقائد: التوحيد والنبوة والبعث والجزاء في الآخرة، ففي الآية الأولى من هذا السياق، وهي قوله تعالى {كذلك أرسلناك} فقرر نبوة الرسول^(١).

١٠- أن الحق قد أرسلك يا محمد ﷺ بمعجزة تناسب ما نبغ فيه قومك، وطلب غير ذلك هو جهل بواقع الرسالات وتعتت يقصد منه مزيد من ابتعادهم عن الإيمان^(٢).

١١- (الرحمن) الذي يُنعم بالنعمة كلها؛ وهو المُتولّي تربيتنا؛ ولو لم يفعل سوى خلقنا وتربيتنا ومدنا بالحياة ومقوماتها؛ لكان يكفي ذلك؛ لنعبده وحده ولا نشرك به أحداً^(٣).

١٢- الإعلان للعبد بأن الاعتماد لا يكون إلا بالرجوع إلى الله ﷻ، والتوكل عليه، والإنابة إليه، قال تعالى: " وعلي الله فليتوكل المؤمنون " فهو السند وهو المعتمد لا غيره من البشر، وقال ﷺ: (لو أنكم كنتم توكلون على الله حق توكله لرزقتم كما يرزق الطير تغدو خماسا وتروح بطانا)^(٤).

١٣- كما أوقع الله سبحانه وتعالى النقم بالأقوام السابقة والعذاب الذي لاقاه قوم عاد وثمود، فليحذر قوم سيدنا محمد ﷺ مثل العذاب الذي لاقاه الأقوام السابقة، وأنه سيصيبهم لمعادنتهم للرسول، وكفرهم به.

١٤- "لو أن الإنسان قد أشرك بالله؛ لالتفت مرة لذلك الإله؛ ومرة أخرى للإله الآخر؛ ومرة ثالثة للإله الثالث وهكذا، وشاء الله سبحانه أن يريح الإنسان من هذا التشتت بعقيدة التوحيد.

وبأتي القرآن؛ ليطمئن القلوب أيضاً وليذكر: ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ

وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ [الزمر: ٢٩]

وهكذا يعرض القرآن صورتين:

الصورة الأولى: رجل يملكه أكثر من سيد، يعارض بعضهم البعض.

والصورة الثانية: رجل آخر، يملكه سيد واحد.

(١) انظر: أيسر التفاسير: الجزائري (٣/ ٢٨).

(٢) انظر: تفسير الشعراوي: الشعراوي (١٢/ ٧٣٣٤).

(٣) انظر: المرجع السابق نفسه: الصفحة نفسها.

(٤) سنن الترمذي: أبواب الزهد، باب في التوكل على الله، (٤/ ١٥١) (٢٣٤٤)، وقال هذا حديث حسن صحيح.

ولابدَّ للعقل أن يعلمَ أن السيد الواحد أفضل من الأسياد المتعددين؛ لأن تعدُّد الأسياد فساد وإفساد، يقول الحق سبحانه: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ۗ فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [٢٢: الأنبياء] (١).

١٥- "العاقل هو مَنْ لا يُسَلِّمُ نفسه إلا لسيد واحد يثق أنه أمين عليه، ونحن في حياتنا نقول: ما يحكم به فلان أنا أرضى به" (٢).

(١) تفسير الشعراوي (١٢/٧٣٣٥).

(٢) المرجع السابق نفسه: الصفحة نفسها.

المطلب الثاني

مدح الله للقرآن وتفضيله على سائر الكتب

قَالَ تَعَالَى ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانَ سُورَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمٌ بِهِ الْمَوْتُ بَل لَّيْلَهُ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَأْتِسَّ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ حَنْقٌ يَأْتِي وَعَدَّ اللَّهُ أَنْ لَا يُخْلِفُ الْمِعَادَ﴾ [الرعد: ٣١].

أولاً: المناسبة:

بعد أن قص الله ﷻ علينا ما طلبه المشركون من آيات تثبت نبوة محمد ﷺ، أوضح أنه ﷻ كغيره من الرسل مع أقوامهم، طلبوا الآيات من أنبيائهم، وأجابهم الله ﷻ إلى مطلبهم، ولكنهم لم يؤمنوا وعاندوا وكفروا، فعذبوا بعذاب الاستئصال.

ولو أرادوا آية، فقد أعطيناك هذا الكتاب، والله قادر على كل شيء من الإتيان بما طلبوه، ولكنه لا يحقق المقصود، ثم هددهم الله ﷻ بداهية تحل بهم عقاباً لهم^(١).

ثانياً: المعنى اللغوي:

- ١- (قَارِعَةٌ) داهية تفرعهم بصنوف البلاء^(٢).
- ٢- (قُطِعَتْ) شتتت رهبة منه، وخشوعاً له^(٣).
- ٣- (أَفَلَمْ يَأْتِسَّ) أفلم يعلم، وهي لغة قوم من النخع، واستعمل اليأس بمعنى العلم؛ لتضمنه معناه^(٤).

ثالثاً: المعنى الإجمالي:

يبين ﷻ فضل القرآن الكريم على سائر الكتب المنزلة سابقاً، بأنه لو كان هناك كتاب سماوي تسير به الجبال أو تحرك به الأرض عن مكانها لكان هو، ولكن الله يأتي بالآيات التي تقتضيها حكمته، ولكن الذين كفروا لا يعتبرون ولا يتعظون، والله تعالى يوالي عليهم القوارع التي

(١) انظر: التفسير المنير: الزحيلي (١٣/ ١٧٠).

(٢) انظر: تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب: بن حيان (ص: ٢٦٣).

(٣) انظر: معجم وتفسير لغوى لكلمات القرآن: حسن الجمل (٣/ ٣٧٤).

(٤) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: الزمخشري (٢/ ٥٣٠).

تصيبهم في ديارهم، ويهددهم الله ﷻ، ويخوفهم من نزول ما وعدهم به على كفرهم وعنادهم وظلمهم^(١).

رابعاً: البلاغة:

١- ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانَا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُفِّرَتْ بِهِ الْمَوْتُ بَل لَّئِنَّ الْأُمَمَ لَكَيْدَاتٌ﴾ أفادت الجملتان المعطوفة والمعطوف عليها معنى القصر؛ لأن العطف بـ بل من طرق القصر.

٢- اللام في قوله: (الأمر) للاستغراق، و(جميعاً) تأكيد له.

٣- تقديم المجرور على المبتدأ للاهتمام لأن القصر أفيد بـ (بل) العاطفة.

٤- (أفلم ييأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً)، استفهام إنكاري، ونفي النفي إثبات، والمعنى ييأس الذين آمنوا من أن يهتدوا، ويعلمون أن لو شاء الله لهدى الناس.

٥- (إن الله لا يخلف الميعاد)، تذييل لجملة (حتى يأتي وعد الله) إيذاناً بأن إتيان الوعد محقق وأن الغاية به غاية بأمر قريب الوقوع، والتأكيد مراعاة لإنكار المشركين^(٢).

والغرض منه تقوية قلب الرسول ﷺ، وإزالة الحزن عنه وهذه الآية وإن كانت واردة في حق الكفار إلا أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، إذ بعمومه يتناول كل وعيد ورد في حق الفساق^(٣).

٦- (كيف كان عقاب)، الاستفهام للتعجب^(٤).

خامساً: سبب النزول:

"قالت قريش للنبي ﷺ تزعم أنك نبي يوحى إليك، وأن سليمان سخر له الريح والجبال، وأن موسى سخر له البحر، وأن عيسى كان يحيي الموتى فادع الله تعالى أن يسير عنا هذه الجبال ويفجر لنا الأرض أنهاراً، فنتخذها محارث فنزرع ونأكل، وإلا فادع الله أن يحيي لنا موتانا فنكلمهم ويكلمونا، وإلا فادع الله تعالى أن يصير هذه الصخرة التي تحتك ذهباً فننحت منها وتغنينا عن رحلة الشتاء والصيف، فإنك تزعم أنك كهيئتهم، فبينما نحن حوله إذ نزل عليه الوحي، فلما سري عنه قال: "والذي نفسي بيده لقد أعطاني ما سألتكم ولو شئت لكان، ولكنه خيرني بين أن تدخلوا من

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن: السعدي (ص: ٤١٨).

(٢) انظر: التحرير والتنوير: لابن عاشور (١٣/ ١٤٤-١٤٧).

(٣) انظر: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير: الرازي (١٩/ ٤٣).

(٤) انظر: التحرير والتنوير: ابن عاشور (١٣/ ١٤٨).

باب الرحمة فيؤمن مؤمنكم، وبين أن يكلّمك إلى ما اخترتم لأنفسكم فتضلوا عن باب الرحمة ولا يؤمن مؤمنكم فاخترت باب الرحمة وأن يؤمن مؤمنكم، وأخبرني إن أعطاكم ذلك، ثم كفرتم أنه معذبكم عذاباً لا يعذبه أحداً من العالمين"، فنزلت: ﴿وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون﴾ حتى قرأ ثلاث آيات ونزلت: ﴿ولو أن قرآنا سيرت به الجبال﴾ الآية^(١).

سادساً: تحقيق المقاصد والأهداف:

١- جاءت هذه الآية لتبين عظمة القرآن ورجحانه على ما يطلبونه من الآيات، فالقرآن الكريم لم ينزل؛ ليحقق للناس بذاته هذه المطالب الكونية من الينابيع، وتسخير الرياح وغيرهما، بل نزل؛ ليرشدهم إلى وسائل تحقيقها، ويعلمهم بذل الجهد العقلي والعملي لكي يحصلوا عليها، فإن العالم الأكبر ينطوي في الإنسان بعقله وذكائه وقدرته وقواه التي أودعها الله فيه.

وليعلم العاقل أن الهدف الأول للقرآن هو معرفة الله وأداء واجبابه، والعمل للدنيا والآخرة، فقد مضى الزمن الذي كان يرتزق فيه الكسالى من دعاء أنبيائهم، حيث كانوا يحصلون به على المن والسلوى ونحوهما، ويحصلون على الماء بالمعجزات، وجاء الزمن الذي يبرز فيه المولى سبحانه خيرات الأرض والماء والهواء والطاقة بجهد الإنسان وعرقه، واستخدام الطاقات التي أودعها الله فيه، وهذا ما عني القرآن بتوجيه البشر إليه، كما في قوله تعالى

﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥]، وقوله: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ

لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [الذاريات: ٢٠].

ومن أجل هذا المنهج السديد الذي رسمه القرآن لأمة القرآن، امتلك المسلمون مفاتيح العلم، وتمكنوا من ولوج أبوابه إلى معاهد العز والرفعة والمجد في كل ناحية من نواحي الكرامة، والأمم من حولهم يغطون في سبات عميق، وينتظرون موائد تنزل لهم من السماء، أو يفسدون في الأرض بغير الحق^(٢).

٢- "إن لكل نبي معجزة أيده الله ﷻ، تناسب أمته ومدة بقائها على شريعته، واختار الله لأمة محمد ﷺ معجزة القرآن ليكون دستوراً لها وآية إلى أن تقوم الساعة، فإن الله تعالى جعلها الأمة الخاتمة للرسالات، فكانت معجزة نبيها ﷺ باقيةً ببقائها، وهادياً بهديها ما بقى الزمان، ولقد أوتى النبي ﷺ غير القرآن معجزات كثيرة، ولكنها لم تكن للتحدي، بل لتكريمه ﷺ، ورحمة

(١) أسباب النزول : الواحدي (ص: ٢٧٤).

(٢) التفسير الوسيط - مجمع البحوث (٥/ ٤٤١)، بتصرف.

بالمؤمنين في مواقف الشدة، ومعظمها ظهر في المدينة كإنزال الغيث ونبع الماء من بين أصابعه، وتكثير الطعام القليل^(١).

٣- مرجع الأمور كلها بيد الله ﷻ وحده فهو المتصرف في أمور الخلق، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، ومن يضل فلا هادي له، ومن يهد فما له من مضل^(٢).

٤- في الآية بيان للذين آمنوا أن لو شاء الله ﷻ هداية الناس أجمعين لهداهم، فإنه ليس ثمة حجة ولا معجزة أنجع في العقول من هذا القرآن الكريم، الذي لو أنزل على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله، لكنه لم يشأ ذلك، والأمر لله من قبل ومن بعد لا ينازعه فيه أحد^(٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال النبي ﷺ: (ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحياً أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة)^(٤).

٥- لقد صنع القرآن الكريم في النفوس التي تلقته وتكيفت به أكثر من تسيير الجبال وتقطيع الأرض وإحياء الموتى، فلقد صنع في هذه النفوس وبهذه النفوس خوارق أضخم وأبعد أثراً في أقدار الحياة، بل أبعد أثراً في شكل الأرض ذاته، فكم غير الإسلام والمسلمون من وجه الأرض، إلى جانب ما غيروا من وجه التاريخ؟! وإن طبيعة هذا القرآن ذاتها، طبيعته في دعوته وفي تعبيره، طبيعته في موضوعه وفي أدائه، طبيعته في حقيقته وفي تأثيره، إن طبيعة هذا القرآن لتحتوي على قوة خارقة نافذة، يحسها كل من له ذوق وبصر وإدراك للكلام، واستعداد لإدراك ما يوجه إليه ويوحى به. والذين تلقوه وتكيفوا به سيروا ما هو أضخم من الجبال، وهو تاريخ الأمم والأجيال وقطعوا ما هو أصلب من الأرض، وهو جمود الأفكار وجمود التقاليد، وأحيوا ما هو أخمى من الموتى، وهو الشعوب التي قتل روحها الطغيان والأوهام، والتحول الذي تم في نفوس العرب وحياتهم فنقلهم تلك النقلة الضخمة دون أسباب ظاهرة إلا أن هذا الكتاب ومنهجه في النفوس والحياة، أضخم بكثير من تحول الجبال عن رسوخها، وتحول الأرض عن جمودها، وتحول الموتى عن الموات!^(٥).

(١) التفسير الوسيط - مجمع البحوث (٥/ ٤٤٣).

(٢) انظر: تفسير المراغي: للمراغي (١٣/ ١٠٥).

(٣) انظر: المرجع السابق نفس الجزء والصفحة.

(٤) صحيح البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب: كيف نزل الوحي، وأول ما نزل (٦/ ١٨٢) (ح ٤٩٨١).

(٥) في ظلال القرآن: سيد قطب (٤/ ٢٠٦١).

٦- "المراد من تقطيع الأرض حسب مطلوبهم أن تقصُر المسافة بين مكان وآخر، بحيث يستطيع السائر أن يستريح كل فَنَزَة؛ فالمسافر يترك في كل خطوة من خطواته أرضاً، ويصل إلى أرض أخرى، وكُلُّ يقطع الأرض على حَسَب قدرته ووسيلة المواصلات التي يستخدمها.

فالمُتَرَف يريد أن تكون المسافة كبيرة بين قطعة الأرض والأخرى؛ لأنه يملك الجياد التي يمكن أن يقطع بها المسافة بسهولة، أما مَنْ ليس لديه مطية، فهو يحب أن تكون المسافات قريبة؛ ليستطيع أن يستريح.

ونلاحظ أن ذلك في زماننا المعاصر، فحين زادَ الترف صارت السيارات تقطع المسافة من القاهرة إلى الإسكندرية دون توقُّف، عَكْس ما كان يحدث قديماً حين كانت السيارات تحتاج إلى راحة ومعها المسافرون بها، فيتوقفون في مُنْتَصَفِ الطريق. ومثل ذلك قد حدث في مملكة سبأ، يقول الحق سبحانه: ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ [سبأ: ١٩] (١).

٧- ليعلم البشر أن الله لو يشاء لهدى الناس جميعاً من غير أن يشاهدوا الآيات، ويروا المعجزات، وينظروا في دلائل الكون، ولكن لم يشأ تعالى هداية جميع الناس.

ولا يزال الكافرون في كل زمان تصيبهم داهية مهلكة من صاعقة، أو أسر أو جذب أو زلزال أو بركان، أو غيرها من العذاب والبلاء كما نزل بالمستهزئين، وهم رؤساء قريش، وقد تصيب من حولهم ممن هو قريب منهم، فيتأثرون بالعذاب (٢).

٨- القرآن هو الكتاب المعجز لما فيه من الإعجاز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، لاشتماله على الآيات الكونية الدالة على وجود الله، والشرائع والأحكام المنظمة لعلاقات الناس، والكفيلة بإسعادهم في الدارين (٣).

٩- مرجع الأمور كلها إلى الله ﷻ، ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، فهو صاحب الأمر والإرادة في إنزال الآيات المادية وغيرها، وهو القادر على كل شيء (٤).

(١) تفسير الشعراوي (١٢ / ٧٣٣٩).

(٢) انظر: التفسير المنير: الزحيلي (١٣ / ١٧٧).

(٣) انظر: التفسير الوسيط: الزحيلي (٢ / ١١٦٨).

(٤) انظر: المرجع السابق نفس الجزء والصفحة.

المطلب الثالث

عقاب من استهزأ بالرسول وصد عن سبيل الله

قَالَ تَعَالَى ﴿وَلَقَدْ أَسْتَهْزَيْتُمْ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمَلَيْتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ
 * أَمَّنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلُوبًا قَلِيلٌ سَمُوهُمْ أُمَّةً يَنْتَحِبُونَ لَهُ إِمَّا لَا يَعْلَمُونَ فِي الْأَرْضِ أَمْ
 يَظَاهِرُونَ مِنَ الْقَوْلِ بَلْ زِينٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَن يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ * لَهُمْ عَذَابٌ فِي
 الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَّاقٍ﴾ [الرعد: ٣٢ - ٣٤].

أولاً: المناسبة:

لما كان الكفار يسألون النبي ﷺ هذه الآيات على سبيل الاستهزاء والسخرية، وكان ذلك يشق عليه، ويتأذى منه، أنزل الله تسليية له على سفاهتهم، فأملى الله ﷻ لهم مؤقتاً وأمهلهم ثم أخذهم أخذاً شديداً، والآية استمرار للسياق، وتعقيب على ما سبقها، وفيها تطمين وتثبيت للنبي ﷺ حيث كان ذلك يشق عليه، وإنذار للكفار^(١).

ثانياً: المعنى اللغوي:

- ١- (فَأَمَلَيْتُمْ) الاملاء أن يترك مدة طويلة من الزمن في دعة وأمن^(٢).
- ٢- (أَشَقُّ) أشد منه اسم تفضيل من شق يشق من باب نصر مشقة، وشق الأمر: اشتد وصعب^(٣).
- ٣- (وَاقٍ) حفظ الشيء مما يؤذيه ويضره^(٤).

ثالثاً: المعنى الاجمالي:

لقد استهزأ الطغاة والجاحدون برسول كثيرين من قبل رسول الله فأمهلهم وتركهم مدة من الزمان في أمن ودعة، كما يملى للبهيمة في المرعى، ثم عاقبهم أشد العقاب، والآية تسليية لرسول الله ﷺ عما لقي من المشركين من التكذيب والطلب، على طريقة الاستهزاء به، ووعيد لهم، ودمرهم تدميراً.

(١) انظر: التفسير الحديث (٥/ ٥٤٤)، تفسير المراغي (١٣/ ١٠٦).

(٢) انظر: إعراب القرآن وبيانه: محي الدين درويش (٥/ ١٢٥).

(٣) انظر: المرجع السابق نفسه (٥/ ١٢٦).

(٤) انظر: المفردات في غريب القرآن: الراغب الأصفهاني (ص: ٨٨١).

ومن يضل الله ﷻ، فما له من هاد، ولهم عذاب في الحياة الدنيا، بالقتل والأسر، ولعذاب الآخرة أشق وأشد، وما لهم من الله ﷻ مانع يمنعهم من العذاب^(١).

رابعاً: البلاغة:

- ١- (أَمَّنْ هُوَ قَائِمٌ) الاستفهام للتعجب مما حل بهم، والتهويل من شدته وفظاعته^(٢).
- ٢- (أَمْ تُنَبِّئُونَهُ) أم منقطعة مقدره ب (بل) والهمزة إنكارية، أي: بل أتخبرون الله تعالى بما لا يعلم في الأرض^(٣).
- ٣- (لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ) نفي للملزم بنفي اللزوم بطريق الكناية، أي: لا شريك له ولا علم إذ لو كان الشريك موجوداً لكان معلوماً لله تعالى^(٤).
- ٤- (لَقَدْ اسْتُهِزِّيَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ) التنكير للتكثير، أي: بجميع الرسل من قبلك^(٥).
- ٥- (أَفَمَنْ) أفمن موصولة مرفوعة المحل على الابتداء والخبر محذوف، والاستفهام بمعنى النفي، أي: أفالله الذي هو قائم رقيب على كل نفسٍ سالحة أو طالحة بما كَسَبَتْ^(٦).
- ٦- (فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ) الاستفهام للتعجب.
- ٧- (الرَّقِيبِ) عدي بحرف على المفيد للاستعلاء المجازي، وأصله من القيام وهو الملازمة^(٧).
- ٨- (بِمَا كَسَبَتْ) الباء للملابسة.
- ٩- (أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ) استفهام إنكاري توبيخي، أي ما كان لكم أن تفتروا على الله ﷻ فنتضعوا له شركاء لم ينبئكم لوجودهم.
- ١٠- (بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ) كناية عن غير الموجود لأن ما لا يعلمه الله لا وجود له إذ لو كان موجوداً لم يخف على علم العلام بكل شيء.

(١) انظر: التفسير الوسيط: طنطاوي (٧/ ٤٨٥)، محاسن التأويل: القاسمي (٦/ ٢٨٦).

(٢) انظر: التفسير الوسيط: طنطاوي (٧/ ٤٨٥).

(٣) انظر: روح البيان: أبو الفداء (٤/ ٣٧٩).

(٤) انظر: المرجع السابق نفسه: الصفحة نفسها.

(٥) انظر: المرجع السابق نفسه (٤/ ٣٧٨).

(٦) روح البيان: أبو الفداء (٤/ ٣٧٩).

(٧) انظر: المرجع السابق نفسه.

١١- (عَذَابٌ) نكرة للتعظيم، وهو عذاب القتل والخزي والأسر.

١٢- (من) الداخلة على اسم الجلالة؛ لتعديده واق، و(من) الداخلة على واق؛ لتأكيد النفي، وللتصيص على العموم^(١).

خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف:

١- "إن الحرب المركزة والعنيفة الشعواء على الشرك والوثنية في منهج الإسلام وجميع الأديان، إنما كانت من أجل إنهاء هذه الظاهرة الشاذة التي لا تتفق مع العقل السوي والكرامة الإنسانية، ولتوجيه الإنسان نحو ما ينفعه ويدفع عنه الضرر بالفعل، وليترفع عن عبادة ما لا ينفع ولا يضر بحال من الأحوال، وهذا يحقق سمو الإنسان؛ لذا وبخ القرآن الكريم أولئك المشركين الوثنيين الذين عبدوا جمادات صماء، لا حركة فيها ولا حياة، ولا تفيد شيئاً، ولا تمنع شراً"^(٢).

٢- إن الله مطلع على كل نفس في السر والعلن فوق الأرض وتحتها، عالم بما يكسب كل إنسان من أعمال الخير والشر، ولا يخفى عليه خافية، قادر على كل شيء، فكيف يجعلون القادر العالم، كمن لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعاً ولا ضرراً، وكيف يتخذونه رباً يطلبون منه النفع ودفع الضرر ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ [الأنعام: ٥٩]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا^٤ كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [هود: ٦] ^(٣).

٣- من يخذله الله لكفره وعصيانه وضلاله، فماله من أحد يوفقه إلى الهداية وسلوك طريق النجاة والسعادة، والمراد أني سأنتقم من هؤلاء الكفار، كما انتقمتم من أولئك المتقدمين^(٤). قال رسول الله ﷺ: (إن الله ليملئ للظالم حتى إذا أخذ لم يفلته، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢] ^(٥).

(١) انظر: التحرير والتنوير: لابن عاشور (١٣/ ١٤٥-١٥٠).

(٢) التفسير الوسيط: الزحيلي (٢/ ١١٦٩).

(٣) انظر: التفسير الوسيط: الزحيلي (٢/ ١١٧٠).

(٤) انظر: المرجع السابق نفسه (٢/ ١١٧١).

(٥) صحيح البخاري: كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذهم أليم شديد﴾ [هود: ١٠٢]، (٧٤/٦) (ح ٤٦٨٦).

٤- الله تبارك وتعالى قائم على بني آدم بأرزاقهم، وآجالهم، وحفظ عليهم أعمالهم، فهو الله قائم على كل نفس، بر وفاجر يرزقهم ويكلوهم لا فرق بينهم فكلهم بشر في هذه الدنيا التي لا تساوي عند الله عِزِّ جناح بعوضة^(١).

٥- ذكر الله سبحانه وتعالى في هذه الآية أن لهم عذابين، أولهما عذاب الحياة الدنيا، والثاني عذاب الآخرة، ليس لهم من الله من واق.

أما عذاب الدنيا، فإنه واقع في هذه الحياة، وإن لم يكن هو الأشق، وعذاب الدنيا يبتدئ من ذات أنفسهم، وهو ضلال الفكر واضطرابه وعدم استقامة أنفسهم، فإن استقامة العقل والنفس نعمة واطمئنان واستقرار، وضد ذلك عذاب، لا ريب فيه، وعذاب الدنيا باللحاجة في الباطل، والبراهين ساطعة، والأدلة قائمة، ثم من عذاب الدنيا الخزيان والذل، وضرب الذلة، أما عذاب الآخرة، فهو أشق من عذاب الدنيا، ويواجهون الله، (وَمَا لَهُمْ مِّنَ اللَّهِ مِن وَّاقٍ)، فالله لا ينظر إليهم ولا يكلمهم، ويببدو لهم جهلهم، وضلالهم، ثم بعد ذلك جهنم التي جعلها مثوى الكافرين^(٢).

(١) انظر: توفيق الرحمن في دروس القرآن: فيصل بن عبد العزيز بن فيصل ابن حمد المبارك (٢/ ٥٢٢).

(٢) انظر: زهرة التفاسير: أبو زهرة (٨/ ٣٩٥٩).

المبحث الثالث

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة

الرعد من الآية (٣٥ إلى ٣٩)

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: وصف الجنة ونعيمها.

المطلب الثاني: خلاف أهل الكتاب في قبول ما أرسل للنبي من القرآن.

المطلب الثالث: حال النبي ﷺ كسابقه من المرسلين.

المطلب الرابع: إنزال القرآن حكماً عربياً شرف وتفضيل لرسول الله ﷺ.

المطلب الخامس: يمحو الله ما يشاء ويثبت.

المطلب الأول

وصف الجنة ونعيمها

قَالَ تَعَالَى ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلُّهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾ [الرعد: ٣٥].

أولاً: المناسبة:

ذكر مصير المشركين في الآية السابقة، فكان من المناسب أن يذكر في مقابل هذا المصير المشئوم، المصير الحسن الطيب، الذي أعدّه الله ﷻ للمؤمنين المتقين من عباده؛ ليكون في ذلك إثارة لأشواق المؤمنين، في حين أنه يملأ قلوب المشركين حسرة وألماً، ويقطع أكبادهم كمداً وحسداً^(١).

ثانياً: معاني المفردات:

١ - (مَثَلُ الْجَنَّةِ) أي: صفتها التي نقصها عليها^(٢).

٢ - (عُقْبَى) أعقب الرجل: كان عقيبها، وأعقب الأمر عقباً وعقباناً، وعقبى، حسنة أو سيئة^(٣).

٣ - (كُلُّهَا دَائِمٌ) ثمر مستمر^(٤).

ثالثاً: المعنى الإجمالي:

بين الله ﷻ نعيم الجنة مقارنةً بعذاب النار، فالجنة ثمرها مستديم؛ ولا ينقطع ولا يمتنع بأوان وظلها باقٍ، لا ينسخ بالشمس كظل الدنيا، وبين أن النار عذابها دائم، كدوام نعيم الجنة^(٥).

رابعاً: البلاغة:

(كُلُّهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا) ، كناية عن التفاف الأشجار، بحيث لا فراغ بينها تنفذ منه الشمس^(٦).

(١) انظر: التفسير القرآني للقرآن: عبد الكريم يونس الخطيب (٧/ ١٣٤).

(٢) انظر: غريب القرآن: ابن قتيبة (ص: ٢٠).

(٣) انظر: المحكم والمحيط الأعظم: أبو الحسن بن سيده المرسي (١/ ٢٤١).

(٤) انظر: زهرة التفاسير: أبو زهرة (٨/ ٣٩٦٠).

(٥) انظر: أوضح التفاسير: محمد محمد بن الخطيب (١/ ٣٠٢).

(٦) التحرير والتتوير: ابن عاشور (١٣/ ١٥٥).

خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف:

١- ميزة القرآن الكريم في الجمع بين الوعد والوعيد؛ إذ بهما تمكن هداية الناس؛ حيث إنه كلما توعد القرآن بالخير ازدادوا بالهدى، وحينما يتوعدهم بالعذاب يستشعر قدرة الله سبحانه^(١).

٢- قرن القرآن بين الوعد والوعيد؛ حيث إنَّ الوعد له معنى خاص، وأقسام متعددة، كالتالي:
الوعد لغة :

يستعمل في الخير والشر يقال وعده خيراً وبالخير، أو شراً وبالشر، قال تعالى :

﴿ وَعَدَّكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً ﴾ [الفتح: ٢٠]، وقال تعالى: ﴿ وَعَدَّ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ

وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾ [التوبة: ٦٨]، ودلالته على الخير والشر مشروط بتعيين الموعود، فإذا لم يذكر الموعود أو أبهم كان مختصاً بالخير^(٢).

أما الميعاد "فيقصد به وقته وموضعه"؛ لقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِأَخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ ﴾ [الأنفال: ٤٢] ^(٣).

الوعد اصطلاحاً :

ذكر العلماء عدة تعاريف، ولعل أقربها للصواب هو تعريف الألويسي، بأنه : الإخبار عن إيصال المنافع قبل وقوعها^(٤).

* أقسام الوعد باعتبار دلالاته :-

الوعد العام: وهو المستغرق لجميع أفراده دفعة بوضع واحد سواء من حيث جهة أهل الوعد، كما في الحديث: (من شهد أن لا اله إلا الله وأن محمداً رسول الله، حرم الله عليه النار)^(٥)، أو من حيث جهة مقتضى الوعد أو جهة الجزاء الموعود^(٦).

(١) انظر: أيسر التفاسير: الجزائري (٣/٣٣).

(٢) انظر: الوعد الأخروي: عيسى عبد الله السعدي (ص: ١٣) بتصرف.

(٣) القاموس المحيط: للفيروز آبادي (١ / ٦٤٩).

(٤) انظر: روح المعاني (٣/١٤٥).

(٥) صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرّم على النار (٥٧/١) ح (٢٩).

(٦) انظر: الوعد الأخروي: عيسى عبد الله السعدي (٢٥).

الوعد الخاص: وهو القاصر على بعض الأفراد أو الأوصاف أو أنواع الجزاء^(١).

أما الوعيد فهو :

تخويف بسوء المجازاة في المستقبل تحذيراً من الوقوع في المخالفات^(٢)، وفي القرآن العظيم منه كثير، فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا الْكُنُوبَ إِمْنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعْنَا أَصْحَابَ السَّبْتِ ۗ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾ ، [النساء: ٤٧] وقوله تعالى : ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَنَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا ﴾ [النساء: ٩٣].

وقال رسول الله ﷺ للمتلاعنين: (إن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة)^(٣).

١- الجنة (أكلها دائم وظلها)، عن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: (خَسَفَتِ الشَّمْسُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَصَلَّى، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ رَأَيْتَ كَيْفَ تَنَاوَلْتَ شَيْئًا فِي مَقَامِكَ، ثُمَّ رَأَيْتَ كَيْفَ تَكَعَّكْتَ، قَالَ: إِنِّي أُرَيْتُ الْجَنَّةَ فَتَنَاوَلْتُ مِنْهَا عِنْقُودًا، وَلَوْ أَخَذْتَهُ لِأَكَلْتُمْ مِنْهُ مَا بَقِيَتْ الدُّنْيَا)^(٤).

أشير هنا إلى أن كثيراً من الناس يستعجلون الخير، وكثيراً منهم يستعجل أن يصيبه الشر في الدنيا، كي يهون عليه في الآخرة، وإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة، فعذاب الدنيا يزول ويفنى، أما عذاب الآخرة فشديد باقٍ.

٢- قال ابن كثير: "وكثيراً ما يقرن الله تعالى بين صفة الجنة وصفة النار، ليرغب في الجنة، ويحذر من النار، ولهذا لما ذكر صفة الجنة بما ذكر قال بعده: (تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار)، كما قال تعالى: ﴿ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۗ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ الْفَائِزُونَ ﴾ [الحشر: ٢٠]"^(٥).

(١) انظر: الوعد الأخرى: عيسى عبد الله السعدي (٢٥).

(٢) انظر: القيامة الكبرى: عمر العتبي (٢٧/١).

(٣) سنن الترمذي: أبواب تفسير القرآن عن رسول ﷺ، باب: ومن سورة النور (١٨٣/٥) (ح ٣١٧٨)، هذا حديث حسن صحيح.

(٤) صحيح البخاري: كتاب الأذان، باب رفع البصر إلى الإمام في الصلاة، (١/١٥٠) (ح ٧٤٨).

(٥) تفسير القرآن العظيم (٤/٤٦٦).

٣- الجنة هي عاقبة ومصير أهل التقوى، وعاقبة الكافرين النار، بسبب كفرهم وذنوبهم، كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الحشر: ٢٠]. وأشار هنا إلى أن أهل التقوى والعفاف يستحقون بالفعل تلك الجنان التي وصفها الله ﷻ بأوصاف كثيرة إن علمنا منها شيئاً، فما هو إلا قليل مما أعلم، وأن النار مستحقة للكافرين الحاقدين^(١).

٤- "الجنة مخلوقة أَعَدَّهَا اللَّهُ ﷻ لِلْمُتَّقِينَ، وقال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣]، فخلق الله سبحانه وتعالى الجنة دليل على قدرته سبحانه، وقد وصفها بأوصاف جمّة، وقد أَعَدَّهَا أيضاً للمتقين، وقد وصف المتقين بأوصاف العفاف"^(٢).

٥- التقوى لغة: فهي مأخوذة من الوقاية، وما يحمي به الإنسان رأسه^(٣). اصطلاحاً: "هو الاحتراز بطاعة الله عن عقوبته، وهو صيانة النفس عما تستحق به العقوبة من فعل أو ترك"^(٤).

عرّف علي بن أبي طالب ﷺ التقوى فقال: هي الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل، والقناعة بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل^(٥). وهناك الكثير من الثمرات التي تعود على المرء بسبب التقوى؛ فما من خير إلا وعلّقه رب العزة سبحانه بالتقوى:

أ- تفريج الكرب: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾﴾ [الطلاق: ١].

ب- سعة في الرزق: ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢].

ج- قبول العمل: ﴿قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [المائدة: ٢٧].

د- سداد في الرأي وتوفيق في النظر: ﴿إِنْ تَقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٩].

(١) انظر: التفسير المنير: الزحيلي (١٣/ ١٨٢).

(٢) التفسير المنير: الزحيلي (١٣/ ١٨٧).

(٣) انظر: تهذيب اللغة: محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي (٩/ ٢٧٩).

(٤) التعريفات: للجرجاني (ص: ٦٥).

(٥) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية: أبو عبد الله محمد الزرقاني (٤/ ١٧١).

هـ- حسن العاقبة: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿١٩﴾
[يوسف: ٩٠].

٦- النار أيضاً مخلوقة أعدها الله ﷻ للكافرين المكذبين، قال تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ ﴿٢٤﴾ [البقرة: ٢٤]، ولقد أعد الله النار لمن كفر وعاند وجحد بكفره، فهو مصيرهم جزاءً بما كسبته أيديهم على مر الأزمنة، ومنهم في عصرنا هذا اليهود قتلوا الأطفال والشيوخ الذين لا يرحمون شجراً ولا حجراً في عدوانهم المستمر على بلادنا في كافة الأصعدة، فالويل لهم من عذاب يوم أليم، فهم الذين نقضوا العهود والمواثيق مع الرسول ﷺ واليوم لا ميثاق لهم ولا عهد بيننا وبينهم، فكلما قارب الاتفاق عادوا إلى ما كانوا عليه، فحقت لهم النار بإذن الله.

المطلب الثاني

خلاف أهل الكتاب في قبول ما أرسل للنبي من القرآن

قَالَ تَعَالَى ﴿ وَالَّذِينَ آمَنَتْهُمْ أَكْتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَهُ إِلِيهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَتَابٍ ﴾ [الرعد: ٣٦].

أولاً: المناسبة:

بعد الفراغ من ذكر أحوال المشركين انتقل ﷺ إلى فضل بعض أهل الكتاب في حسن تلقيهم للقرآن وإنكار بعضهم^(١).

ثانياً: معاني المفردات:

١- (مَتَابٍ) مرجع^(٢).

٢- (يُنْكِرُ) يجحد^(٣).

ثالثاً: المعنى الإجمالي:

كان لدعوة النبي ﷺ فريقيان: فريق المؤمنين بالكتاب المؤيدين له، وفريق الجاحدين من أهل الملل من اليهود والنصارى المتحزبين عليه ﷺ، المنكرين الذين يتمسكون بشبهاتٍ وأعدارٍ واهية^(٤).

رابعاً: البلاغة:

١- في التعبير عن الكفار بـ (الْأَحْزَابِ) إيماءً إلى أن هؤلاء هم المتحزبون المتصلبون لقومهم ولما كانوا عليه^(٥).

٢- (إِنَّمَا) قصر إضافي دلت عليه القرينة، أفادت أنه لم يؤمر إلا بأن يعبد الله ﷻ ولا يشرك به، أي: لا بغير ذلك مما عليه المشركون^(٦).

(١) انظر: التحرير والتنوير: ابن عاشور (١٣/ ١٥٦).

(٢) انظر: تأويلات أهل السنة: الماتريدي (٦/ ٣٤٩).

(٣) انظر: معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن: حسن الجمل (٥/ ١١٤).

(٤) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن: الطبري (١٦/ ٤٧٣).

(٥) انظر: التحرير والتنوير: ابن عاشور (١٣/ ١٥٧).

(٦) انظر: المرجع السابق نفسه (١٣/ ١٥٨).

٣- (إِلَيْهِ أَدْعُوا) "أي أدعو إليه وحده؛ فتقديم الجار والمجرور يدل على أنه لا يدعو إليه غيره، فلا يدعو ابناً، ولا أمّاً لهذا الابن، ولا روح قدس، ولا غير ذلك" (١).

خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف:

١- بعض من أسلم من اليهود والنصارى الذين جاؤوا من الحبشة يفرح بالقرآن الكريم؛ لتصديقه كتبهم، ويفرح بذكر الرحمن؛ لكثرة ذكره في التوراة، ولقد جاء القرآن الكريم مصدقاً بالكتب السماوية السابقة، وقد ورد فيه بعض المعاني والآيات التي وردت في تلك الكتب السابقة، وقد ورد فيها أيضاً اسم النبي محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّورَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾﴾ [الصف: ٦] (٢).

٣- أشير هنا إلى أن الرحمن هو من أعظم الأسماء التي سمى الله بها نفسه فهو الرحمن بعباده الرحيم بهم وقد ورد في كل سورة من القرآن الكريم ولكن لم يرد لفظ الرحمن في سورة براءة فلم تذكر البسملة لأن الرحمن تعني الامان والسكينة ولكن سورة براءة بدأت بالسيف والتبرؤ من المشركين وقد فضحت وكشفت أمر المنافقين فلا يجتمع الأمان مع السيف.

٣- الأحزاب هم مشركو مكة، ومن لم يؤمن من اليهود والنصارى والمجوس، أو هم العرب المتحزبون على النبي ﷺ، من ينكر بعض ما في القرآن الكريم؛ لأن فيهم من كان يعترف ببعض الأنبياء، وفيهم من كان يعترف بأن الله خالق السموات والأرض (٣).

٤- دعوة النبي ﷺ للناس مقصورة على الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وإلى الإيمان بالبعث والحساب والجزاء؛ لقوله تعالى: (إليه أَدْعُوا وإليه مآب)، وقد أرسل الله ﷺ الرسول ﷺ؛ ليحث الناس على عبادة الله وحده، لأنه هو الواحد الأحد فهو المستحق بالعبادة، ولا معبود غيره؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦]

٥- العبادة لغة :

التصرفات المشروعة التي تجمع كمال المحبة والخوف والخضوع لله تعالى (٤).

(١) زهرة التفاسير: أبو زهرة (٨ / ٣٩٦٣).

(٢) انظر: التفسير المنير: الزحيلي (١٣ / ١٨٧).

(٣) انظر: المرجع السابق نفسه: الصفحة نفسها.

(٤) انظر: معجم لغة الفقهاء: محمد رواس قلعجي - حامد صادق قنيبي (ص: ٣٠٣)

العبادة شرعاً: هي اسم جامع لكل ما يحبه الله، ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة، فالعبادة هي الهدف الأسمى من خلق الإنسان واستخلافه في الأرض.

وأنواع العبادة أربعة وهي :

- عبادة قلبية، وتقوم على التوحيد والإخلاص.
 - عبادة بدنية، وتقوم على الصلاة والصيام.
 - عبادة مالية، وهي الزكاة.
 - عبادة مالية بدنية، وتتضمن حج بيت الله الحرام، والجهاد في سبيل الله بالمال والنفس^(١).
- ٦- الغاية من العبادة هي ذكر الله ﷻ، والثناء عليه، وشكره، وتسيحه، وتعظيمه طلباً لمرضاته، مما يؤدي إلى الابتعاد عن المعاصي، والآثام، والإكثار من فعل الخيرات، وبهذا تكون العبادة سبباً في إصلاح النفوس، وتهذيب الأخلاق.
- ٧- تقرير عقيدة الوحي والنبوة: لقد أقر الله ﷻ نبوة سيدنا محمد ﷺ بتأييده بالعديد من المعجزات الدالة على نبوته وأن محمداً ﷺ نبي موحى إليه قال تعالى: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم: ٣ - ٤]، فما جاء به النبي ﷺ وما أمر به من قول أو فعل أو تقرير إن يجب الالتزام به وتطبيقه^(٢).
- ٨- تقرير عقيدة التوحيد: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، قسمان من أقسام التوحيد تضمّنهما الإيمان بالله ﷻ، ويُضمّ إليهما: توحيد الأسماء والصفات، فتوحيد الربوبية: هو اعتقاد تفرّد الله تعالى بالخلق والرزق، والملك والتدبير، وغيرها من الأفعال التي اختصّ بها دون خلقه، وتوحيد الألوهية: هو تفرّد الله في استحقاق العبادة، بحيث تُصرف له دون ما سواه^(٣).
- ٩- توحيد الربوبية يستوجب توحيد الألوهية؛ لأن من كان بهذه المرتبة من الكمال في الربوبية والتفرّد في الإنعام والرزق، كان المستحقّ للإفراد في العبادة، فكيف يُعبد من كان مفتقراً إلى غيره؟ وكيف يُعبد من كان لا يملك لنفسه ضرراً ولا نفعاً؟ كما قال الله منكرًا على المشركين:

(١) انظر: جامع العلوم في اصطلاحات الفنون: الأحمد نكري (٢/٢١٦).

(٢) انظر: أيسر التفاسير: الجزائري (٣/٣٥).

(٣) انظر: المرجع السابق نفسه: الصفحة نفسها.

﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ إِلهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضِراً وَلَا نَفْعاً وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتاً وَلَا حَيَوةً وَلَا نُشُوراً﴾ (٣) [الفرقان: ٣].

وتوحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية؛ لأن من أفرد الله تعالى بالعبادة فهو مقرّ ضمناً بتفرد الله تعالى في الخلق والملك والتدبير، وغير ذلك من الأفعال الإلهية، ولولا إقراره بالربوبية ما أفردته بالعبادة^(١).

٧- أمر الله ﷺ نبيه ﷺ بأن يصدع بما يأمره دون تردد أو وجل، ويحدث الناس بما أمره بأنه وحي من عنده سبحانه وتعالى، وفي ذلك إشارة إلى كل إمام أن يأمر قومه بما يملي عليه من أمور الخير المأمور بها، وكذلك في إشارة إلى الأبناء أن يطيعوا أولياء الأمور فيما يؤمرونهم به من خير، فهم أجدر بالحياة وأمورها، وأعرف وأعلم بما يجد لهم^(٢).

٨- "القرآن لم ينكر الكتب السماوية السابقة بأصولها، لكنه أنكر التحريف في العقائد، وأنكر مواقف مَنْ حَرَّفُوا وَادَّعَوْا كَذِباً أَنْ هُنَاكَ بِنُورِ اللَّهِ ﷻ، وقد أثبت القرآن ما لله وما للرسول، وأنكر التحريف الذي أرادوا به السلطة الزمنية؛ وادعاء القداسة، والتجارة بصكوك الغفران، وبيع الجنة، وتلقي الاعترافات، وغير ذلك مما لم ينزل به كتاب سماوي.

وحيث جاء الإسلام؛ ليُحَرِّمَ ذلك دافعوا عن سلطتهم التي يتاجرون بها في أمور الدين، وهي ليست من الدين"^(٣).

٩- الرسول ﷺ يتعصب لما يتعلق بربه؛ وقد يتهاون بما يتعلق بشخصه.

ولذلك وجدنا بعض الملاحدة قد قالوا له: نحن نؤمن بالله وبالسماء، والوحي وبكل شيء، لكننا لا نؤمن بك أنت، ولم يغضب رسول الله ﷺ، ولو كان يُدخِلُ ذاته أو أنايته في الأمر لَغَضِبَ، ولكنه لم يغضب.

والدليل على هذا هو أن مواجيدته ﷺ كانت مع الروم المؤمنين بكتاب سماوي ضد المشركين الذين لا يؤمنون بدين سماوي وهم الفُرس؛ وحزن ﷺ حين غلبت الروم، فنزل إليه القول الحق بنبا النصر القادم في بضع سنين؛ تسلياً له ﷺ: ﴿الْمَآءَ (١) غَلِبَتِ الرُّومُ (٢) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَٰكِبُونَ (٣) فِي بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ

(١) انظر: أيسر التفاسير: الجزائري (٣/ ٣٥).

(٢) انظر: التفسير الوسيط: طنطاوي (٧/ ٤٩٢).

(٣) تفسير الشعراوي (١٢/ ٧٣٧٥).

قَبْلُ وَمِنْ بَعْدِ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾ [الرّوم: ١ - ٥] (١).

١٠- "التعبير بالفرح هنا حقيقة نفسية في القلوب الصافية، وهو فرح الالتقاء على الحق، وزيادة اليقين بصحة ما لديهم، ومؤازرة الكتاب الجديد له" (٢).

١١- الفرحة بما أنزل من عند الله هو مقدمات الفرحة بالله، فإذا رفعت أكنة الغفلة عن القلب تلتذ بسماع الخطاب من وراء الباب، وذلك أمانة القرب، وهذا مقام أهل المراقبة من المحبين، (ومن الأحزاب)، وهم أهل الرئاسة والجاه، من ينكر وجود بعض هذه المقامات تعصباً وحمية أو ينسبها لنفسه غلطاً وجهلاً، فيقول له من تحقق بهذا المقام:

﴿ وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الرعد: ٣٦] ويغيب عنه بالاشتغال بالله، وبالذعاء إليه، وعلينا عباد الله المسلمين الموحدين أن نفرح بما أتانا الله من رزق وخير ونعم؛ لأن ذلك لا يكون إلا للعبد المؤمن الموحّد فرغم كل ما يصيبنا من جراحات إلا أننا نفرح بكرم الله ونعمه وخاصة نحن في بلاد الرباط وفي غزة التي رغم كل ما يصيبها من مآسي إلا أنها تتعالى على الجراح وتفرح بكل ما أراد الله به من خير وأشير هنا كما فرحنا في وفاء الأحرار وانتصار المقاومة وفي حرب الفرقان وحجارة السجيل وأخيراً بالعصف المأكول، وما النصر إلا من عند الله ﷻ (٣).

(١) انظر: تفسير الشعراوي: الشعراوي (١٢ / ٧٣٧٦).

(٢) في ظلال القرآن: سيد قطب (٤ / ٢٠٦٤).

(٣) انظر: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة (٣ / ٣٤).

المطلب الثالث

إنزال القرآن حكماً عربياً شرفاً وتفضيلاً لرسول الله ﷺ

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلِيُنَبِّئَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ

مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ﴾ [الرعد: ٣٧].

أولاً: المناسبة:

لما بينت هذه الآيات من مراتب الإعجاز ما بينت، وذكرت حال تلقي أهل الكتابين للقرآن عند نزوله عرّج على حال العرب في ذلك بطريقة التعريض بسوء تلقي مشركيه له مع أنهم أولى الناس بحسن تلقيه؛ إذ نزل بلسانهم مشتملاً على ما فيه صلاحهم وتنوير عقولهم^(١).

ثانياً: معاني المفردات:

١ - (حُكْمًا عَرَبِيًّا): القرآن لأنه به يحكم ويفصل بين الحق والباطل^(٢).

٢ - (وَلِيٍّ): ضد العدو، والله ولي المؤمن يهيئ له سبيل الخير ويسدده^(٣).

٤ - (وَاقٍ): حماية^(٤).

ثالثاً: المعنى الإجمالي:

كما أنزل الله الكتب السماوية على الأنبياء السابقين، أنزل القرآن على قلبك حال كونه حاكماً ومحكماً بلسان عربي مبين، مبيناً حقيقة ما معك وبطلان ما مع أهل الكتاب بتحريفهم^(٥).

رابعاً: البلاغة:

١ - (مِنْ اللَّهِ) (من) الداخلة على اسم الجلالة تتعلق بـ ﴿مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ﴾

[الرعد: ٣٧]، لتأكيد النفي تنصيماً على العموم^(٦).

(١) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: البقاعي (١٠ / ٣٥٧).

(٢) انظر: الوجيز: الواحدي (ص: ٥٧٥).

(٣) انظر: معجم وتفسير لغوى لكلمات القرآن: حسن الجمل (٥ / ٢٨٣).

(٤) انظر: المرجع السابق (٥ / ٢٦٥).

(٥) انظر: جامع البيان في تفسير القرآن: الإيجي (٢ / ٢٧٨).

(٦) انظر: التحرير والتنوير: ابن عاشور (١٣ / ١٦١).

٢- (مَا لَكَ مِنْ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ): سبق هذا التحذير في صورة الخطاب للرسول ﷺ؛ للتأكيد من مضمونه^(١).

خامساً: سبب النزول:

"قال الكلبي: عيرت اليهود رسول الله ﷺ وقالت: ما نرى لهذا الرجل مهمة إلا النساء والنكاح، ولو كان نبياً كما زعم، لشغله أمر النبوة عن النساء، فأنزل الله تعالى: (ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك، وجعلنا لهم أزواجاً)"^(٢).

سادساً: تحقيق المقاصد والأهداف:

١- دلت آية (ولقد استهزئ...) على تسلية النبي ﷺ، والتبصير له على سفاهة قومه، فإن أقوام سائر الأنبياء استهزءوا بهم، كما أن قومك يستهزئون بك، ودلت أيضاً على تهديدهم، فإنه تعالى يمهلهم مدة ليؤمن من علم الله أنه يؤمن منهم، ثم لما حق القضاء أخذهم بالعقوبة، وكما صنع بمن قبلهم يصنع بمشركي مكة، وبكل الكفار في كل زمان^(٣).

٢- "لا مماثلة إطلاقاً بين الله ﷻ النافع والضار بسبب فعل العبد، وبين الأصنام التي لا تنفع ولا تضر، فالله ﷻ هو القادر على كل شيء، وهو العالم بكل شيء، وتقدير الآية: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ﴾ [الرعد: ٣٣]، بالرقابة والحفظ بما كسبت شركائهم التي لا تضر ولا تنفع؟!"^(٤).

٣- ليس للأصنام حقيقة تذكر، فلا وجود للشركاء مع الله ﷻ، وما يعتمد عليه المشركون إن هو إلا مجرد ظن لا يغني من الحق شيئاً، وباطل من القول لا يفيد شيئاً، وكل ما في الأمر أن الشيطان زين لهم سوء اعتقادهم وصددهم عن سبيل الله ودينه الحق، أو زين لهم ضلالهم وكفرهم^(٥).

٤- من يخذله الله ويعلم أنه لا يهتدي، فماله من هاد يقدر على هدايته وتوفيقه والأخذ بيده إلى طريق النجاة والسعادة^(٦).

(١) انظر: التفسير الوسيط: طنطاوي (٧/ ٤٩٣).

(٢) أسباب النزول: الواحدي (١٥٨).

(٣) انظر: المرجع السابق نفسه (١٣/ ١٧٧).

(٤) المرجع السابق نفسه: الصفحة نفسها.

(٥) انظر: المرجع السابق نفسه: الصفحة نفسها.

(٦) انظر: التفسير المنير: الزحيلي (١٣/ ١٧٧).

٥- ربيكم تبارك وتعالى قائم على بني آدم بأرزاقهم، وآجالهم، وحفظ على أعمالهم، فهو ﷻ أعلم بكل ما سيحل بهم فهو الله قائم على كل نفس، مؤمنهم وكافرهم يرزقهم ويكلؤهم وهناك أمور حتمية لا يعلم بها إلا الله فالرزق واحد منها قال تعالى: "يرزق من يشاء بغير حساب"^(١).

٦- كما أنزل الله ﷻ الكتاب على الرسل بلغاتهم، كذلك أنزل القرآن الكريم إلى النبي ﷻ عربياً، أي: بلسان العرب، والمراد بالحكم القرآن كله؛ لأنه يفصل بين الحق والباطل ويحكم^(٢).

٧- ذكر الله ﷻ في هذه الآية أن لهم عذابين، أولهما: عذاب الحياة الدنيا، والثاني: عذاب الآخرة، ﴿ وَمَا لَهُمْ مِنْ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴾ [الرعد: ٣٤]، أما عذاب الدنيا، فإنه واقع في هذه الحياة، وإن لم يكن هو الأشق، وعذاب الدنيا يبتدئ من ذات أنفسهم، وهو ضلال الفكر واضطرابه وعدم استقامة أنفسهم، فإن استقامة العقل والنفس نعمة واطمئنان واستقرار وضد ذلك عذاب، لا ريب فيه، وعذاب الدنيا باللحاجة في الباطل، والبراهين ساطعة، والأدلة قائمة، ثم من عذاب الدنيا الخزي والعار، وضرب الذلة، ومن عذاب الدنيا قتلهم بسيف الحق، كما كان في بدر والأحزاب، بل أحد الذين رجعوا فيها من الغنيمة بالإتباب، وقد يكون عذاب الدنيا بآية من آياته ﷻ.

أما عذاب الآخرة فهو أشق من عذاب الدنيا، ويواجهون الله، ﴿ وَمَا لَهُمْ مِنْ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴾، فأنه لا ينظر إليهم ولا يكلمهم، ويبدو لهم جهلهم، وضلالهم، ثم بعد ذلك جهنم التي جعلها مثوى الكافرين^(٣).

(١) انظر: توفيق الرحمن في دروس القرآن (٢/ ٥٢٢).

(٢) التفسير المنير: الزحيلي (١٣/ ١٨٨).

(٣) انظر: زهرة التفاسير: أبو زهرة (٨/ ٣٩٥٩).

المطلب الرابع

حال النبي ﷺ كسابقه من المرسلين

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ [الرعد: ٣٨].

أولاً: المناسبة:

بعدما بين الله ﷻ أنه ليس هناك من ولي ولا وحمي إلا هو ﷻ رد على المقترحين من قريش بالملائكة المتعجبين من بعثة الله بشراً رسولاً^(١).

ثانياً: المعنى اللغوي:

١- (لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ) لكل أمرٍ قضاه الله كتاب كتب فيه، وقيل: لكل أجل من آجال الخلق كتاب عند الله^(٢).

٢- (وَذُرِّيَّةً): النسل^(٣).

ثالثاً: المعنى الإجمالي:

إن الرسل قبل سيدنا محمد ﷺ كانوا بشراً لهم نساء وأولاد، وكان هذا جواباً للذين طلبوا منه الآيات، ولكل أجل من آجال الخلق كتاب عند الله^(٤).

رابعاً: البلاغة:

- أرسلنا رسلاً جناس الاشتقاق.

خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف:

١- آية (وجعلنا لهم أزواجاً وذرية) تدل على الترغيب في النكاح، والحض عليه، وتنتهي عن التبتل، وهو ترك النكاح، وهذه سنة المرسلين، كما نصت عليه هذه الآية، والسنة واردة بمعناها، فعن

(١) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ابن عطية (٣/٣١٦).

(٢) انظر: غرائب التفسير وعجائب التأويل: أبو القاسم برهان الدين الكرمانى (١/٥٧١).

(٣) انظر: التحرير والتنوير: ابن عاشور (١٣/١٦٣).

(٤) انظر: زاد المسير في علم التفسير: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (٢/٤٩٩).

أنس رضي الله عنه قال: (جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم، فلما أخبروا كأنهم تقالوها فقالوا: وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم! قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. فقال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبداً، وقال الآخر: إني أصوم الدهر فلا أفطر، وقال الآخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم فقال: (أنتم الذين قلتم كذا وكذا أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني)^(١).

٢- في هذه الآية حض على طلب الولد، والرد على من جهل ذلك، فعن معقل بن يسار، قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إني أصبت امرأة ذات حسب وجمال، وإنها لا تلد، أفأتزوجها؟ قال "لا" ثم أتاه الثانية فنهاه، ثم أتاه الثالثة فقال: (تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم)^(٢).

٣- إتيان الرسول صلى الله عليه وسلم بمعجزات ليس إليه وليست بمشيئته، بل هو مفوض إلى مشيئة الله تعالى، فإن شاء أظهرها، وإن شاء لم يظهرها^(٣).

٤- وإن كل زمان له معجزته كما ذكرنا، فلا تكون آية صالحة لكل زمان، فلكل زمن المعجزة التي تناسبه؛ ولذا قال تعالى: (لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ)، أي: لكل زمن أمر قد كتبه الله تعالى في قدره، فكان لزمن موسى ما كتبه من معجزات، وكان لزمن عيسى معجزات كتبها سبحانه وقد كانت معجزة عيسى عليه السلام خرقاً لنظام الأسباب والمسببات، لأن الزمان كان يناسبه معجزات خارقة لنظام الأسباب والمسببات؛ وكان عيسى ذاته في وجوده معجزة خارقة لنظام الأسباب، فكذا كان إبرأؤه للأكمه والأبرص، وإحيائه للموتى، وإخراج الموتى من قبورهم، فكان هذا مناسباً لأجلها وزمنها، وكان كتاب الله تعالى بها، والزمن الذي عاش فيه ورسالته الخالدة، كان يناسبها، كتاب خالد يتحدى الأجيال جيلاً بعد جيل، وهو أعظم من كل معجزات عيسى، وموسى وإبراهيم - عليهم السلام -؛ لأن هذه المعجزات حوادث تنقضي، وتنتهي بزمنها، ولا يراها إلا من شاهدها، ولولا أن القرآن سجلها ما علم بها أحد، أما القرآن فمعجزته خالدة باقية تتحدى الناس جميعاً جيلاً بعد جيل؛ لأن شريعة محمد صلى الله عليه وسلم خالدة، فكانت معجزتها خالدة باقية تدل على صدقها أمام كل الناس في كل زمان^(٤).

(١) صحيح البخاري: كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح (٢/٧) (ح ٥٠٦٣).

(٢) صحيح ابن حبان: كتاب النكاح، باب ذكر الزجر عن تزويج الرجل من النساء من لا تلد (٣٦٣/٩) (ح ٤٠٥٦)، صححه الألباني.

(٣) انظر: لباب التأويل في معاني التنزيل: الخازن (٣/ ٢٢).

(٤) انظر: زهرة التفسير: أبو زهرة (٨/ ٣٩٦٦).

٥- عابوا على رسول الله ﷺ بكثرة الزوجات، وقالوا: لو كان رسولاً من عند الله ﷻ لما اشتغل بالنسوة بل كان معرضاً عنهم مشتغلاً بالنسك والزهد، فأجاب الله ﷻ بقوله ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾، وفيها رد على شبهات عدة طعنوا فيها على عدد الزوجات اللاتي تزوجهن رسول الله ﷺ فقد كان لسليمان صلوات الله وسلامه عليه ثلاثمائة امرأة ممهرة وسبعمائة سرية، ولداود صلوات الله وسلامه عليه مائة امرأة^(١).

٦- لكل أمر كتبه الله ﷻ أجلاً معيناً ووقتاً معلوماً، فلا آية من المقترحات بنازلة قبل أوانها، ولا عذاب مما خوفوا به بحاصل في غير وقته، ولا نبوة بحاصلة في غير الزمان المقدر لها، فموسى وعيسى ومحمد -عليهم السلام- جاءوا في أزمنة رأى الله ﷻ الإصلاح في وجودهم فيها لا يتقدمون عنها ولا يتأخرون، وهكذا انقضاء أعمار الناس ووقوع أعمالهم وآجالهم، كلها كتبت في آجال ومدد معينة لا تقديم فيها ولا تأخير، ونحو هذه الآية قوله ﴿لِكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَقَرٌّ﴾ [الأنعام: ٦٧]^(٢).

٧- وهنا شبهة قد تعرض أو قد عرضت لبعض المشركين والمستشرقين فيطعنون أو طعنوا في نبوة محمد ﷺ بأنه يتزوج النساء وأن شأن النبي أن لا يهتم بالنساء، وهذه شبهة تعرض للسذج أو لأصحاب التمويه، وقد يموه بها المبشرون من النصراني على ضعفاء الإيمان، فيفضلون عيسى ﷺ على محمد ﷺ، بيان عيسى لم يتزوج النساء، وهذا لا يروج على العقلاء لأن تلك بعض الحظوظ المباحة لا تقتضي تفضيلاً، وإنما التفاضل في كل عمل بمقايير الكمالات الداخلة في ذلك العمل، ولا يدري أحد الحكمة التي لأجلها لم يتزوج عيسى ﷺ أي امرأة، وقد كان يحيى ﷺ حصوراً، فلعل عيسى ﷺ قد كان مثله؛ لأن الله لا يكلفه بما يشق عليه وبما لم يكلف به غيره من الأنبياء والرسل، وأما وصف الله يحيى ﷺ بقوله: (وحصوراً)، فليس مقصوداً منه أنه فضيلة ولكنه أعلم أباه زكريا ﷺ بأنه لا يكون له نسل؛ ليعلم أن الله ﷻ أجاب دعوته فوهب له يحيى ﷺ لكرامة له، ثم قدر أنه لا يكون له نسل إنفاذاً لتقديره فجعل امرأته عاقراً^(٣).

٨- لكل أجل كتاب والموت بأي سبب من الأسباب هو نهاية الأجل الذي لا يتأخر ولا يتقدم فالموت بمرض، أو بقتل أو حرق أو غرق، أو استشهاد في سبيل كلمة حق لأجل الله تعالى: ﴿أَيُّنَمَا كُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ﴾ [النساء: ٧٨]، فالأسباب تتعدد ولكن الموت واحد^(٤).

(١) انظر: اللباب في علوم الكتاب: أبوحفص (١١ / ٣١٨).

(٢) انظر: تفسير المراغي: المراغي (١٣ / ١١٤).

(٣) انظر: التحرير والتنوير: ابن عاشور (١٣ / ١٦٢)، بتصريف.

(٤) انظر: زهرة التفاسير: أبو زهرة (٦ / ٢٨٢٦).

المطلب الخامس

النسخ والاثبات للشرائع والأحكام بمشيئة الله ﷻ

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ مَا يُرِيدُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ٣٩].

أولاً: المناسبة:

أخبر تعالى أن الرسول لا يأتي بالآيات من قبل نفسه، بل من عند الله ﷻ، وأنه لكل أجل كتاب ثم بين ﷻ أن المقادير بيده، وكل شيء يخضع لإرادته ومشيئته ﷻ^(١).

ثانياً: المعنى اللغوي:

١- (أُمُّ الْكِتَابِ): أي أصله وهو اللوح المحفوظ^(٢).

٢- (يَمْحُوا) (المَحْوُ) لكل شيء يذهب أثره^(٣).

٣- (وَيُثَبِّتُ) ثبت الشيء يثبت ثبوتاً دام واستقر فهو ثابت^(٤).

ثالثاً: المعنى الإجمالي:

إن الله ﷻ ذو إرادة ومشيئة لا تخضعان لإرادة الناس ومشيئاتهم فهو ﷻ يمحو ما يشاء من الشرائع والأحكام بحسب حاجة عباده ويثبت كذلك ما هو صالح لهم نافع وهو الذي حوى كل المقادير فلا يدخله تبديل ولا تغيير كالموت والحياة والسعادة والشقاء^(٥).

رابعاً: البلاغة:

(يَمْحُوا) و(وَيُثَبِّتُ) ، تضاد .

(١) انظر: التفسير الموضوعي: جامعة المدينة (ص: ٧٦).

(٢) انظر: مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد: محمد بن عمر نوي الجاوي (١/ ٥٦٢).

(٣) انظر: العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي (٣/ ٣١٤).

(٤) انظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: أحمد بن محمد بن علي الفيومي (١/ ٨٠).

(٥) انظر: أيسر التفاسير: الجزائري (٣/ ٣٥).

خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف:

١- من مشيئة الله تعالى محو الوعيد، وأن يلهم المذنبين التوبة والإقلاع ويخلق في قلوبهم داعية الامتنال، ومن مشيئة التثبيت أن يصرف قلوب قوم عن النظر في تدارك أمورهم، ومن آثار المحو تغيير إجراء الأحكام على الأشخاص، فبينما ترى المحارب المجرم مبحوثاً عنه مطلوباً للأخذ والعقاب فإذا جاء تائباً قبل القدرة عليه قبل رجوعه، ورفع عنه ذلك الطلب، وكذلك إجراء الأحكام على أهل الحرب إذا آمنوا ودخلوا تحت أحكام الإسلام.

وكذلك الشأن في ظهور آثار رضى الله، أو غضبه على العبد؛ فبينما ترى أحداً مغضوباً عليه مضروباً عليه المذلة، لانغماسه في المعاصي إذا بك تراه قد ألقع وتاب فأعزه الله ونصره^(١).

٢- ومن آثار المحو والإثبات تقليب القلوب بأن يجعل الله البغضاء محبة فقلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن، وقد محا الله وعيد من بقي من أهل مكة فرجع عنهم السيف يوم فتح مكة قبل أن يأتوا مسلمين، ولو شاء لأمر النبي ﷺ باستئصالهم حين دخوله مكة فاتحاً لكن الرسول ﷺ دخل دون قتال متسامحاً غافراً^(٢).

٣- "المحو والإثبات لا ينافي ما ثبت عنه ﷺ من قوله ﷺ: (رفعت الأقلام وجفت الصحف)^(٣) وذلك لأن المحو والإثبات هو من جملة ما قضاه الله ﷻ"^(٤).

٤- استدلت الرافضة على مذهبهم في البداء بآية المحو والإثبات هذه، والمقصود به عند الرافضة هو: أن يعتقد شيئاً ثم يظهر له أن الأمر بخلاف ما اعتقد الله تعالى عن ذلك وقالوا إنه جائز على الله ﷻ، فالبداء: معناه الظهور بعد الخفاء، كما في قوله تعالى: ﴿وَبَدَأَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر: ٤٧]، أي: ظهر^(٥).

ومعناه أيضاً: حدوث رأي جديد لم يكن من قبل، كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَأَهُم مِّنْ بَعْدِ مَا رَأَوْا الْآيَاتِ لَيْسَجُنَّهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ [يوسف: ٣٥].

(١) انظر: التحرير والتنوير: ابن عاشور (١٦٥ / ١٣).

(٢) انظر: المرجع السابق، نفس الجزء والصفحة.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه (٢٥١٦) (٦٦٧/٤) وقال حسن صحيح وصححه الألباني.

(٤) فتح البيان في مقاصد القرآن: القنوجي (٧٠ / ٧).

(٥) انظر: المرجع السابق نفسه (٧١ / ٧).

وله معان أخرى كلها لا تخرج عن مفهوم تجدد العلم بتجدد الأحداث، وهذه المعاني تستلزم سبق الجهل وحدوث العلم تبعاً لحدوث المستجدات؛ لقصور العقول عن إدراك المغيبات وهو ظاهر الفساد؛ لأن علمه سبحانه صفة قديمة أزلية لا يتطرق إليه التغيير والتبديل، والمحو والإثبات من معلوماته الأزلية وليس من البداء في شيء، وقد علم ما هو خالق وما خلقه وما هم يعملون^(١).

٥- جاء عن الرسول ﷺ في القنوت: عن الحسن بن علي - رضي الله عنهما -، قال: (علمني جدي رسول الله ﷺ كلمات أقولهن في قنوت الوتر: (اللهم اهديني فيمن هديت، وعافني فيمن عافيت، وتولني فيمن توليت، "وقني شر ما قضيت"، وبارك لي فيما أعطيت، إنك تقضي ولا يقضى عليك، إنه لا يذل من واليت، سبحانه ربنا تباركت وتعاليت)^(٢)، (وقني شر ما قضيت) ولا ينقلب الشر خيراً؛ إلا بمحوه وتغييره، وإثبات الخير مكانه.

ولولا جواز المحو والتبديل، وإمكانه: لأصبح الدعاء لغواً، لا طائل وراءه^(٣)؛ وقد قال تعالى: ﴿أَدْعُوَنِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، وعن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: (لا ينفع الحذر من القدر ولكن الله تعالى يمحو بالدعاء ما يشاء من القدر)^(٤).

٦- لكل أجل كتاب، ولكل أمر قضاه الله كتاب عند الله تعالى، يمحو الله من ذلك الكتاب ما يشاء أن يوقعه بأهله ويأتي به، ويثبت ما يشاء، أي يؤخره إلى وقته، وعنده أصل الكتاب الذي لا يتغير منه شيء، فنزول العذاب على الكفار، وإن طغوا، واكثروا الفساد والدمار، ونصر المؤمنين وإن خذلهم القاصي والداني واستضعفوا في الأرض لهما وقت معين مخصوص كل يلاقي ما يناسبه من عند الله ﷻ.

٧- والمحو يشمل الأقدار، والدعاء يفيد في رد القدر، فعن مجاهد، قال: (إلا الحياة والموت والشقاوة والسعادة فإنهما لا يتغيران)، وسأل مجاهد: رأيت دعاء أحدنا، يقول: اللهم إن كان اسمي في السعداء فأثبتته فيهم، وإن كان في الأشقياء فامحه عنهم، واجعله في السعداء، فقال: حسن؛ ثم لقيته بعد ذلك بحول أو أكثر فسألته عن ذلك، فقال: {إننا أنزلناه في ليلة مباركة} الآيتين، قال: يقضي في ليلة القدر ما يكون في السنة من رزق أو معصية، ثم يقدم ما يشاء

(١) انظر: مختصر إظهار الحق: محمد رحمت الله بن خليل الرحمن الكيرانوي، اختصار: محمد أحمد عبد القادر ملكاوي (ص: ١٠٨).

(٢) سنن ابن ماجه: أبواب إقامة الصلوات والسنة فيها، باب ما جاء في القنوت في الوتر (٢/٢٥٢)، (ح: ١١٧٨)، وقال (حديث صحيح).

(٣) انظر: أوضح التفسير: محمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب (١/ ٣٠٣).

(٤) المستدرک على الصحيحين: للحاكم كتاب التفسير، باب تفسير سورة الرعد بسم الله الرحمن الرحيم (٢/٣٨٠) (ح: ٣٣٣٣)، وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

ويؤخر ما يشاء، فأما كتاب السعادة والشقاء فهو ثابت لا يتغير، وقال الأعمش^(١)، عن أبي وائل^(٢): إنه كان كثيراً يدعو بهذا الدعاء: "اللهم إن كنت كتبتنا أشقياء فامحه، واكتبنا سعداء، وإن كنت كتبتنا سعداء فأثبتنا، فإنك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب"^(٣).

وقد يحرم الإنسان الرزق بسبب ذنب يرتكبه، وقد يزداد عمره بصلة الرحم وبر الأقارب، عن أبي هريرة قال: (من سره أن يبسط له في رزقه، وينسأ له في أثره، فليصل رحمه)^(٤).

وأصول الأشياء لا تتغير: وهي الخلق والخلق، والأجل والرزق، والسعادة والشقاوة، والذي في علم الله ثابت لا يتبدل، مثل قيام الساعة، وأجل بقاء الناس في القبور وكل ما كتب من الآجال وغيرها^(٥).

٨- "للعلماء في تفسير هذه الآية أقوال نجملها، وهي:

١- قال ابن عباس: يدبر أمر السنة فيمحو ما يشاء إلا الشقاء والسعادة والحياة والموت.

٢- قال مجاهد: مثل هذا.

٣- قال الحسن^(٦): يمحو الله من جاء أجله ويثبت من بقي أجله.

٤- قال عكرمة^(٧): يمحو الله القمر ويثبت الشمس.

٥- وقال آخرون: يمحو الله ما يشاء من الشرائع بالنسخ ويثبت ما يشاء بلا نسخ.

٦- وقال بعضهم: يمحو الله المحن والمصائب بالدعاء^(٨).

(١) الأعمش: سليمان بن مهران، الإمام شيخ الإسلام، شيخ المقرئين والمحدثين أبو محمد الأسدي الكاهلي، مولاهم الكوفي الحافظ. أصله من نواحي الري. فقبل ولد بقرية أمه من أعمال طبرستان في سنة إحدى وستين و قدما به إلى الكوفة طفلاً، وقيل: حملاً، انظر: سير أعلام النبلاء - للذهبي (٦/٣٤٤).

(٢) أبو وائل: شقيق بن سلمة الإمام الكبير شيخ الكوفة، أبو وائل الأسدي أسد خزيمة الكوفي، مخضرم أدرك النبي ﷺ وما رآه، الأعلام: الزركلي (٥/٨٧).

(٣) مختصر تفسير ابن كثير: الصابوني (٢/٢٨٦).

(٤) صحيح البخاري: كتاب الادب، باب من بسط له في الرزق بصلة الرحم (٥/٨) (ح/٥٩٨٥).

(٥) انظر: التفسير المنير: الزحيلي (١٣/١٨٨).

(٦) الحسن: هو الحسن بن أبي الحسن يسار، أبو سعيد، مولى زيد بن ثابت الأنصاري، ويقال مولى أبي اليسر كعب بن عمرو السلمي، من ألقابه: الإمام شيخ الإسلام أبو سعيد البصري، ورأس طبقة التابعين، إمام أهل البصرة. وفيات الأعيان: ابن خلكان (٢/٦٩).

(٧) عكرمة: العلامة، الحافظ، المفسر، أبو عبد الله القرشي، مولاهم المدني، البربري الأصل، قيل: كان لحصين ابن أبي الحر العنبري، فوهبه لابن عباس انظر: سير أعلام النبلاء: الذهبي (٥/٣٧٨).

(٨) التفسير الواضح: محمد الحجازي (٢/٢٤٠).

المبحث الرابع

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الرعد من الآية (٤٠ إلى ٤٣)

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : البلاغ على الرسول والحساب على الله.

المطلب الثاني : قدرة الله في خراب القرى الظالمة .

المطلب الثالث : رد كيد الكافرين والعاقبة للمتقين.

المطلب الرابع : إنكار الكافرين لرسالة النبي ﷺ وشهادة الله له بها.

المطلب الأول

البلاغ على الرسول والحساب على الله

قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ مَا نُزِّنَاكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَقَّئُكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا

الْحِسَابُ﴾ [الرعد: ٤٠].

أولاً: المناسبة:

بعد أن ذكر الله تعالى طلب المشركين إنزال آيات واستعجال العذاب، ذكر هنا احتمال وقوع ما توعدوا به، سواء في حياة النبي ﷺ أو بعد وفاته (١).

ثانياً: المعنى اللغوي:

١- (نُزِّنَاكَ): أرى: جعله يرى، أطلع على، ويقال: بدل أراه، أي: جعله يراه وأطلععه عليه، أراه له (٢).

٢- (نَعِدُهُمْ): وعده وعداً يستعمل في الخير والشر ويعدى بنفسه، وبالباء فيقال وعده الخير وبالخير، وشرراً وبالشر، وقد أسقطوا لفظ الخير والشر، وقالوا في الخير وعده وعداً وعدة، وفي الشر وعده وعيداً (٣).

٣- (نَتَوَقَّئُكَ): "تميتك" (٤).

ثالثاً: المعنى الإجمالي:

يخاطب الله ﷻ نبيه المعصوم ﷺ بأن بعض الذي يعد به هؤلاء المشركين من العذاب، سيراه في حياته أو سيميته قبل ذلك، فليس على الرسول في الحاليين إلا بلاغ ما أرسل به، وعلى الله ﷻ حسابهم في الآخرة، فيجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته (٥).

(١) انظر: التفسير المنير: الزحيلي (١٣/ ١٩١).

(٢) انظر: تكملة المعاجم العربية: رينهارت بيتر أن دوزي (٥/ ٥٨).

(٣) انظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: الفيومي (٢/ ٦٦٤).

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (٢/ ٣٨٣).

(٥) انظر: الهداية الى بلوغ النهاية: مكي بن أبي طالب (٥/ ٣٧٥٨).

رابعاً: البلاغة:

- ١- (فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ) إنما للقصر، أي ليس عليك إلا البلاغ، وقد بلغت^(١).
- ٢- (وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ) العقاب، وعبر عن العقاب بالحساب؛ لأنه جزاء لما فعلوا، ويفعلون، وهو ذاته حساب لهم على ما آذوا المؤمنين، وهم مستمررون في غلوائهم^(٢).
- ٣- (تَوَفِّيْتَكَ)، التوفي كناية عن عدم رؤية حلول الوعيد بقريظة مقابلته بقوله: نرينك^(٣).
"الإتيان بكلمة (بَعْضَ) إيماءً إلى أنه يرى البعض، وفي هذا إنذار لهم بأن الوعيد نازل بهم ولو تأخر، وأن هذا الدين يستمر بعد وفاة رسول الله ﷺ"^(٤).
- ٤- (وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ) إن شرط دخلت عليها ما مؤكدة، وهي قبل الفعل، فصارت في ذلك بمنزلة اللام المؤكدة في القسم، التي تكون قبل الفعل في قولك: والله لنخرجن^(٥).
- ٥- (عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ) مستعملة في الإيجاب والإلزام، وهو في الأول حقيقة، وفي الثاني مجاز في الوجوب لله بالتزامه به^(٦).

خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف:

- ١- في الآية إشارة إلى أن خالق الكون متكفل بتسيير كونه طبقاً لمشيئته العليا، وأن الأمر لا يتوقف على أحد من خلقه، وسواء شاهد الرسول ﷺ بعيني رأسه ما بشر الله به -على لسانه- المؤمنين، وأنذر به الكافرين، أو توفاه الله إليه، وانتقل إلى الرفيق الأعلى قبل أن يشاهد ذلك، فالمهم بالنسبة إليه -بوصفه رسولاً- أن يقوم بواجب التبليغ عن ربه خير قيام، وحساب الخلق في النهاية موكول إلى الله ﷻ^(٧).

(١) انظر: زهرة التفاسير: أبو زهرة (٨/ ٣٩٦٩).

(٢) انظر: المرجع السابق نفسه: الصفحة نفسها.

(٣) انظر: التحرير والتنوير: ابن عاشور (١٣/ ١٦٩).

(٤) انظر: المرجع السابق نفسه: الصفحة نفسها.

(٥) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ابن عطية (٣/ ٣١٨).

(٦) التحرير والتنوير (١٣/ ١٧٠).

(٧) انظر: التيسير في أحاديث التفسير (٣/ ٢٥٠).

٢- لكل رسول من الرسل الكرام مهمة واضحة ووظيفة محددة، من أجل صالح البشرية، وتصحيح مسيرتها، ووضع الأنظمة الملائمة لحياتها، وإذا تحققت هذه المهمة أو الوظيفة، أصبح مضمونها حجة على البشر، ووجب عليهم العمل بها، والتزام ما جاء فيها، لخيرهم وإسعادهم، وفي عالم الآخرة: الحساب والجزاء على ما يقدمه الناس من خير أو شر، ولا ينفع مكر أو كيد، أو إنكار وإهمال، أو هروب من المسؤولية^(١).

٣- لكل أمة من الأمم رسول يهديهم ويرشدهم إلى ما فيه صلاحهم في المعاش والمعاد، فإذا جاء رسولهم وكذبوه وكفروا به، وقامت الحجة عليهم قضى بينهم بالقسط، وهم لا يظلمون، إذ العدل يقتضى إثابة الطائع والعاصي كل بما يستحق^(٢).

٤- "أن المؤمن يجب أن يعتقد أنه ليس هناك بشر في الوجود حياً أو ميتاً رسولاً أو ولياً له دخل في شيء، فهذا إمام الأنبياء وخاتم المرسلين يسجل الله عليه في القرآن قوله: (لا أملك لنفسي ضراً ولا نفعاً)"^(٣).

٥- "وقوله سبحانه: (وَإِنْ مَا تُرِيئُكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ) بتخصيص البعض بالذكر: مفهومه أن الأعمار تقصر عن إدراك جميع ما تأتي به الأقدار، مما يوعد به الكفار، وأن فتوحات المسلمين تأتي في المستقبل"^(٤).

٦- في الآية توجيه حاسم لما فيه من بيان طبيعة الدعوة وطبيعة الدعاة، فإن الدعاة إلى الله ليس عليهم إلا أن يؤديوا تكاليف الدعوة في كل مراحلها، ويصبروا على لأوائها، وليس عليهم أن يبلغوا بها إلا ما يشاؤه الله ﷻ، كما أنه ليس لهم أن يستعجلوا خطوات الحركة، وعليه بالترتيب لجني ثمار الدعوة إلى الله ﷻ، ولا أن يشعروا بالفشل والخيبة، إذا رأوا قدر الله يبطل بهم عن الغلب الظاهر والتمكين في الأرض، إنهم دعاة وليسوا قضاة^(٥).

(١) انظر: التفسير الوسيط: الزحيلي (٢/ ١١٧٥).

(٢) انظر: التفسير الواضح (٢/ ٦٨).

(٣) المرجع السابق نفسه: الصفحة نفسها.

(٤) التفسير الوسيط: الزحيلي (٢/ ١١٧٦).

(٥) انظر: في ظلال القرآن: سيد قطب (٤/ ٢٠٦٥).

المطلب الثاني

قدرة الله في خراب القري الظالمة

قال تعالى: ﴿أولم يروا أننا أتينا الأرض ننقصها من أطرافها والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب﴾ [الرعد: ٤١].

أولاً: المناسبة:

بعد أن بين الله ﷻ احتمال وقوع ما توعدوا به، وبيان أن وظيفته ﷻ التبليغ، بين ﷻ آثار حصول تلك المواعيد وعلاماتها قد ظهرت وقويت، بفتح المسلمين جوانب الأرض، وأن الله يحكم في خلقه ما يريد^(١).

ثانياً: المعنى اللغوي:

١- (نُقِصَ): نقص الشيء نقصاً ونقصاناً، وانتقص الشيء، أي: نقص، وانتقصته أنا، واستنقص المشتري الثمن، أي: استحط، والمنقصة: النقص، والنقيصة: العيب، وفلان ينتقص فلاناً، أي: يقع فيه ويثلبه^(٢).

٢- (أَطْرَافُهَا): أطراف الأرض: نواحيها، الواحد: طَرْف^(٣).

٢- (مُعَقَّبٌ): "عقب القاضي على حكم سلفه: أبطله، حكم بغيره" عقب قاضي الاستئناف على حكم المحكمة الأدنى - {والله يحكم لا معقب لحكمه}: لا راد له ولا ناقض^(٤).

ثالثاً: المعنى الإجمالي:

أولم ير هؤلاء المشركون أن الله ﷻ يملك للمؤمنين من ديارهم، ويفتح للرسول ﷺ الأرض بعد الأرض؛ حتى تنقص دار الكفر، وتزيد دار الإسلام؟ وذلك من أقوى الأدلة على أن الله

(١) انظر: التفسير المنير: الزحيلي (١٣ / ١٩١).

(٢) انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (٣ / ١٠٥٩).

(٣) انظر: العين أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي (٧ / ٤١٤).

(٤) معجم اللغة العربية المعاصرة: أحمد مختار عبد الحميد عمر (٢ / ١٥٢٤).

﴿مَنْجَزٌ وَعَدَهُ لِرَسُولِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ﴾، وليس يتعقب حكم الله ﷻ بنقصٍ ولا تغييرٍ، وهو سريع الانتقام ممن عصاه^(١).

رابعاً: البلاغة:

١- (أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا) الاستفهام إنكاري؛ لإنكار الوقوع بمعنى النفي، ونفي النفي إثبات، فالاستفهام الإنكاري داخل على "لم"، والمعنى: التنبيه على ما هو واقع بهم^(٢).

٢- (أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ) إظهار اسم الجلالة بعد الإضمار لتربية المهابة، وللتذكير بما يحتوي عليه الاسم العظيم من معنى الإلهية والوحدانية المقتضية عدم المنازع، وأيضاً لتكون الجملة مستقلة بنفسها؛ لأنها بمنزلة الحكمة والمثل^(٣).

٣- (الْحِسَابِ) كناية عن الجزاء والسرعة: العجلة^(٤).

٤- (الْأَرْضَ) يريد به اسم الجنس، أي تأتي أية أرض من أراضي الأمم، وأطلقت الأرض هنا على أهلها مجازاً^(٥).

٥- (نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا) تصوير ما كان يجريه على أيدي المسلمين، وأن عساكرهم وسرايهم كانت تفتح أرض المشركين المعتدين، وتأتيها غالبية عليها، ناقصة من أطرافها^(٦).

"الرؤية يجوز أن تكون بصرية، والمراد: رؤية آثار ذلك النقص، ويجوز أن تكون علمية، أي ألم يعملوا ما حل بأراضي الأمم السابقة من نقصك"^(٧).

٦- (لَا مَعْقَبَ) أفاد نفي جنس المعقب انتفاء كل ما من شأنه أن يكون معقباً من شريك أو شفيح أو داع أو راغب أو مستعصم أو مفند^(٨).

(١) انظر: صفوة التفاسير: الصابوني (٢/ ٨٠).

(٢) انظر: زهرة التفاسير: أبو زهرة (٨/ ٣٩٧٠).

(٣) التحرير والتنوير: ابن عاشور (١٣/ ١٧٢).

(٤) انظر: المرجع السابق نفسه (١٣/ ١٧٣).

(٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ابن عطية (٣/ ٣١٩).

(٦) الكشاف: الزمخشري (٢/ ٣٤٥).

(٧) التحرير والتنوير: ابن عاشور (١٣/ ١٧١).

(٨) انظر: التحرير والتنوير: ابن عاشور (١٣/ ١٧٢).

٧- (وَاللَّهُ يَحْكُمُ) "الاتفات من التكلم إلى الغيبة وبناء الحكم على الاسم الشريف والعلم الجليل من الدلالة على الفخامة وتربية المهابة وتحقيق مضمون الخبر بالإشارة إلى العلة ما لا يخفى على ذي بصيرة"^(١).

خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف:

١- قال عطاء وجماعة من المفسرين نقصان الأرض بموت العلماء، عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس، وفي رواية من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء؛ حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤساء جهالاً، فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا)^(٢).

قال عبد الله بن مسعود: (موت العالم ثلثة في الإسلام لا يسدها شيء ما اختلف الليل والنهار)، وقال عبد الله أيضاً: (عليكم بالعلم قبل أن يقبض، وقبضه ذهاب أهله)، وقال الأعمش: (لا يزال الناس بخير ما بقي الأول حتى يتعلم الآخر فإذا هلك الأول ولم يتعلم الآخر هلك الناس)، وقيل لسعيد بن جبير: ما علامة هلاك الناس؟ قال: هلاك العلماء، فعلى هذا القول، فالمراد بالأطراف العلماء^(٣).

٢- "وقال بعض المفسرين: المقصود بالآية هو خراب الأرض، والمعنى أو لم يروا أنا نأتي الأرض فنخربها ونهلك أهلها أفلا يخافون أن نعمل بهم ذلك؟ وقال مجاهد: هو خراب الأرض وقبض أهلها، وعن عكرمة^(٤)، قال: قبض الناس، وعن الشعبي^(٥)، مثله"^(٦).

٣- الله ﷻ لا يهزم جنده أبداً، ولا بد أن يهلك أعداء دعوته بسبب كفرهم وصددهم عن سبيل الله مهما تجبروا في الأرض فهم في الحقيقة هم الذين يهلكون أنفسهم بأنفسهم، وسيظل أمر

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن: القنوجي (٧/ ٧٣).

(٢) صحيح مسلم: كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان، (٤/ ٢٠٥٨) (ح ٢٦٧٣).

(٣) انظر: لباب التأويل في معاني التنزيل: الخازن (٣/ ٢٥).

(٤) عكرمة أحد التابعين، والمفسرين المكثرين، والعلماء الريانيين، والرحالين الجوالين، وهو: أبو عبد الله، وقد روى عن خلق كثير من الصحابة، وكان أحد أوعية العلم، وقد أفتى في حياة مولاه ابن عباس. البداية والنهاية ط إحياء التراث (٩/ ٢٧٢).

(٥) الشعبي: عامر بن شراحيل بن عبد بن ذي كبار قيل من أقبال اليمن، الإمام، علامة العصر، أبو عمرو الهمداني، ثم الشعبي ولد في إمرة عمر بن الخطاب، لست سنين خلت منها، وقيل: ولد سنة إحدى وعشرين، انظر: سير أعلام النبلاء: الزركلي (٥/ ١٧١).

(٦) مختصر تفسير البغوي: عبد الله بن الزيد (٤/ ٤٧٩).

الدعوة الإسلامية في صعود؛ لأن الله ﷻ مظهر الحق ومعليه، وسيرى المسلمون أرض الكفر تنتقص من حولهم يوماً بعد يوم، ولذلك يقول الحق في آية أخرى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَأَلَّهِ بِحُكْمِكُمْ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِمْ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [الرعد: ٤١] (١).

٤- "نَنْقُصُهَا" نأخذها جزءاً فجزءاً من دائرة الكفر، حتى تضيق حوزتهم، وتضيق الدائرة عليهم شيئاً فشيئاً؛ حتى يحيط بهم، ويصلح الرسل من الأرض، وكذلك كان الأمر، فقد كانت الغزوات والسرايا تنزل بالمشركين، وقد ذهبت إلى ما حول مكة وأطراف الجزيرة داعية إلى الله تعالى مجاهدة، فكانت الأرض تنقص من نفوذهم من أطرافها، بسببين: أولهما: وهو أن دعوة الإسلام تدخل إلى قلوبهم من يسري إليهم تلة من جنود المسلمين، وفي ذلك نقص من سلطانهم، وخروج من نفوذ مكة وأهلها.

ثانيهما: أنه يقتل من المشركين عدد، وإن لم يكن كثيراً، إلا أنه يبعدهم عن مكة وأهلها. وإن إتيان الله للأرض إتيان لقوة الله قوة الحق والإيمان فهو سبحانه يأتي القلوب فتزمن، ويعمرها بالإيمان، وكل عمران بالإيمان، نقص للأرض من سلطان الكفار.

وإذا دخل الإسلام أرضاً كان هو الحكم وحده، لا معقب لحكمه، أي: لا يخرج منه ويجيء عقبه حكم غيره، فالإيمان الصادق إذا دخل النفوس لا يخرج منها، لأنه يكون به سكونها واطمئنانها وقرارها" (٢).

٥- ﴿وَأَلَّهِ بِحُكْمِكُمْ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِمْ﴾ { ويدخل في هذا حكمه الشرعي، والقدري، والجزائي.

فهذه الأحكام التي يحكم الله ﷻ فيها، توجد في غاية الحكمة والإتقان، لا خلل فيها ولا نقص، بل هي مبنية على القسط والعدل والحمد، فلا يتعقبها أحد ولا سبيل إلى القدح فيها، بخلاف حكم غيره فإنه قد يوافق الصواب وقد لا يوافق؛ لأنهم بشر يخطئون ويصيبون، أما الله الواحد الأحد فهو منزّه عن كل عيب ونقص، فالله يحكم وحكمه النافذ الذي لا يردّ، ولا يستطيع أحد أن يبطله، وقد جرت سنته أن الأرض يستعمرها عباده الصالحون بالعدل فيها والسير على نهج المساواة وترك الظلم (٣).

(١) انظر: تفسير الشعراوي: الشعراوي (٦/ ٣٥٧٤).

(٢) انظر: زهرة التفاسير: أبو زهرة (٨/ ٣٩٧٠).

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن: السعدي (ص: ٤٢٠).

المطلب الثالث

رد كيد الكافرين والعاقبة للمتقين

قال تعالى: ﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسِعَعَهُ الْكُفْرُ لِمَنْ عُقِبَ الدَّارِ ﴿٤٤﴾﴾ [الرعد: ٤٢].

أولاً: المناسبة:

بعد أن أبان الله ﷻ آثار حصول المواعيد وعلاماتها التي وعد بها وظهرت وقويت، بفتح المسلمين جوانب الأرض، وأن الله يحكم في خلقه ما يريد، أبان ﷻ أن مكر هؤلاء المشركين ومن تقدمهم لا يضر المسلمين شيئاً، فالنصر سيكون لهم، والهزيمة والعذاب لغيرهم^(١).

ثانياً: المعنى اللغوي:

١- (مَكَرٌ) وأصل المكر الخداع، والمكر احتيال في خفية، ومكر الله ﷻ إيقاع بلائه بأعدائه دون أوليائه، والمكر من الله تعالى جزاء سمي باسم مكر المجازي، كما قال تعالى: (وجزاء سيئة سيئة مثلها)^(٢).

٢- (تَكْسِبُ) الكسب: طلب الرزق، وأصله الجمع، تقول منه: كسبت شيئاً، واكتسبته بمعنى^(٣)، والكسب: "العمل هو المفضي إلى اجتلاب نفع أو دفع ضرر"^(٤).

٣- (عُقِبَ): عُقِبَ كل شيء وعُقِبَاه، وعُقِبَانُهُ، وعاقبته: خاتمته، والعُقْبَى: المرجع^(٥).

وعُقِبَ، عُقِبَ، آخِرُ كلِّ شيءٍ وخاتمته " {هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبَى}، {وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ}^(٦).

(١) انظر: التفسير المنير: الزحيلي (١٣/ ١٩١).

(٢) انظر: لسان العرب: ابن منظور (٥/ ١٨٣).

(٣) انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (١/ ٢١٢).

(٤) التعريفات: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (١٨٤).

(٥) انظر: المحكم والمحيط الأعظم: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (١/ ٢٤٣) وشمس العلوم

ودواء كلام العرب من الكلوم: للحميري (٩/ ٥٨٣٢).

(٦) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة: أحمد مختار عبد الحميد عمر (٢/ ١٥٢٥).

ثالثاً: المعنى الإجمالي:

تتحدث الآيات عن مكائد كفار قريش بالنبي ﷺ، وتدعوه للصبر عليها، وألا يأبه بها، فلقد مكر الكفار السابقون برسولهم، وأرادوا طردهم من بلادهم، وعذبوهم، كما فعل النمرود بإبراهيم عليه السلام، وفرعون بموسى عليه السلام، واليهود بعبسى عليه السلام، فأحبط مكرهم خططهم وتدابيرهم، وسيتحقق الكفار يوم القيامة لمن العاقبة المحمودة، حيث تكون العاقبة المحمودة لأتباع الرسل في الدنيا والآخرة، ففي الدنيا النصر، وفي الآخرة الجنة^(١).

رابعاً: البلاغة:

١- (وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ)، شبه عملهم بالمكر وشبهه بعمل المكذبين السابقين كقوله:

﴿ مَا أَمَنْتَ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنبياء: ٦]، وفي هذا التشبيه رمز

إلى أن عاقبتهم كعاقبة الأمم التي عرفوها^(٢).

٢- (فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا) تقديم المجرور، للاختصاص^(٣).

٣- (جَمِيعًا) أكدت مدلول الاختصاص، وهو حال من المكر، وإنما جعل جميع المكر لله بتنزيل

مكر غيره منزلة العدم، فالقصر في قوله: (فله المكر) ادعائي، والعموم في قوله: (جميعاً) تنزيلي^(٤).

٤- (وَسَيَعْلَمُ الْكَافِرُ لِمَنْ عَقِبَى الدَّارِ) تهديد للكافرين بالحق الذي جاءهم به رسول الله ﷺ، فالجملة

الكريمة تحذير للكافرين من التمادي في كفرهم، وتبشير للمؤمنين بأن العاقبة لهم^(٥).

٥- (الْكَافِرُ)، (ال) فيها للعهد، أي: كفار العرب من مشركين ويهود، ومن لفّفهم، والسين؛ لتأكيد

وقوع الخبر في المستقبل^(٦).

(١) انظر: التفسير الوسيط الزحيلي: (٢/ ١١٧٦) والتفسير المنير: الزحيلي (١٣/ ١٩٤).

(٢) انظر: التحرير والتنوير: ابن عاشور (١٣/ ١٧٣).

(٣) انظر: المرجع السابق (١٣/ ١٧٤).

(٤) انظر: المرجع السابق نفسه.

(٥) انظر: التفسير الوسيط: لطنطاوي (٧/ ٤٩٨).

(٦) انظر: زهرة التفاسير: لابي زهرة (٨/ ٣٩٧٣).

خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف:

١- الله ﷻ حين يُورد حُكماً فبالقرآن؛ وهو الذي حفظ هذا القرآن؛ فلننتأياً قضية كونية، لتتسخ الحكم القرآني.

وإذا استقرأنا مواكب الرسل عليهم السلام كلها نجد هذه القضية واضحة تماماً؛ كما أثبتتها الحق سبحانه في القرآن المحفوظ؛ وما حفظه سبحانه إلا لوثوقه بأن الكونيات لا يمكن أن تتجاوزوه. وبالفعل فقد مكرتُكُ لأمة برسولها؛ ولكن الحق سبحانه له المكر جميعاً؛ ومكر الله ﷻ خَيْرٌ للبشرية من مكرك لتلك الأمم؛ ومكره سبحانه هو الغالب، وإذا كان ذلك قد حدث مع الرسل السابقين عليك يا رسول الله؛ فالأمر معك لأبداً أن يختلفَ لأنك مُرسلٌ إلى الناس جميعاً، ولا تعقيب يأتي من بعدك.

وكلُّ تلك الأمور كانت تطمئنهُ ﷻ فلا بُدَّ من انتصاره وانتصار دعوته؛ فسبحانه محيط بأبيِّ مكر يمكره أيُّ كائن؛ وهو جَلٌّ وعلاً قادر على أن يُحيط كل ذلك^(١).

٢- يعلم الله ﷻ كلما يخفي عن الأعين في أعماق الكائنات، خيراً كان هو أم شراً، ويحمي مَنْ شاء من عباده من مكر الماكرين فهو الحافظ لا غيره وعليه التوكل، ويُنزل العقاب على أصحاب المكر السيء بالرسول والمؤمنين، فعلينا أن نسلم الأمر كله لله ﷻ فلن يصيبنا إلا ما كتب الله ﷻ لنا^(٢).

٣- لله وحده التدبير الذي يحول القلوب، وقد دلت الآية على ثلاثة أمور:

الأمر الأول: أن مكر الكافرين لا اعتداد به، ولا ثمرة له في تحقيق الغاية التي أرادوها، وهو تحويل الناس عن عقائدهم إذا آمنوا بها.

الأمر الثاني: أن القلوب بيد الله ﷻ، وهو الذي يهديها، وهو الذي يتركها تسير في مهواة الضلالة، حتى تنهوي فيها.

الأمر الثالث: أن الله مذهب كيدهم، وجعلها في هباء، وناصر أهله.

وإن الله تعالى تدبيره منتج مثمر لا محالة؛ لأنه يعلم ما تكسب كل نفس من خير أو شر، وتتحدث به النفوس، وما تكسبه الجوارح، وهو وحده مقلب القلوب.

(١) انظر: تفسير الشعراوي، بتصرف (١٢/٧٤١٢).

(٢) انظر: المرجع السابق نفسه: الصفحة نفسها.

وفي ذكر مكر السابقين لبيان العبرة للمشركين الذين عاندوا النبي ﷺ، ومحاولتهم فتنة المؤمنين لتحويلهم عن دينهم الذين ارتضوه، وفيه إشارة إلى بطلان مكرهم، وإلى أن مكر الله فوقهم، وأنهم إذ يمكرون بالنبي ﷺ، إنما يقاومون بمكرهم مكر الله وتدبيره للمؤمنين أوليائه؛ ولذا قال تعالى مهدياً لهم: (وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُبِيَ الدَّارِ)^(١).

٤- كل مخططات الأعداء الكافرين ومكائدهم تخيب وتفشل أمام تدبير الله تعالى، ولا يضر مكرهم إلا بإذنه تعالى، وفي هذا تسلية للنبي ﷺ، وشد من عزمته، وبيان أن النصر في النهاية له، وأن الدائرة ستدور على الكفار^(٢).

٥- "سيتحقق الكفار لمن العاقبة المحمودة، أي عاقبة دار الدنيا ثواباً وعقاباً، أو لمن الثواب والعقاب في الدار الآخرة، وهذا تهديد ووعد"^(٣).

(١) انظر: زهرة التفاسير: أبو زهرة (٨ / ٣٩٧٢).

(٢) انظر: التفسير المنير: الزحيلي (١٣ / ١٩٥).

(٣) المرجع السابق نفس الجزء والصفحة.

المطلب الرابع

إنكار الكافرين لرسالة النبي ﷺ وشهادة الله له بها

قال تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا ۗ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ۗ﴾ [الرعد: ٤٣].
أولاً: المناسبة:

بعد أن تحدثت الآية السابقة عن مكر الكافرين تحدثت هذه الآية عن نوع آخر من المكر والخداع، وهو أنه ﷺ ليس مرسلًا من عند الله ﷻ حيث بين الحق بأنه شاهد له بالصدق، وحسبه شهادة الله ﷻ ومن آمن من أهل الكتاب.

ثانياً: المعنى اللغوي:

١- (مُرْسَلًا) مُرْسَلٌ، جمع مرسلون، اسم مفعول من أرسلَ ورسول، نبي، من يبعثه الله بشرع يعمل به ويبليغه^(١).

٢- (شَهِيدًا) الشهيد: الشاهد، والأمين في شهادته^(٢).

ثالثاً: المعنى الإجمالي:

والمقصود هم: كعب بن الأشرف^(٣) وحيي بن أخطب^(٤) وسائر اليهود حيث يقول لهم رسول الله ﷺ: كفى بالله شاهداً بيني وبينكم على مقاتلكم بأني ليس مرسلًا من عند الله ﷻ، ومن آمن من أهل الكتاب وأصحابه شهيداً بيني وبينكم؛ لأنهم وجدوا نعتهم وصفته في كتبهم^(٥).

(١) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة : أحمد مختار عبد الحميد عمر (٢/ ٨٨٩).

(٢) انظر: الكليات: للكفوي (٥٢٧).

(٣) كعب بن الأشرف الطائي اليهودي، أمه من بني النضير وكان سيداً فيهم ويكنى أبا ليلي، بكى أهل بدر من المشركين وشبب بنساء النبي صلى الله عليه وأصحابه وأزواجه وسلم وبنساء المسلمين، فأمر رسول الله ﷺ محمد بن مسلمة ورهطاً معه من الأنصار فقتلوه ليلاً، معجم الشعراء: المرزباني (٣٤٣).

(٤) حيي بن أخطب هو سيد بنو النضير قبل الإسلام، وهو والد أم المؤمنين صفية بنت حيي بن أخطب. كان من أعلم اليهود بدينهم كما كان من أشد مقاتليهم، انظر: <http://ar.wikipedia.org/wiki>

(٥) انظر: بحر العلوم: السمرقندي (٢/ ٢٣٢).

رابعاً: البلاغة:

١- (كَفَى بِاللَّهِ) كفى الله، والباء أدخلت للتأكيد^(١).

٢- (وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا) جاء قولهم بصيغة المضارع؛ للدلالة على تكرر ذلك من هم ولاستحضار حالهم العجيبة من الاستمرار على التكذيب بعد أن رأوا دلائل الصدق^(٢).

٣- (الْكِتَابِ)، وتعريف الكتاب تعريف للعهد، وهو التوراة، أي: وشهادة علماء الكتاب، ويحتمل أن يكون المراد بمن عنده علم الكتاب معيناً، فالتعريف في الكتاب حينئذ تعريف الجنس^(٣).

خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف:

١- {ومن عنده علم الكتاب} فيه ثلاثة أقاويل: "أحدها: أنهم عبد الله بن سلام وسلمان وتميم الداري، قاله قتادة: الثاني: أنه جبريل، قاله سعيد بن جبير، الثالث: هو الله تعالى، قاله الحسن ومجاهد والضحاك^(٤)، واختاره الزجاج^(٥)، فقال: لأن الأشبه أن الله لا يستشهد على خلقه بغيره، وكانوا يقرأون {ومن عنده علم الكتاب} أي: من عند الله علم الكتاب، وينكرون على من قال هو عبد الله بن سلام وسلمان لأنهم يرون السورة مكية، وهؤلاء أسلموا بالمدينة"^(٦).

"قال ابن الأنباري^(٧): "جعل قول هؤلاء وشهادتهم قاطعة لقول الخصوم، لأنهم العالمون

(١) انظر: التفسير الوسيط: الواحدي (٣/ ٢١).

(٢) انظر: التحرير والتنوير: ابن عاشور (١٣/ ١٧٥).

(٣) انظر: المرجع السابق (١٣/ ١٧٦).

(٤) الضحاك بن مزاحم الهلالي، أبو محمد، وقيل أبو القاسم، صاحب التفسير كان من أوعية العلم، وليس بالمجود لحديثه، وهو صدوق في نفسه، وكان له أخوان: محمد ومسلم، وكان يكون ببلخ وبسمرقند. تذكره الحفاظ = طبقات الحفاظ: الذهبي (١/ ٥٧).

حدث عن ابن عباس، وأبي سعيد الخدري، وابن عمر، وأنس بن مالك، وعن الأسود، وسعيد بن جبير وعطاء وطاوس، وطائفة، الأعلام: الزركلي (١٧/ ٣٩٥).

(٥) (الزجاج الإمام، نحوي زمانه، أبو إسحاق، إبراهيم بن محمد بن السري الزجاج البغدادي، مصنف كتاب: "معاني القرآن"، وله تأليف جملة، لزم المبرد، فكان يعطيه من عمل الزجاج كل يوم درهما، فنصحه وعلمه، ثم أدب القاسم بن عبيد الله الوزير، فكان سبب غناه، ثم كان من ندماء المعتضد، مات سنة إحدى عشرة وثلاثمائة، وقيل: مات في تاسع عشر جمادى الآخرة سنة عشرة، سير أعلام النبلاء: (١١/ ٢٢٢).

(٦) انظر: النكت والعيون: الماوردي (٣/ ١١٩).

(٧) ابن الأنباري الإمام الحافظ اللغوي ذو الفنون أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار بن الأنباري، المقرئ النحوي ولد سنة اثنتين وسبعين ومائتين، سير أعلام النبلاء (١١/ ٤٨٩).

- بالكتب القديمة، فقيل: كفى بهؤلاء شهوداً عليكم، وهم شاهدون لمحمد ﷺ بالنبوة والصدق^(١).
- ٢- "إلحاق الكافرين في إنكار رسالته ﷺ، مع بيان أن الله ﷻ شهيد على ذلك بما أقام من الأدلة على صدقه، وكذلك شهادة من آمن من أهل الكتاب بوجود أمارات رسالته ﷺ فيكتبهم وتبشيرها بها"^(٢).
- ٣- "وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ { لن يقول الحق ذلك إلا إذا كان عند علماء أهل الكتاب ما يتفق مع ما جاء به الله في صدق رسوله ﷺ في البلاغ عنه، وكان السبب في محاولة بعض اليهود؛ لإنكار رسالة رسول الله ﷺ هو السلطة الزمنية، وأرادوا أن ييسروا لأتباعهم أمور الدين.
- ٤- "إن كل دعي في مبدأ من المبادئ يحاول أن يأخذ لنفسه سلطة زمنية، فيأتي إلى تكاليف، الدين التي قد يكون فيها مشقة على النفس، ويحاول أن يخفف من هذه التكاليف، أو يأتي بدين فيه تخفيف مخلب العبادات، فإذا نظرنا إلى مسيلمة الكذاب نجده قد خفف الصلاة حتى يُرغب في دينه من تشق عليه الصلاة، وينضم إلى دين مسيلمة، وحذف مسيلمة جزءاً من الزكاة، وهذا يعطي فرصة التحلل من تكاليف الدين، ولذلك فالذي أفسد الأديان السابقة على الإسلام أن بعضاً من رجال الدين فيها كلما رأوا قوماً على دين فيه تيسيرات أخذوا من هذه التيسيرات ووضعوها في الدين؛ لأن تكاليف الدين شاقة ولا يحمل إنسان نفسه عليها إلا من آمن بها إيمان صدق وإيمان حق، ولذلك يقول الحق سبحانه وتعالى في عمدة العبادات وهي الصلاة: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥]"^(٣).

٥- "من اللامحات البارزة في التوجيه الرياني لرسول الله ﷺ أن يجهر - في مواجهة الإعراض والتكذيب والتحدي وبطء الاستجابة ووعورة الطريق - بالحق الذي معه كاملاً وهو أنه لا إله إلا الله، ولا رب إلا الله، ولا معبود إلا الله، وأن الله هو الواحد القهار، وأن الناس مردودون إليه فإما إلى جنة وإما إلى نار... وهي مجموعة الحقائق التي كان ينكرها المشركون ويتحدونه فيها... وألا يتبع أهواءهم في صانعها ويترضاها بكتمان شيء من هذا الحق أو تأجيل إعلانه! مع تهديده بما ينتظره من الله لو اتبع أهواءهم في شيء من هذا من بعد ما جاءه من العلم! ..

(١) التفسير المنير: الزحيلي (٢١/٣).

(٢) تفسير المراغي : المراغي (١٣ / ١٢١)

(٣) تفسير الشعراوي (٣ / ١٣٨٧).

وهذه اللمحة البارزة تكشف لأصحاب الدعوة إلى الله عن طبيعة منهج هذه الدعوة التي لا يجوز لهم الاجتهاد فيها! وهي أن عليهم أن يجهروا بالحقائق الأساسية في هذا الدين، وألا يخفوا منها شيئاً، وألا يؤجلوا منها شيئاً..!" (١).

- ٦- لا تبين الآية أن هذه الحياة الدنيا إنما هي محو وإثبات، وموت وحياة، فيزيل الله قوماً ويوجد آخرين، وكل ذلك محفوظ في علم الذي لا تغيير فيه ولا تبديل (٢).
- ٧- إن مهمة الرسل -عليهم السلام- إنما هي التبليغ، أما الجزاء على مخالفة الأوامر فأمر ذلك إلى الله ﷻ، ولا يعنى الرسول أن يحصل في زمنه أو بعد وفاته (٣).

(١) في ظلال القرآن : سيد قطب(٤/ ٢٠٦٧).

(٢) انظر: تفسير المراغي (١٣/ ١٢١).

(٣) انظر: المرجع السابق نفسه.

الفصل الثاني

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة إبراهيم

المبحث الأول : الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة إبراهيم

من الآية (١ إلى ٨).

المبحث الثاني : الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة إبراهيم

من الآية (٩ إلى ١٧).

المبحث الثالث : الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة إبراهيم

من آية (١٨ إلى ٢٢).

المبحث الرابع : الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة إبراهيم

من (٢٣ إلى ٣٤).

المبحث الخامس : الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة

إبراهيم من الآية (٣٥ إلى ٤٦).

المبحث السادس : الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة

إبراهيم من الآية (٤٧ إلى ٥٢).

المبحث الأول

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة

إبراهيم من الآية (١ إلى ٨)

وفيه خمسة مطالب :

المطلب الأول: القرآن الكريم يخرج الناس من الظلمات إلى النور.

المطلب الثاني: توعّد الكفار الصادين عن سبيل الله.

المطلب الثالث: إرسال الله الأنبياء لهداية الناس.

المطلب الرابع: من نعم الله على بني اسرائيل.

المطلب الخامس: جزاء من شكر النعمة وعقوبة من جدها.

المطلب الأول

القرآن الكريم يخرج الناس من الظلمات إلى النور

قَالَ تَعَالَى: ﴿الرَّكَتَبُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ
الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: ١].

أولاً: المناسبة:

بعد أن ذكر الله ﷻ في السورة السابقة أنه أنزل القرآن حكماً عربياً، ولم يصرح بحكمة ذلك، صرح بها هنا، وبيّن أن الحكمة هي إخراج الناس من ظلمات الضلال إلى نور الهدى^(١).

ثانياً: المعنى اللغوي:

١- (صِرَاطٍ) صرط: طريق، سبيل، مسلك^(٢).

٢- (الْعَزِيزِ) هو القوي الغالب على كل شيء، وقيل: هو الذي ليس كمثلته شيء^(٣).

٣- (الْحَمِيدِ) اسم من أسماء الله الحسنى، ومعناه: المستحق للثناء والشكر والحمد^(٤).

ثالثاً: المعنى الإجمالي:

إن القرآن الكريم نزل من عند الله ﷻ، ليهديهم به من ظلمات الضلالة والكفر، إلى نور الإيمان وضيائه سائراً بهم إلى طريق الله المستقيم، وهو دينه الذي ارتضاه، وشرعه لخلقه^(٥).

رابعاً: البلاغة:

١- (كَتَبُ) التثنية فيه للتعظيم^(٦).

(١) انظر: تفسير المراغي: المراغي (١٣ / ١٢٢)

(٢) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة: أحمد عمر (٢ / ١٢٨٨)

(٣) انظر: تهذيب اللغة: ابن الأزهري (١ / ٦٤)

(٤) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة (١ / ٥٥٦)

(٥) انظر: جامع البيان: الطبري (١٦ / ٥٠٩)

(٦) انظر: زهرة التفاسير: أبو زهرة (٨ / ٣٩٨١)

٢- (الْأَظْلَمَاتِ وَالنُّورِ): استعارتان للضلال والهدى، ففي التعبير بالظلمات والنور استعارة، تشبيه الضلال بالظلمة؛ لأن السائر فيها كالسائر في ظلام لا يعرف طريقه فيكون في حيرة دائمة، وشبهت الهداية بالنور؛ لأن من هداه الله ﷻ يكون في نور يعرف به طريقه^(١)، وبينهما طباق^(٢).

٣- إسناد الإخراج إلى النبي ﷺ لأنه يبلغ هذا الكتاب المشتمل على تبيين طرق الهداية إلى الإيمان وإظهار فساد الشرك والكفر، وهو مع التبليغ يبين للناس ويقرب إليهم معاني الكتاب بتفسيره وتبينه، ثم بما بينه عليه من المواعظ والنذر والبشارة^(٣).

٤- تعليل الإنزال بالإخراج من الظلمات دل على أن الهداية هي مراد الله تعالى من الناس، وأنه لم يتركهم في ضلالهم، فمن اهتدى فيأرشاد الله ومن ضل فبإيثار الضال هوى نفسه على دلائل الإرشاد^(٤).

٥- الإخراج: مستعار للنقل من حال إلى حال، شبه الانتقال بالخروج فشبه النقل بالإخراج.

٦- الباء في (بِأَذْنِ) ربهم للسببية.

٧- وقوله: (إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ) بدل من النور بإعادة الجار للمبدل منه، لزيادة بيان المبدل منه اهتماماً به، وتأكيد.

٨- ومناسبة الصراط المستعار للدين الحق؛ لاستعارة الإخراج والظلمات والنور، ولما يتضمنه من التمثيل، ظاهرة.

خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف:

- ١- طرق الكفر والكافرين وبدعهم كثيرة ومتعددة، في حين أن طريق الحق واحد لا يتغير^(٥).
- ٢- لقد حوت هذه الآيات منهجاً سديداً تسعد به البشرية كلما سلكته وتشقى حينما ابتعدت عنه حيث أن الله سبحانه وتعالى حث على التفكير والتدبر والنظر في حقائق الكون الدالة على وحدانيته وتفردته بالخلق والإبداع، وذلك من خلال ما اشتمل عليه من الآيات الباهرات التي

(١) انظر: زهرة التفاسير: أبو زهرة (٨/ ٣٩٨٢)

(٢) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: الزمخشري (٢/ ٥٣٧)

(٣) انظر: التحرير والتنوير: ابن عاشور (١٣/ ١٨٠)

(٤) انظر: المرجع السابق نفسه.

(٥) انظر: لباب التأويل في معاني التنزيل: الخازن (٣/ ٢٧)

تتير الحياة بنور وتحولها من ظلمات الجهل والكفر والحياة الضالة إلى نور الإيمان والعلم والحياة الرشيدة، كل ذلك لإخراج الناس عربهم وعجمهم وأبيضهم وأسودهم من ظلمات الكفر إلى طريق الحق، ومن ظلمات الشك إلى نور اليقين ومن ظلمات التدبير إلى فضاء شهود التقدير، ومن ظلمات الابتداع إلى نور الإلتباع، ومن التفرقة إلى نور الجمع بإذن الله^(١).

٣- اعلم أنه تعالى لما ذكر في أول السورة: ﴿الرَّكَتَبُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ

الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١﴾ [إبراهيم: ١]، كان هذا إنعاما على الرسول ﷺ من حيث إنه فوض إليه هذا المنصب العظيم، وإنعاما أيضا على الخلق من حيث إنه أرسل إليهم من خلصهم من ظلمات الكفر وأرشدهم إلى نور الإيمان، فذكر في هذه الآية ما يجري مجرى تكميل النعمة والإحسان في الوجهين، أما بالنسبة إلى الرسول عليه الصلاة والسلام، فلأنه تعالى بين أن سائر الأنبياء كانوا مبعوثين إلى قومهم خاصة، وأما أنت يا محمد فمبعوث إلى عامة الخلق، فكان هذا الإنعام في حقه أفضل وأكمل، وأما بالنسبة إلى عامة الخلق، فهو أنه تعالى ذكر أنه ما بعث رسولا إلى قوم إلا بلسان أولئك القوم، فإنه متى كان الأمر كذلك، كان فهمهم لأسرار تلك الشريعة ووقوفهم على حقائقها أسهل، وعن الغلط والخطأ أبعد. فهذا هو وجه النظم^(٢).

٤- الإيمان بالله نور يشرق في القلب، فيشرق به هذا الكيان البشري، المركب من الطينة الغليظة ومن نفخة روح الله، فإذا ما خلا من إشراق هذه النفخة، وإذا ما طمست فيه هذه الإشراق استحال طينة معتممة، طينة من لحم ودم كالبهيمة، فاللحم والدم وحدهما من جنس طينة الأرض ومادتها، لولا تلك الإشراق التي تنتفض فيه من روح الله، يفرقها الإيمان ويجلوها، ويطلقها تشف في هذا الكيان المعتم، ويشف بها هذا الكيان المعتم.

والإيمان بالله نور تشرق به النفس، فترى الطريق، واضحة إلى الله، لا يشوبها غبش ولا يحجبها ضباب، غبش الأوهام وضباب الخرافات، أو غبش الشهوات وضباب الأطماع، ومتى رأت الطريق سارت على هدى لا تتعث ولا تضطرب ولا تتردد ولا تحترق.

والإيمان بالله نور تشرق به الحياة، فإذا الناس كلهم عباد متساوون، تربط بينهم أصرتهم في الله وتتمحض دينونتهم له دون سواه، فلا ينقسمون إلى عبيد وطغاة، وتربطهم بالكون كله

(١) انظر: التفسير الوسيط - مجمع البحوث (٥/ ٤٦٠)

(٢) انظر: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير: الرازي (١٩/ ٦٢)

رابطة المعرفة، معرفة الناموس المسير لهذا الكون وما فيه ومن فيه، حيث قال ﷺ : (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد...)^(١).

والإيمان بالله نور، نور العدل، ونور الحرية، ونور المعرفة، ونور الأنس بجوار الله، والاطمئنان إلى عدله ورحمته وحكمته في السراء والضراء، ذلك الاطمئنان الذي يستتبع الصبر في الضراء والشكر في السراء على نور من إدراك الحكمة في البلاء.

والإيمان بالله وحده إلهاً ورباً، منهج حياة كامل لا مجرد عقيدة تغمر الضمير وتسكب فيه النور... منهج حياة يقوم على قاعدة العبودية لله وحده، والدينونة لربوبيته وحده، والتخلص من ربوبيات العبيد، والاستعلاء على حاكمية العبيد...

٥- وفي هذا المنهج من الموازنة مع الفطرة البشرية، ومع الحاجات الحقيقية لهذه الفطرة، ما يملأ الحياة سعادة ونوراً وطمأنينة وراحة، كما أن فيه من الاستقرار والثبات عاصماً من التقلبات والتخبطات التي تتعرض لها المجتمعات التي تخضع لربوبية العبيد، وحاكمية العبيد، ومناهج العبيد في السياسة والحكم وفي الاقتصاد والاجتماع، وفي الخلق والسلوك، وفي العادات والتقاليد.. وذلك فوق صيانة هذا المنهج للطاقة البشرية أن تبذل في تأليه العبيد، والطلب والزمير للطواغيت!!!^(٢)

٦- حقيقة الهداية: إنما هي راجعة لله بالاختراع والإيجاد، والرسول مشارك في التوجيه والإنذار والدعوة إلى سبيل الهداية، قال تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [القصص: ٥٦] وقوله سبحانه عن نبيه: (لِتُخْرِجَ النَّاسَ) تشریف للنبي ﷺ، إذ هو مبعوث إلى جميع الخلق والعالم كله، فبعثته عامة للأحمر والأسود، كما ثبت بالتواتر وبآيات كثيرة من القرآن، وبما شاهده الصحابة وآل البيت الكرام^(٣).

(١) صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم (٤/١٩٩٩) (ح ٢٥٨٦).

(٢) انظر: في ظلال القرآن: سيد قطب (٤/٢٠٨٥).

(٣) انظر: التفسير الوسيط: الزحيلي (٢/١١٢٩).

المطلب الثاني

توعد الكفار الصادين عن سبيل الله

قَالَ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِيْنَ مِنْ عَذَابٍ

شَدِيْدٍ *

الَّذِيْنَ يَسْتَحِبُّوْنَ الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّوْنَ عَن سَبِيْلِ اللَّهِ وَيَبْغُوْنَهَا عَوْجًا ۗ أُولَٰئِكَ فِي

ضَلٰلٍ بَعِيْدٍ ﴿[إبراهيم: ٢، ٣].

أولاً: المناسبة:

بعد أن بين الحق ﷻ إنزاله للقرآن الكريم على رسوله الأمين، لإخراج الناس من ظلمات الضلال والجهل إلى نور الإيمان الحق والهدى والرشاد، بين ﷻ الأدلة القدرية الإلهية أنه ﷻ له كل ما في السماوات والأرض خلقاً وملكاً وعبداً وتصريفاً وتدبيراً.

ثانياً: معاني المفردات:

- ١- (وَوَيْلٌ) العذاب وهو واد في جهنم^(١).
- ٢- (يَسْتَحِبُّوْنَ) حب أحببته، نقيض أبغضته، ويستحبون نقيض يبغضون^(٢).
- ٣- (وَيَصُدُّوْنَ) صد يصد صدأً وصدوداً، إذا صدف عن الشيء أو أعرض عنه^(٣).
- ٤- (وَيَبْغُوْنَهَا) البغية: مصدر الابتغاء، هو بغيتي، أي: طلبتي وطيتي، وبغيت الشيء أبغيه بغاء، وابتغيته: طلبته^(٤).
- ٥- (عَوْجًا) العين والواو والجيم أصل صحيح يدل على ميل في الشيء^(٥).

(١) انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: الفارابي (١٨٤٦ / ٥)

(٢) انظر: العين: للفراهيدي (٣ / ٣١)

(٣) انظر: جمهرة اللغة: ابن دريد (١ / ١١١)

(٤) انظر: العين (٤ / ٤٥٣)

(٥) انظر: مقاييس اللغة: ابن فارس (٤ / ١٨١)

ثالثاً: المعنى الإجمالي:

توعد الله ﷻ بالويل للكافرين يوم القيامة، ثم يقدمون الدنيا على الآخرة، ويؤثرونها عليها، ويعملون للدنيا ونسوا الآخرة، وتركوها وراء ظهورهم، ويصدون عن اتباع الرسل، ويحبون أن تكون سبيل الله عوجاً مائلة، وهي مستقيمة في نفسها، لا يضرها من خالفها ولا من خذلها^(١).

رابعاً: البلاغة:

١- صدرَّ سبحانه الجملة التي فيها كمال سلطان الله تعالى في الوجود بلفظ الجلالة؛ لتربية المهابة في نفس القارئ، ولأنَّ ذلك يتلاقى مع سلطان الله الكامل.

٢- تكرار (وَمَا فِي) لدلالة على كمال استغراق الملكية له ﷻ^(٢).

٣- وصف الضلال بالبعد هو من الإسناد المجازي، والبعد في الحقيقة للضلال؛ لأنه هو الذي يتباعد عن الطريق^(٣).

٤- إجراء الوصف بالموصول على اسم الجلالة، لزيادة التفخيم لا للتعريف؛ لأن ملك سائر الموجودات صفة عظيمة والله معروف بها عند المخاطبين، وفيه تعريض بأن صراط غير الله من طرق آلهتهم ليس بواصل إلى المقصود لنقصان ذويه.

٥- (وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ) إنشاء دعاء عليهم في مقام الغضب والذم.

٦- الإشارة في قوله: (أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ) للتنبيه على أنهم أحرىء بما وصفوا به من الضلال بسبب صدهم عن سبيل الحق^(٤).

خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف:

١- وصف الله تعالى هؤلاء الكافرين الجاحدين بالرسالة النبوية بصفات ثلاث:

- فهم الذين يحبون الدنيا، ويؤثرونها على الآخرة، ويعملون للدنيا وامتعتها فقط.

- وهم الذين يمنعون من اتباع الرسل، ويعرقلون مسيرة الإيمان بالله والقرآن والنبى.

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير (٤ / ٤٧٦).

(٢) انظر: زهرة التفاسير: أبو زهرة (٨ / ٣٩٨٢).

(٣) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: الزمخشري (٢ / ٥٣٨).

(٤) انظر: التحرير والتنوير: لابن عاشور (١٣ / ١٨٢-١٨٤).

- وهم يحبّون أن تكون سبيل الله معوجة مائلة عن الحق؛ لتوافق أهواءهم.

وسبيل الله: طريقة هذاه وشرعه الذي جاء به رسوله ﷺ

وأشير هنا إلى أن الكافرين هم الجاحدون برسالة سيدنا محمد ﷺ فهم الذين يغيرون بكل ما يملكون معالم هذه الرسالة وفي زماننا نجدهم أكثر غلظة في تدمير مساجد الله وحرق المصاحف وقتل المؤمنين الصالحين فالويل لهم كل الويل^(١).

٢- قدم ذكر العزيز على الحميد؛ لأن الواجب أولاً في العلم بالله: العلم بكونه تعالى قادراً، ثم العلم بكونه عالماً، ثم العلم بكونه غنياً عن الحاجات، والعزيز: هو القادر، والحميد: هو العالم الغني^(٢).

٣- أن هؤلاء الكافرين يؤثرون شهوات الدنيا على الآخرة ونعيمها، ولا يكتفون بذلك بل يضعون العراقيل في طريق دعوة الحق حتى يبتعد الناس عنها، ويطلبون لها العوج والميل تبعا لزيغ نفوسهم، مع أنها أقوم طريق، وأعدل سبيل^(٣).

٤- ﴿وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [إبراهيم: ٢].

وهذا الويل ليس في الآخرة فقط، بل في الدنيا أيضاً؛ لأن الإنسان يدفعها بها؛ هنا يستطيع المؤمن أن يذكر أن له رباً فوق الأسباب؛ ويرتاح إلى معونة الحق سبحانه له، وهكذا يشعر أن له رصيذاً في الدنيا يعتمد عليه في مواجهة الأحداث الجسام.

أما غير المؤمن فليس أمامه سوى اليأس؛ ولذلك نجد انتشار الانتحار بين غير المؤمنين؛ لأن هناك أحداثاً فوق أسبابهم، ولا يستطيعون دفعها، وليس لهم إيمان بربّ يرجعون إليه.

ولذلك حين أقرأ للمفسرين مَنْ يشرح كلمة " الويل " بأنها عذابُ الآخرة؛ فأجد نفسي قائلاً: بل والويل يكون في الدنيا أيضاً؛ لأن الكثير من أحداث الحياة يكون فوق أسباب الإنسان؛ فلو لم يؤمن الإنسان بالله لَفَرَعَ من فَرَطِ اليأس.

ولذلك نجد بعضهم حين لا يجدون مَفْرَأً إلا أن يقولوا يا رب، وهم بذلك يعلنون صرخة الفطرة الأولى التي قاوموها بالإلحاد وعدم الإيمان؛ وهذا الويل له امتداد بلون أشد في الآخرة^(٤).

(١) انظر: التفسير الوسيط: الزحيلي (٢/ ١١٨٠).

(٢) انظر: التفسير المنير: الزحيلي (١٣/ ٢٠٤).

(٣) انظر: التفسير الوسيط: طنطاوي (٧/ ٥١٢).

(٤) انظر: تفسير الشعراوي: الشعراوي (١٢/ ٧٤٢٩).

٥- استحبَّ تعني أن مَنْ يحب لم يكتفِ بالأمر الطبيعي، بل تكلف الحب وأوغل فيه.

والمثل على ذلك نجده في الحياة اليومية؛ فنرى مَنْ ينحرف إلى شيء من الانحراف؛ ولكنه لا يُحب أن يكون مُحِباً لهذا الانحراف في نفس الوقت؛ ويفعل الانحراف وهو كارهٌ له، وقد يضرب نفسه ويلومها لأنها تنحرف إلى هذا الانحراف.

ونجد آخر ينحرف؛ لأنه يحب هذا الانحراف وينغمس فيه؛ وهو مُحِبٌ لهذا الانغماس ويتحدث بهذا الانحراف؛ ويُحب في نفسه أنه أحب تلك المعصية؛ لأنها تُحقِّق له شهوة عاجلة؛ هذا هو مَنْ "استحبَّ"؛ لأنه ازاد الحب عن حدِّه الطبيعي.

وحين تُدقق في الآية الكريمة تجد أنها لا تمنعك من حُبِّ الدنيا؛ لكنها تتحدث أن تستحبَّها على الآخرة، فهذا هو الأمر المذموم؛ أما إذا أحببت الدنيا لأنها تُعينك على تكاليف دينك وجعلتها مزرعة للآخرة؛ فهذا أمر مطلوب؛ لأنك تفعل فيها ما يجعلك تسعد في آخرتك؛ فهذا طَلَبٌ للدنيا من أجل الآخرة^(١).

٦- قد احتوت الآيتان الثانية والثالثة حملة قوية على الكافرين الذين يجعلهم حبهم وتفضيلهم متع الحياة وشهواتها على الآخرة يقفون موقف الكفر والصد من كتاب الله ودعوة رسوله، مع ما فيهما من قصد إخراجهم من الظلمات إلى النور، ويبدلون جهدهم؛ لإبقاء الأمور معوجة منحرفة.

وفي الآية الثالثة تأكيد لما تكرر تقريره في القرآن ومَرَّ منه أمثلة من كون موقف الجحود والمناوأة الذي وقفه الكفار من الرسالة المحمدية متصل بجحودهم الآخرة وتعلقهم بالدنيا، وفي هذا تنطوي حكمة من حكم التنزيل فيما احتوته آيات عديدة من التهوين بالدنيا ومتاعها والترغيب في ما عند الله ﷻ^(٢).

٧- لقد بين الله سبحانه وتعالى صفات الكافرين الذين يستحقون الويل، أما الذين يسلكون صراط العزيز الحميد فهم في عزة منه سبحانه، ولهم العاقبة المحمودة بسلوكتهم لأنهم سلكوا ما أمرهم الله به^(٣).

١٠- (الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ) هم الذين يؤثرون، ويختارون؛ لأن المؤثر للشيء على غيره كأنه يطلب من نفسه أن يكون ذلك الشيء عنده أحب من الآخر، وذلك أن الإنسان قد يحب الشيء، ولكنه

(١) انظر: تفسير الشعراوي: الشعراوي (١٢ / ٧٤٣٠).

(٢) انظر: التفسير الحديث: دروزة (٥ / ٢١٤).

(٣) انظر: زهرة التفاسير: أبو زهرة (٨ / ٣٩٨٣).

يكره كونه محباً له، أما إذا أحب الشيء وطلب كونه محباً له وأحب تلك المحبة فتلك نهاية المحبة، وهذا شأن محبة أهل الدنيا للدنيا، ولكنها أدنى مراتب الضلال فهناك فرق بين محبة المؤمنين للدنيا وما يفعلونه لأجل الآخرة وبين الكافرين الذين يحبون الدنيا بمتاعها ولا يبيغون الآخرة، قال تعالى: "فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل" ^(١).

(١) انظر: غرائب القرآن و رغائب الفرقان: النيسابوري (٤ / ١٧١)

المطلب الثالث

إرسال الله الأنبياء لهداية الناس

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [إبراهيم: ٤].

أولاً: المناسبة:

بعد أن وصف الله ﷻ الكافرين بصفات ثلاث وهي: يختارون الحياة الدنيا على الآخرة ويمنعون من اتباع الرسل، ويحبون أن تكون سبيل الله عوجاً مائلةً فيبين ﷻ المقاصد القرآن وأثره في الهداية، بعد ذلك بين أنه سبيل ميسر للاهتمام به، لكونه بلغة قوم الرسول.

ثانياً: معاني المفردات:

- ١- (لِيُبَيِّنَ): والشيء بياناً ظهر واتضح والشيء أوضح وأفصح عنه، فهو بائن وبين والشيء بياناً فصله وقطعه^(١).
- ٢- (وَيَهْدِي): هداه يهديه في الدين هدى، وهواه يهديه هداية، إذا دله على الطريق الهدى: نقيض الضلالة^(٢).
- ٣- (فَيُضِلُّ): ضل الشيء يضل ضلالاً، أي ضاع وهلك^(٣).

ثالثاً: المعنى الإجمالي:

من لطف الله ﷻ بخلق أنه يرسل إليهم رسلاً مبشرين ومنذرين منهم وبلغاتهم؛ ليفهموا منهم ما يريدون وما أرسلوا به إليهم^(٤).

(١) انظر: المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية بالقاهرة (١/ ٧٩)

(٢) انظر: تهذيب اللغة: ابن الأزهري (٦/ ٢٠١)

(٣) انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: الفارابي (٥/ ١٧٤٨)

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير (٤/ ٤٧٧)

رابعاً: البلاغة:

- ١- (من) لاستغراق النفي ثم الإثبات، أي ما أرسلنا، أي: رسول إلا بلسان قومه؛ ليبين لهم^(١).
- ٢- (الإضلال والهداية): كناية عن الكفر والإيمان^(٢).
- ٣- (بِلِسَانِ) الباء للملابسة، فلغة قومه ملابسة لكلامه والكتاب المنزل إليه لإرشادهم^(٣).

خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف:

١- مقاصد القرآن هي التنوير والهداية، فإن الله يسرّ سبيل معرفتها للعرب حاملي رسالة الإسلام؛ لتبليغها للعالم بجعل القرآن بلغتهم العربية؛ لفهمه، وإدراك غاياته ومعرفة شرائعه وأحكامه، كما أن من لطف الله وإحسانه أن يرسل كل رسول بلغة قومه؛ ليقع التكلم بالبيان والعبارة المفهومة، ثم يكون غير أهل تلك اللغة أتباعاً في التبيين لأهل اللسان، وهذه ضرورة متعيّنة إذ لا يعقل كون الكتاب الإلهي بكل لغات العالم..

وقد أنزلناه بلغة العرب، ليسهل فهمه، فمعانيه مفصلة، وألفاظه واضحة غير مشكّلة، وإنما يعرف هذا البيان والوضوح العلماء الراسخون الذين يعلمون أن القرآن منزل من عند الله، ويعلمون معانيه، لنزوله بلغتهم، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [يوسف : ٢]، وفي ذلك أيضاً تعتبر اللغة العربية هي أم اللغات الواضحة السهلة الغامرة بمعانيها المتنوعة بألفاظها وأساليبها^(٤).

٢- نزول القرآن باللغة العربية التي تعتبر لغة أهل قريش التي نزل القرآن في زمانهم تكفي ولا حاجة لنزوله بلغات العرب كافة، حيث إن ترجمة القرآن الكريم تسد ذلك الغرض، ولو أنه كتب بتلك اللغات لتعددت أساليبه ولصعب فهمه وقراءته، وتعددت أحكامه وذلك يؤدي للطعن فيه كما حصل للكتب السماوية السابقة، ولأصبح لكل أمة قرآن يدعو إلى غير ما يدعو إليه الثاني، وتري الباحثة بأن ترجمة القرآن الكريم للغات الأخرى لا تعتبر قرآناً وأن المصاحف التي احتوت على التفسير لا تعتبر قرآناً.. وأرى أيضاً بأنه لا يتم حتى الآن قراءة القرآن بلغة

(١) انظر: زهرة التفاسير: أبو زهرة (٨/ ٣٩٨٥).

(٢) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: الزمخشري (٢/ ٥٣٩).

(٣) انظر: التحرير والتنوير: ابن عاشور (١٣/ ١٨٦).

(٤) انظر: التفسير الوسيط: الزحيلي (٢/ ١١٨٠).

الإشارة الخاصة بذوي الإعاقة السمعية " الصم " لأن هناك إشارات مكتسبة لم يتم اعتمادها رسمياً .

هناك أسباب كثيرة لنزول القرآن الكريم بلغة العرب منها لأن النبي ﷺ وإن كانت رسالته إلى الثقيلين لكن لما كان العرب قومه وكانوا أخص به وأقرب، وقد تهيأت الظروف كلها لظهور دينه ورسالته في جزيرة العرب فكانت لغتهم أولى حتى لا تكون لهم حجة في تكذيبه فإنه واحد منهم ونشأ بينهم ويتكلم بلغتهم فإذا فهموا دينه وصدقوا به وأسلموا كانوا هم الدعاة والمترجمين في جميع الآفاق ولكل اللغات، وقد كان ذلك كذلك^(١).

٣- من لطفه تعالى بخلقه أنه يرسل إليهم رسلاً منهم بلغاتهم؛ ليفهموا عنهم ما يريدون وما أرسلوا به إليهم، عن أبي ذر^{رضي الله عنه} قال: قال رسول الله ﷺ: (لم يبعث الله ﷻ نبياً إلا بلغته قومه)^(٢)، وقوله: ﴿ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾، أي: بعد البيان وإقامة الحجة عليهم، يضل الله من يشاء عن وجه الهدى، ويهدي من يشاء إلى الحق (وهو العزيز) الذي ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، (الحكيم) في أفعاله فيضل من يستحق الإضلال، ويهدي من هو أهل لذلك^(٣).

٤- أن الله ﷻ أرسل كل رسول بلسان قومه وبما برعوا فيه فتعدد الكتب السماوية يدل أن لكل رسول رسالة أرسل بها لقومه وأن سيدنا محمداً ﷺ أرسل بما برع فيه قومه، ألا وهو الفصاحة والبلاغة، فلذلك نزل القرآن عربياً^(٤).

٥- فسر المفسرون آية ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ ﴾، أي: بلغتهم؛ ليفهموا عنه، فإن قيل: كيف هذا وقد بعث النبي ﷺ إلى كافة الخلق؟

قيل: بعث من العرب بلسانهم، والناس تبع لهم، ثم بث الرسل إلى الأطراف يدعونهم إلى الله ﷻ ويترجمون لهم بألسنتهم^(٥).

(١) انظر: التفسير الواضح: الحجازي (٢/ ٢٤٥).

(٢) مسند أحمد بن حنبل: مسند الأنصار، حديث أبي ذر الغفاري ﷺ (٣٢٣/٣٥) (ح ٢١٤١٠)، قال شعيب الأرنؤوط: منته صحيح وأما إسناد هذا الحديث، فرجاله ثقات رجال الصحيح.

(٣) انظر: مختصر تفسير ابن كثير: الصابوني (٢/ ٢٩٠).

(٤) انظر: جامع البيان: الطبري (١/ ١١).

(٥) انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن: البغوي (٤/ ٣٣٥).

٦- لقد احتج بعض الناس بهذه الآية على أن اللغات اصطلاحية لا توفيقية. قال لأن التوقيف لا يحصل إلا بإرسال الرسل، وقد دلت هذه الآية على أن إرسال جميع الرسل لا يكون إلا بلغة قومهم، وذلك يقتضي تقدم حصول اللغات على إرسال الرسل، وإذا كان كذلك امتنع حصول تلك اللغات بالتوقيف، فوجب حصولها بالاصطلاح^(١).

٧- زعم طائفة من اليهود يقال لهم العيسوية أن محمداً رسول الله، لكن إلى العرب لا إلى سائر الطوائف، وتمسكوا بهذه الآية من وجهين: الأول: أن القرآن لما كان نازلاً بلغة العرب لم يعرف كونه معجزة بسبب ما فيه من الفصاحة إلا العرب وحينئذ لا يكون القرآن حجة إلا على العرب، ومن لا يكون عربياً لم يكن القرآن حجة عليه. الثاني: قالوا: إن قوله: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ ﴾ [إبراهيم: ٤]، المراد بذلك اللسان لسان العرب، وذلك يقتضي أن يقال: إنه ليس له قوم سوى العرب، وذلك يدل على أنه مبعوث إلى العرب فقط. والجواب: لم لا يجوز أن يكون المراد من قومه أهل بلده، وليس المراد من قومه أهل دعوته.

والدليل على عموم الدعوة قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَتَّبِعُوا النَّاسَ فِي رَسُولِ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، بل إلى الثقلين؛ لأن التحدي كما وقع مع الإنس، فقد وقع مع الجن بدليل قوله تعالى: ﴿ قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨] ^(٢).

٨- لا حجة للعجم، وغيرهم في هذه الآية؛ لأن كل من ترجم له ما جاء به النبي صلوات الله وسلامه عليه ترجمه يفهمها لزمته الحجة وقد قال الله ﷻ ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [سبأ: ٢٨] ^(٣).

وقال ﷻ: (لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي، ولا نصراني ثم لم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار)^(٤).

(١) انظر: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير: الرازي (١٩ / ٦٢).

(٢) انظر: المرجع السابق (١٩ / ٦٢).

(٣) اللباب في علوم الكتاب: أبو حفص (١١ / ٣٣٦).

(٤) صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس، ونسخ الملل بملته (١٣٤/١) (ح ١٥٣).

٩- من وجوه إعجاز القرآن الكريم بألفاظه ومعانيه ما قاله ﷺ: (بلسان قوله)، ولم يقل بلسان أمته؛ لأن الأمة قد تكون أوسع من قومه، كما في حق نبينا- عليه الصلاة والسلام-، فقد بُعث إلى العرب والعجم، والجن والإنس، فقومه الذين يفهمون عنه: يُترجمونَ إلى من لا يفهم، فتقوم الحجة عليهم. وكذلك إعجاز القرآن يُدرکه أهل الفصاحة والبلاغة، فإذا وقع العجز عن معارضته منهم قامت الحجة على غيرهم، كما قامت الحجة في معجزة موسى ﷺ بعجز السحرة، وفي معجزة عيسى بعجز الأطباء.

ثم بيّن الحكمة، في كون الداعي لا يكون إلا بلسان قومه، بقوله: لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ما أُمروا به فيفهمونه عنه بسرعة، ثم ينقلونه ويترجمونه لغيرهم، فتقوم الحجة عليهم ولذلك أمر النبي ﷺ بإنذار عشيرته أولاً، فإذا فهموا عنه بلغوا إلى غيرهم. قال البيضاوي: ولو نزل على من بعث إلى أمم مختلفة كتب على ألسنتهم استقل ذلك بنوع من الإعجاز، لكن ادى إلى اختلاف الكلمة وإضاعة فضل الاجتهاد في تعلم الألفاظ ومعانيها، والعلوم المتشعبة منها، وما في إتباع الفرائح وكد النفس من القرب المقتضية لجزيل الثواب^(١).

١٠- أن المضل والهادي هو الله ﷻ لا غيره وببده حصول الهداية وقد قدم الإضلال على الهداية لأنه متقدم عليها، إذ هو إبقاء على الأصل والهداية إنشاء ما لم يكن وهو العزيز الذي لا يغالبه مغالب الحكيم الذي يجري أفعاله على مقتضى الحكمة^(٢).

(١) انظر: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: ابن عجيبة (٣/ ٤٣).

(٢) انظر: فتح القدير: الشوكاني (٣/ ١١٣).

المطلب الرابع

من نعم الله على بني اسرائيل

قَالَ تَعَالَى ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِآيَاتِنَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ * وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أُنجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُدَجِّسُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ فِي ذَلِكَ لَكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ [إبراهيم: ٥، ٦].
أولاً: المناسبة:

بعد أن بين ﷺ أنه أرسل سيدنا محمداً ﷺ إلى الناس؛ ليخرجهم من الظلمات إلى النور، وأن في هذا الإرسال نعمة له ولقومه أتبع ذلك بذكر قصة سيدنا موسى ﷺ لاقائه من قومه من شديد الأذى والتمرد والعناد^(١).

ثانياً: معاني المفردات:

- ١- (بِآيَاتِنَا لِلَّهِ) نعمائه وبلاؤه^(٢).
- ٢- (يَسُومُونَكُمْ) يولونكم شديد العذاب^(٣).
- ٣- (وَيَسْتَحْيُونَ) حي من الأحياء واستحييت أسيري: تركته حياً^(٤).
- ٤- (بَلَاءٌ) بلوته بلواً جريته واختبرته، وبلاه الله بلاء، وأبلاه إبلاء حسناً وابتلاه: اختبره^(٥).

ثالثاً: المعنى الإجمالي:

أمر الله ﷻ موسى ﷺ أن يبلغ رسالته لقومهم أمره بالتنكير بنعم الله وآلائه، وبنقمه وبلائه ففي ذلك لآيات لكل صبار في بلائه، شكور لنعمائه^(٦).

(١) انظر: تفسير المراغي: المراغي (١٣ / ١٢٨).

(٢) انظر: مشارق الأنوار على صحاح الآثار: ابن عياض (٢ / ٣٠٥).

(٣) انظر: تهذيب اللغة: ابن دريد (١٣ / ٧٥).

(٤) انظر: أساس البلاغة: الزمخشري (١ / ٢٢٧).

(٥) انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: الفارابي (٦ / ٢٢٨٥).

(٦) انظر: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: ابن عجيبة (٣ / ٤٤).

رابعاً: البلاغة:

- ١- (وَلَقَدْ) تأكيد الإخبار عن إرسال موسى عليه السلام بلام القسم وحرف التحقيق.
- ٢- (بِأَيَّتِنَا) الباء للمصاحبة، أي إرسالاً مصاحباً للآيات الدالة على صدقه في رسالته.
- ٣- (الظلمتِ والنور) مستعار للشرك والمعاصي، وللإيمان والحق والتقوى^(١).
- ٤- اختيار وصف (الرب) هنا للإيماء إلى أنه أراد به صلاح مستقبلهم وتنبئهم لاجتناب عبادة الأوثان وتحريف الدين^(٢).

خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف:

١- الأنبياء والرسل عليهم السلام هم الصفوة المختارة، والفئة العليا من البشر، وهم أشد الناس إخلاصاً لربهم، وحباً لأقوامهم، فيحرصون أشد الحرص على هدايتهم، وإنقاذهم وتصحيح عقائدهم وأخلاقهم، وتقويم طبائعهم وتهذيب نفوسهم، فاستحقوا من الله الرضوان، وبوأهم أعلى منازل الجنان. وكان موسى عليه السلام أحد الخمسة أولي العزم، الذي دأب على إرشاد قومه إلى طريق الحق والاستقامة على طاعة الله، وذكرهم بنعم الله الكثيرة عليهم ليتعظوا، وحثهم من عاقبة المخالفة والعصيان، وأعلمهم أن منفعة الطاعة تعود عليهم، وأن الله غني عن العالمين^(٣).

٢- ألح موسى عليه السلام على قومه الإسرائيليين أن يتذكروا عظام النعم الإلهية عليهم، ونجاتهم من النقم، حيث أنجاهم من ظلم آل فرعون وما كانوا يذيقونهم من ألوان وآلام العذاب والإذلال، وتكليفهم بالشاق من الأعمال، وكانوا فوق ذلك يذبحون أبناءهم المولودين الصغار، خوفاً من ظهور ولد إسرائيلي يكون سبباً في تدمير ملك فرعون، بحسب تفسير رؤيا فرعون مصر، وكانوا يتركون الإناث أحياء ذليلاً مستضعفات، للمتعة والخدمة والمهانة، وفيما ذكر اختبار عظيم من الله لهؤلاء القوم الأشرار، سواء في حال النعمة، أو في حال النعمة، ليعرف مدى شكر الإنسان منهم ومدى كفره ووجود نعمة الله عليه، كما قال الله تعالى في بيان منهاج اختبار البشر: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبَلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ (٣٥) [الأنبياء: ٣٥]^(٤).

(١) انظر: التحرير والتنوير: ابن عاشور (١٣ / ١٨٨-١٨٩).

(٢) انظر: المرجع السابق نفسه (١٣ / ١٩٢).

(٣) انظر: التفسير الوسيط: للزحيلي (٢ / ١١٨١).

(٤) انظر: المرجع السابق (٢ / ١١٨٢).

٣- أي إن في ذلك التذكير لدلائل على وحدانية الله وقدرته، وإن فيما صنعنا ببني إسرائيل حين أنقذناهم من بطش فرعون، وأنجيناهم مما كانوا فيه من العذاب المهين لعبارة، لكل كثير الصبر على الطاعة والبلاء أو الضراء، شكور في حال النعمة والرفاه والسرور، قال قتادة: نعم العبد عبد إذا ابتلي صبر، وإذا أعطي شكر.

وعن رسول الله ﷺ أنه قال: (إن أمر المؤمن كله عجب، لا يقضي الله له قضاء إلا كان خيراً له، إن أصابته ضراء صبر، فكان خيراً له، وإن أصابته سراء شكر، فكان خيراً له)^(١).

فعلى المسلم أن يكون صابراً شكوراً، يصبر عند البلاء والمحنة، ويشكر عند الرخاء والنعمة^(٢).

٤- فضيلة التذكير بالخير والنشر ليشكر الله ويتقى فضيلة الصبر والشكر. أن للذكر فضيلة عند الله سبحانه وتعالى فلذاكرين أجر عند الله عظيم وكذلك الصابرين الشاكرين لأنعم الله فلهم الجنة بإذن الله^(٣).

٥- "الصَبَّارُ هو مَنْ يُكْثِرُ الصَّبْرَ عَلَى الْأَحْدَاثِ؛ وَهِيَ كَلِمَةٌ تُوحِي بِأَنَّ هُنَاكَ أَحْدَاثًا مُؤَلِّمَةً وَقَعَتْ، وَتَحْتَاجُ إِلَى الصَّبْرِ عَلَيْهَا، كَمَا تُوحِي كَلِمَةُ "شُكُورٌ" بِحَوَادِثٍ مَنَعْمَةٍ تَسْتَحِقُّ الشُّكْرَ.

وهكذا نجد أن المؤمن يحتاج إلى أمرين؛ صَبْرٍ عَلَى مَا يُؤَلِّمُ، وَشُكْرٍ عَلَى مَا يُرْضِي، وَحِينَ تَجْتَمِعُ هَاتَانِ الصِّفَتَانِ فِي مُؤْمِنٍ؛ يَكُونُ مُكْتَمِلَ الْإِيمَانِ.

وقد قال الحق سبحانه: إن تلك الآيات هي أدلة توضح الطريق أمام المؤمن، وتُعطي له العبرة، لأنه حين يعلم تاريخ الأقسام السابقة؛ ويجد أن مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ قَدْ عَانَى مِنْ بَعْضِ الْأَحْدَاثِ الْمُؤَلِّمَةِ؛ لَكِنَّهُ نَالَ رِضَا اللَّهِ وَنَعْمَهُ؛ وَمَنْ كَفَرَ مِنْهُمْ قَدْ تَمَتَّعَ قَلِيلًا، ثُمَّ تَلَقَّى نِقْمَةَ اللَّهِ وَغَضَبِهِ.

هذا يُقْبَلُ الْمُؤْمِنُ عَلَى تَحْمُلِ مَشَاقِّ الْإِيمَانِ؛ لِأَنَّهُ يَتَّقِي فِي أَنْ الْحَقِّ سَبْحَانَهُ لَا يُضِيعُ أَجْرَ مُؤْمِنٍ؛ وَلَا بُدَّ لِمُوكَبِ الْإِيمَانِ أَنْ يَنْتَصِرَ؛ وَلِذَلِكَ فَالْمُؤْمِنُ يَصْبِرُ عَلَى الْمُحَنِ، وَيَشْكُرُ عَلَى النَّعْمِ، وَصُورُ الصَّبْرِ مُتَعَدِّدَةٌ وَهِيَ الصَّبْرُ عَلَى الطَّاعَاتِ وَالصَّبْرُ عَلَى الْإِبْتِلَاءِ وَالصَّبْرُ عَلَى الْمَعَاصِي^(٤).

(١) صحيح مسلم: كتاب الزهد والرفائق، باب المؤمن أمره كله خير (٤/٢٢٩٥) (ح ٢٩٩٩).

(٢) انظر: التفسير المنير: الزحيلي (١٣/٢١٠).

(٣) انظر: أيسر التفاسير: الجزائري (٣/٤٢).

(٤) انظر: تفسير الشعراوي (١٢/٧٤٤٢).

٦- "صبار، شكور، صفتا مبالغة، وهما مشعرتان بأن أيام الله المراد بهما بلاؤه ونعمائه، أي: صبار على بلائه، شكور لنعمائه.

فإذا سمع بما أنزل الله من البلاء على الأمم، أو بما أفاض عليهم من النعم، تنبه على ما يجب عليه من الصبر إذا أصابه بلاء، ومن الشكر إذا أصابته نعماء، وخص الصبار والشكور لأنهما هما اللذان ينتفعان بالتذكير والتنبيه ويتعظان به، وقيل: أراد لكل مؤمن ناظر لنفسه، لأن الصبر والشكر من سجايا أهل الإيمان^(١).

٧- قال ابن عباس- رضي الله عنهما-، وأبي بن كعب^{رضي الله عنه}، ومجاهد وقتادة^{رضي الله عنه} (أيام الله) ذكرهم بنعم الله، وقال مقاتل^(٢) : بوقائع الله في الأمم السالفة، يقال: فلان عالم بأيام العرب، أي: بوقائعهم، فأراد بما كان في أيام الله من النعمة، والمحنة فاجتزأ بذكر الأيام عنه؛ لأنها كانت معلومة عندهم، والمعنى: عظمهم بالترغيب والترهيب، والوعد، والوعيد، فالترغيب، والوعد: أن يذكرهم ما أنعم الله عليهم وعلى من قبلهم ممن آمن بالله ممن سلف من الأمم والترهيب والوعد أن يذكرهم بأس الله وعذابه النازل بمن كذب بالرسول فيما سلف من الأيام، كعاد، وثمود وغيرهم.

واعلم أن أيام الله في حق موسى عليه الصلاة والسلام منها ما كانت أيام محنة وبلاء، وهي الأيام التي كانت بنو إسرائيل تحت قهر فرعون، ومنها: ما كانت راحة ونعما كأيام إنزال المن، والسلوى، وقلق البحر، وتظليل الغمام^(٣).

٨- وفي هذا إيماء إلى أن الإنسان في هذه الحياة يجب أن يكون بين صبر وشكر أبداً، لأنه إما في مكروه يصبر عليه، وإما في محبوب يشكر عليه، والوقت في هذه الحياة ذهب، فمتى ضاع من حياتنا زمن دون عمل نسدق فيه خدمة لأنفسنا ولديننا ووطننا فقد كفرنا النعمة، وأضعنا الفرصة، ولم نعتبر بما حل بمن قبلنا من الأمم الغابرة، فليحذر كل امرئ أن يضيع حياته بلا عمل، وليخف على وقت يضيع، ثم بعده عذاب سريع^(٤).

(١) البحر المحيط في التفسير: ابن حيان (٦/ ٤١٠).

(٢) مقاتل: كبير المفسرين، أبو الحسن، مقاتل بن سليمان البلخي يروي - على ضعفه البين - عن : مجاهد، والضحاك، وابن بريدة، وعطاء، وابن سيرين، وعمرو بن شعيب، وشرحبيل بن سعد، والمقبري، والزهري، وعدة، وعنه: سعد بن الصلت، وبقية، وعبد الرزاق، وحرمي بن عمارة، وشبابة، والوليد بن مزيد، وخلق آخرون علي بن الجعد ، سير أعلام النبلاء (٦/ ٦٠٢).

(٣) اللباب في علوم الكتاب: أبو حفص (١١/ ٣٤١).

(٤) انظر: تفسير المراعي (١٣/ ١٢٩).

المطلب الخامس

جزاء من شكر النعمة وعقوبة من حجبها

قَالَ تَعَالَى ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ * وَقَالَ مُوسَى إِنَّ تَكْفُرًا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ [إبراهيم: ٧، ٨].

أولاً: المناسبة:

بعد أن ذكر ﷺ ما ذكر به موسى عليه السلام قومه بما أولاهم به من نعمة، ورفع عنهم من نقمة، ذكر وعده ﷻ بالزيادة لمن شكر، ووعيده بالعذاب لمن كفر^(١).

ثانياً: معاني المفردات:

١- (تَأَذَّنَ) إذ علم ربكم^(٢).

٢- (شَكَرْتُمْ) عرفان النعمة وإظهارها والثناء بها ومن الله الرضا والثواب^(٣).

٢- (لَأَزِيدَنَّكُمْ) الزيادة: خلاف النقصان، زاد الشيء يزيد زيدا، وزيداً، وزيادة، ومزاداً، ومزيداً^(٤).

ثالثاً: المعنى الإجمالي:

يبين الله ﷻ أن دوام نعم الله ﷻ هي بشكرها، ومن يكفر بنعم الله فله العذاب الشديد، وكفر القوم أو عدمه لا يضر الله شيئاً ووباله عائد عليهم هم.

رابعاً: البلاغة:

١- (تَأَذَّنَ) يدل على المبالغة في الإعلام، وتكرره^(٥).

(١) انظر: المرجع السابق نفسه (١٣٢ / ١٣).

(٢) انظر: تهذيب اللغة: ابن الأزهري (١٥ / ١٥).

(٣) انظر: المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية بالقاهرة (١ / ٤٩٠).

(٤) انظر: المحكم والمحيط الأعظم: ابن سيده (٩ / ٨٥).

(٥) انظر: زهرة التفاسير: أبو زهرة (٨ / ٣٩٩٤).

٢- ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ شرط مؤكد بالقسم، والجواب (لَأَزِيدَنَّكُمْ) جواب القسم ودل على جواب الشرط، واللام موطئة للقسم، وكان الجواب مؤكداً بنون التوكيد الثقيلة^(١).

٣- واستغنى بـ ﴿إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ عن ﴿لَأَعَذِّبَنَّكَ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ [النمل: ٢١]، لكونه أعم وأوجز، ولكون إفادة الوعيد بضرب من التعريض أوقع في النفس^(٢).

٤- (جَمِيعًا) تأكيد لمن في الأرض للتخصيص على العموم^(٣).

خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف:

١- جعل تعالى التقى من أسباب الرزق كما في هذه الآيات، ووعد بالمزيد لمن شكر فقال:

﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ .

لئن شكرتم إنعمي لأزيدنكم من فضلي، وقال الحسن: لئن شكرتم نعمتي لأزيدنكم من طاعتي، ابن عباس: لئن وحدتم وأطعتم لأزيدنكم من الثواب، والمعنى متقارب في هذه الأقوال، والآية تنص في أن الشكر سبب المزيد، وسئل بعض الصلحاء عن الشكر لله فقال: ألا تتقوى بنعمه على معاصيه، وحكي عن داود عليه السلام أنه قال: أي رب كيف أشكرك، وشكري لك نعمة مجددة منك علي. قال: يا داود الآن شكرتني. قلت: فحقيقة الشكر على هذا الاعتراف بالنعمة للمنع، وألا يصرفها في غير طاعته، وقال جعفر الصادق: (إذا أسمعت النعمة الشكر فتأهب للمزيد)^(٤).

٢- أعلن موسى عليه السلام مبدأً أساسياً في الدين، حينما لا حظ منهم أمارات الكفر والعناد، وهو أن منافع الشكر ومضار الكفران لا تعود إلا إلى الإنسان، أما الله فهو غني عن عباده، فقال: إن تجحدوا نعمة الله عليكم أنتم وجميع من في الأرض من الثقلين: الإنس والجن، فإن الله غني عن شكر عباده.

وهو المحمود، وإن كفر به من كفر، كما قال الله تعالى: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ﴾

[الزمر: ٧]، وقال تعالى: ﴿فَكْفُرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَعْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [التغابن: ٦]،

(١) انظر: زهرة التفاسير: أبو زهرة (٨/ ٣٩٩٤).

(٢) انظر: التحرير والتنوير (١٣/ ١٩٤).

(٣) انظر: المرجع السابق نفسه (١٣/ ١٩٥).

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن: القرطبي (٦/ ٢٤١).

وقال سبحانه: ﴿وَإِنْ تَشْكُرُوا بِنِعْمَتِ اللَّهِ أَزِيدَنَّ لَكُمْ﴾ [الزمر: ٧] ^(١).

عن أبي ذر عن رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه ﷻ أنه قال: (يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم، كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم، ما زاد ذلك في ملكي شيئاً، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم، كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم، ما نقص ذلك في ملكي شيئاً، يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم، قاموا في صعيد واحد، فسألوني، فأعطيت كل إنسان مسألته، ما نقص ذلك من ملكي شيئاً، إلا كما ينقص المخيط إذا دخل البحر) ^(٢).

٣- إن في ذلك التذكير والتنبيه دلائل لمن كان صباراً شكوراً، ففي حال المحنة والبلية يصبر، وفي حال المنحة والعطية يشكر، وهذا تنبيه على أن المؤمن يجب ألا يخلو زمانه عن أحد هذين الأمرين: الصبر أو الشكر ^(٣).

٤- لقد تعرض بنو إسرائيل في زمن فرعون للحالتين: المحنة والنعمة، ولكنهم لم يقدرُوا النعمة ولم يشكروها، ولم يصبروا عند المحنة، وذلك ملحوظ من نصح موسى ﷺ لهم حينما رأى أمارات الكفر والعناد فيهم ^(٤).

٥- إن شكر النعمة سبب لزيادتها، وكفرانها سبب لزوالها، فالآية نص واضح في أن الشكر سبب المزيد، وأن جحود النعمة سبب النقص والزوال، فمن اشتغل بشكر نعم الله، زاده الله من نعمه، ومن كفر بنعمة الله فهو جاهل، والجهل بالله سبب لأعظم أنواع العقاب والعذاب، فالمراد بقوله: ولئن كفرتم لفرغنا منكم، لا الكفر والشكر يكون: بتوجيه الجوارح إلى ما خلقها الله له، وبذلك المال فيما أباحه وندب إليه، ونشر العلم فيما ينفع، لوجه الله - تعالى.

والشكر: هو عبارة عن الاعتراف بنعمة المنعم، مع تعظيمه وتوطين النفس على هذه الطريقة ^(٥).

فالاشتغال بكفران النعم يوجب العذاب الشديد، وحصول الآفات في الدنيا والآخرة، والاشتغال بشكر النعمة يستوجب زيادتها.

(١) انظر: التفسير المنير: الزحيلي (١٣/ ٢١١).

(٢) صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم (٤/ ١٩٩٤) (ح ٢٥٧٧).

(٣) انظر: التفسير المنير: الزحيلي (١٣/ ٢١٢).

(٤) انظر: المرجع السابق نفسه (١٣/ ٢١٣).

(٥) انظر: التفسير الوسيط: مجمع البحوث (١/ ٢٣٠).

ومنافع الشكر ومضار الكفران لا تعود الا إلى صاحب الشكر وصاحب الكفران، فمن شكر أعطى ومن كفر حرم. أما المعبود المشكور فإنه متعال عن أن ينتفع بالشكر أو يستنصر بالكفران^(١).

بهذا يعلم أن فائدة الشكر تعود على الشاكر فقط لا على غيره.

٦- الآية نص على أن الشكر سبب المزيد من النعمة، فإن من شكر الله على رزقه وسع عليه في الرزق، ومن شكره على ما أقدره عليه من طاعته زاد ثوابه في طاعته، ومن شكره على ما أنعم به عليه من صحة زاده الله صحة وهكذا.

لنفكر في نعم الله ﷻ على العباد التي لا تحصى، كما قال ﷻ: ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [النحل: ١٨]، وقال ﷻ: ﴿ وَمَا يَكُفُّمْ مِنْ نِعْمَةِ اللَّهِ إِنَّهُمْ إِذَا مَسَّكُمُ الضَّرُّ فَإِلَيْهِ يَجْتَرُونَ ﴾ [النحل: ٥٣]، وقد قال ﷻ: ﴿ وَإِذَا تَأَذَّتْ رِبُّكُمْ لَنْ شَكَرْتُمْ لِأَزِيدَنَّكُمْ وَلَنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم: ٧]^(٢).

٧- إن من مظاهر لطف الحق أنه يستقل كثير من النعم على خلقه، فالنعم التي منحها خلقه قليلة لأن خزائنه - سبحانه - ملأى وعطاياه لا تنفذ ولا يعترئها نقص، ولذلك قال سبحانه: ﴿ وَإِذَا تَأَذَّتْ رِبُّكُمْ لَنْ شَكَرْتُمْ لِأَزِيدَنَّكُمْ وَلَنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم: ٧].

أي أن نعمه الكثيرة على عباده قليلة، وفي المقابل: يستكثر قليل الطاعة من خلقه أي يعتبرها - تفضلاً منه - كثيرة؛ لأنه هو الذي يجزي الحسنة بعشر أمثالها^(٣).
- وتبين الآيات أن الله غني عن الشكر وعن الشاكرين:

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ إِنَّ تَكْفُرًا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ [إبراهيم: ٨].

ويقرر السياق أن الإنسان في عمومه لا يشكر النعمة حق الشكر:

﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ [إبراهيم: ٣٤]

(١) انظر: التفسير الواضح: الحجازي (٢/ ٢٤٨).

(٢) انظر: التفسير الوسيط: مجمع البحوث (٥/ ٤٦٥).

(٣) انظر: تفسير الشعراوي (٦/ ٣٨٤٥).

ولكن الذين يتدبرون آيات الله، وتفتتح لها بصائرهم يصبرون على البأساء ويشكرون على النعماء:

ويمثل الصبر والشكر في شخص إبراهيم في موقف خاشع، وفي دعاء واجف، عند بيت الله الحرام، كله حمد وشكر وصبر ودعاء^(١).

٨- "إن شكر النعمة دليل على استقامة المقاييس في النفس البشرية، فالخير يشكر لأن الشكر هو جزاؤه الطبيعي في الفطرة المستقيمة..

هذه واحدة... والأخرى أن النفس التي تشكر الله على نعمته، تراقبه في التصرف بهذه النعمة، بلا بطر، وبلا استعلاء على الخلق، وبلا استخدام للنعمة في الأذى والشر والذنس والفساد.

وهذه وتلك مما يزكي النفس، ويدفعها للعمل الصالح، وللتصرف الصالح في النعمة بما ينميها وبيارك فيها ويرضي الناس عنها وعن صاحبها، فيكونون له عوناً، ويصلح روابط المجتمع فتتمو فيه الثروات في أمان، إلى آخر الأسباب الطبيعية الظاهرة لنا في الحياة، وإن كان وعد الله بذاته يكفي لاطمئنان المؤمن، أدرك الأسباب أولم يدركها، فهو حق واقع لأنه وعد الله.

والكفر بنعمة الله قد يكون بعدم شكرها أو بإنكار أن الله واهبها، ونسبتها إلى العلم والخبرة والكذ الشخصي والسعي! كأن هذه الطاقات ليست نعمة من نعم الله! وقد يكون بسوء استخدامها بالبطر والكبر على الناس واستغلالها للشهوات والفساد... وكله كفر بنعمة الله..

والعذاب الشديد قد يتضمن محق النعمة عيناً بذهابها، أو سحق آثارها في الشعور. فكم من نعمة تكون بذاتها نقمة يشقى بها صاحبها ويحسد الخالين! وقد يكون عذاباً مؤجلاً إلى أجله في الدنيا أو في الآخرة كما يشاء الله. ولكنه واقع لأن الكفر بنعمة الله لا يمضي بلا جزاء.

ذلك الشكر لا تعود على الله عائدته. وهذا الكفر لا يرجع على الله أثره، فالله غني بذاته محمود بذاته، لا بحمد الناس وشكرهم على عطايه^(٢).

٩- إن الحمد والشكر بمعنى واحد، والحق أنهما يتلاقيان ويختلفان، فيتلاقيان في معنى الإحساس بالنعمة والقيام بحقها، وما يجب بالنسبة للمنع، ولكنهما يختلفان في القيام بحق المنعم، فالقيام بحق المنعم في الشكر الطاعة والعمل وجعل الجوارح كلها في طاعة الله تعالى، والخضوع المطلق لله تعالى في كل شأن من شئونه، وحال من أحواله. والقيام بحق المنعم في الحمد الثناء على الله تعالى ثناء مطلقاً كاملاً مع تذكر نعمائه، وتذكر ما يحيطه من الوجود كله، لا

(١) في ظلال القرآن: سيد قطب (٤/ ٢٠٨١).

(٢) المرجع السابق نفسه (٤/ ٢٠٨٩).

في ناحية من نواحي شخصه؛ والحمد ذاته عبادة والشكر يكون على النعمة وبالمثابرة على الطاعة والعبادة^(١).

١٠- شكر النعمة أداؤها فيما خلقت له، فشكر نعمة الأذن ألا يسمع إلى منكر، وشكر نعمة اللسان ألا ينطق إلا بالحق، وشكر نعمة العقل ألا يذعن إلا للحق ولا يفكر إلا في الوصول إلى الحق والإيمان بالتوحيد، والإنسان مغمور في نعم من لسان ينطق وأذن تسمع، وعين تبصر وجوارح تكسب، وكل نعمة لها شكرها، فإن شكر زادها الله تعالى.

وكفر النعمة ألا يتخذها في طاعة، فكفر ذي المال بإنفاقه في غير محله، والاستعلاء به وبطر العيش، وأن يطغى إذا استغنى هذا يدل على أن الطاعة تعود عائدتها على من قام بها، لأن شكر المنعم، وشكر النعمة يزيدنها، وإن كفر النعمة معه عذاب أليم، والله غني عن العباد^(٢).

(١) انظر: زهرة التفاسير: أبو زهرة (١/ ٥٦).

(٢) انظر: المرجع السابق نفسه (٨/ ٣٩٩٤).

المبحث الثاني
الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة إبراهيم
من الآية (٩) إلى الآية (١٧)

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : كفر ومجادلة الأقسام للأنبياء.

المطلب الثاني : توكل الأنبياء على الله وصبرهم على إيذاء اقوامهم.

المطلب الثالث: بشرى هلاك الظالمين وعودة الأرض إلى أصحابها المؤمنين.

المطلب الرابع : صور من عقاب المجرمين في الآخرة.

المطلب الأول

كفر ومجادلة الأقسام للأنبياء

قَالَ تَعَالَى ﴿الْقُرْآنَ كَتَبْنَا بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَمْ يَكُن لِقَوْمٍ يُشْرِكُونَ﴾ [إبراهيم: ١٠، ٩].

قَالَ تَعَالَى ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِكَ وَمَنْ يُؤْمِرْ بِهِمْ فَاقْتُلُوا قُلُوبَهُمْ كَمَا قُتِلُوا﴾ [إبراهيم: ١٠، ٩].

قَالَ تَعَالَى ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِكَ وَمَنْ يُؤْمِرْ بِهِمْ فَاقْتُلُوا قُلُوبَهُمْ كَمَا قُتِلُوا﴾ [إبراهيم: ١٠، ٩].

قَالَ تَعَالَى ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِكَ وَمَنْ يُؤْمِرْ بِهِمْ فَاقْتُلُوا قُلُوبَهُمْ كَمَا قُتِلُوا﴾ [إبراهيم: ١٠، ٩].

أولاً: المناسبة:

نكرهم بأيام الله فيمن قبلهم، من الأمم السالفة والأجيال البائدة، فذكر القول أولاً في الآيات السابقة على سبيل الإجمال، ثم بعد ذلك أتبعه هنا بمحاورة بين الرسل وأقوامهم، أقام فيها الرسل الحجة على أممهم، ودحض ما تمسكوا به من الترهات والأباطيل^(١).

ثانياً: معاني المفردات:

١- (نَبُؤًا) الخبر^(٢).

٢- (فَاطِرٍ) فطره يفطره بالضم فطراً، أي: خلقه^(٣).

٣- (مُرِيْبٍ) الريب الظن والشك وربني الشيء يربيني إذا جعلك شاكاً^(٤).

٤- (تَصَدُّونَا) صد عنه يصد صدوداً: أعرض، وصدته عن الأمر صدأً، منعه وصرفه عنه^(٥).

(١) انظر: تفسير المراغي (١٣/ ١٣٢).

(٢) انظر: العين: الفراهيدي (٨/ ٣٨٢).

(٣) انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: الفارابي (٢/ ٧٨١).

(٤) انظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: ابن الفارابي (١/ ٢٤٧).

(٥) انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: للفارابي (٢/ ٤٩٥).

ثالثاً: المعنى الإجمالي:

يبين الله ﷻ مخوفاً عباده ما أحله بالأمم المكذبة حين جاءتهم الرسل، فكذبوهم، فعاقبهم بالعقاب العاجل الذي رآه الناس بعد أن جاءتهم بالأدلة الدالة على صدق ما جاءوا به^(١).

رابعاً: البلاغة:

١- (الزَيَاتِكُمْ) الاستفهام للإنكار بمعنى نفي الوقوع فهو للنفي جاء على صورة الاستفهام

تأكيداً للنفي، كأنهم سئلوا فأجابوا بالنفي، وهو داخل على النفي، فنفي النفي إثبات.

٢- (أَفِي اللَّهِ شَكٌّ) الاستفهام إنكاري توبيخي لإنكار الواقع، فقد وقع الشك منهم كما تدل الآية

السابقة، وهو حيرة أهل الظلام إذا رأوا النور تحيروا بين باطل أفوه، وحق جاء إليهم هادياً فارتابوا.

٣- (أَفِي اللَّهِ شَكٌّ) قدم الجار والمجرور؛ لأهمية معالجة مرض الشك في الله أو لغرابة أن يكون

ثمة شك في الله ﷻ، وهو الذي فطر السماوات والأرض.

٤- (إِنَّ) هنا نافية وهي مع الإثبات بعدها بالاستناد تفيد القصر، أي: أنتم معشر الرسل مقصرون على البشرية^(٢).

٥- (يَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ)، (مَنْ) هنا إما أن تكون بيانية، ويكون المعنى (يَغْفِرَ

لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ) وتكون للدلالة على استغراق الغفران لكل الذنوب إذا آمنوا^(٣).

٦- (الزَيَاتِكُمْ) هذا الكلام استئناف ابتدائي رجع به الخطاب إلى المشركين من العرب على

طريقة الالتفات.

٧- جملة (لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ) معترضة بين والذين من بعدهم وبين جملة جاءتهم رسلهم بالبينات

الواقعة حالاً من، والذين من بعدهم، وهو كناية عن الكثرة التي يستلزمها انتفاء علم الناس بهم.

٨- (فَرَدُّوْا) العطف بفاء التعقيب مشير إلى أنهم بادروا برد أيديهم في أفواههم بفور تلقيهم دعوة

رسلهم، فيقتضي أن يكون رد الأيدي في الأفواه تمثيلاً لحال المتعجب المستهزئ.

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن: السعدي (ص: ٤٢٢).

(٢) انظر: المرجع السابق نفسه (٨ / ٤٠٠١).

(٣) انظر: زهرة التفسير: أبو زهرة (٨ / ٣٩٩٦ - ٤٠٠١).

- ٩- (ميراث الأرض) كناية عن حسن العاقبة جرياً على بيان العرب عند تنافس قبائلهم أن حسن العاقبة يكون لمن أخذ أرض عدوه^(١).
- ١٠- (مُريب) تأكيد لمعنى لفي شك، والمريب: المتوقع في الريب، وهو مرادف الشك، فوصف الشك بالمريب من تأكيد ماهيته^(٢).
- ١١- (إِنَّا) حذف إحدى النونين تخفيفاً تجنباً للثقل الناشئ من وقوع نونين آخرين بعد في قوله: تدعوننا^(٣).

خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف

- ١- للقرآن الكريم منهجية خاصة في عرضه للقصص الأنبياء والأقوام السابقة؛ ليتمكن من بعدهم أخذ العبرة والعظة من أحوال الأمم السابقة، وفي ذلك تنكير لهم أنهم كذبوا بكل وقاحة بالرسول والأنبياء .
- وتذكير أيضاً بدور هؤلاء الرسل في محاولة إقناع أقوامهم بتوحيد الله وقدرته وسلطانه وتصرفه في كل شيء، وبحاجة البشر إلى التوكل على الله والتفويض لمشيئته.
- ومفاد هذا التذكير والخطاب العام: ألم يأتكم يا أهل مكة وأمثالكم خير الأقوام السابقين من قبلكم، وهم قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم من الأمم المكذبة للرسل، مما لا يحصي عددهم إلا الله ﷻ^(٤).
- ٢- لكل رسول من الرسل أسلوب يتميز به في دعوة قومه للإيمان والتبصر في أسرار الكون، ليتعرفوا بذلك وجود الخالق سبحانه وتعالى ووحدانيته، واتصافه بكل كمال وتنزهه عن كل نقص.
- ويجوز أن يكون المعنى: أفي ألوهية الله وتفرد بوجوب العبادة شك ... ؟ وهو الخالق لجميع الأرض والسموات المدبر لأمرها، فلا يستحق العبادة أحد سواه.
- وربما كان هذا المعنى أولى، فإن أغلب الأمم كانت تقر بوجود الخالق المدبر ولكنها، كانت تعبد معه غيره من الوسائط التي زعموا أنها تقربهم إلى الله زلفى، ثم قالت لهم رسلهم:

(١) انظر: التحرير والتنوير: لابن عاشور (١٣/ ١٩٧-١٩٥) .

(٢) انظر: المرجع السابق نفسه (١٣/ ١٩٨).

(٣) انظر المرجع السابق نفسه: الصفحة نفسها.

(٤) انظر: التفسير الوسيط: الزحيلي (٢/ ١١٨٤).

(يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى)، أي: يدعوكم الله إلى الإيمان به وبوحدانيته وسائر صفاته وكمالاته، على السنة رسله وشواهد آياته الكونية وكتبه المنزلة، ليخرجكم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان وضياء التوحيد؛ لِيَغْفِرَ لَكُمْ بعض الذنوب، ويمحو عنكم بعض ما اقترفتموه من الآثام، وهي التي تتعلق بحقوق الله وحده، وفي ذلك يقول تعالى: (قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ).

أما حقوق العباد فإن الله سبحانه وتعالى لا يعفو عنها إلا برضا أصحابها وعفوهم عنها، والبعض الذي يغفر هو ما يتعلق بحق الله تعالى، فإن حق الله تعالى مبنى على المسامحة بمقتضى هذا الوعد الكريم، أما حقوق العباد فإنها مبنية على المطالبة والمواخاة^(١).

٣- إن الله ﷻ وحده متفرد بالعبادة مستحق لها لا يشاركه أحد في ملكه، فإن الفطرة تقر بوجوده، ومجبولة على الإقرار به، وهل في تفرد بالألوهية ووجوب عبادته شك وهو الخالق لجميع الموجودات، ولا يستحق العبادة إلا هو وحده لا شريك له؟! فإن غالب الأمم كانت مقرة بالصانع، ولكن تعبد معه غيره من الوسائط التي يظنون أنها تقربهم من الله زلفى.

وأما دليل الفطرة فتأبث كما أخبر النبي ﷺ بقوله: (كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه، أو يمجسانه)^(٢).

وأما دليل الخلق فهو أمر حسي مشاهد، وهو ما نبه إليه بقوله مباشرة:

﴿ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [فاطر: ١]، أي: كيف تشكون في الله، وهو خالق السموات والأرض ومبدعهما على غير مثال سبق، وعلى هذا النظام المحكم البديع؟! وهو تعالى عدا كونه يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم أي يدعوكم إلى الإيمان الكامل به، من أجل أن يغفر لكم في الدار الآخرة ذنوبكم - على أن (من) صلة زائدة - أو بعض ذنوبكم - على (أن) من تبعيضية - فهو يغفر الذنوب المتعلقة به، لا الذنوب التي لها صلة بحقوق العباد، وهذا هو الغرض الأول من الدعوة إلى الإيمان^(٣).

٤- ﴿ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [إبراهيم: ١٠]، هذا هو الغرض الثاني من الدعوة إلى الإيمان، وهو الإمهال والتأخير إلى وقت محدد معين في علم الله تعالى، وهو منتهى العمر، إن حدث الإيمان، وإلا عاجلكم الهلاك والعذاب بسبب الكفر.

(١) انظر: التفسير الوسيط - مجمع البحوث (٥/ ٤٧٠).

(٢) صحيح البخاري: كتاب تفسير القرآن، باب {لا تبدل لخلق الله} [الروم: ٣٠]: لدين الله (١١٤/ح) (٤٧٧٥).

(٣) انظر: التفسير المنير: الزحيلي (١٣/ ٢١٧).

فالإيمان يتحقق به رحمتان أو نعمتان وهما مغفرة الذنوب والإمهال إلى نهاية الأعمار^(١). وقد احتوت حكاية ما كان بين الرسل وأقوامهم من أخذ ورد وحجاج ولجاج وتحذٍ وتهديد ووعيد وانتهت بتقرير خيبة كل جبار عنيد وخزيه في الدنيا، وشدة ما ينتظره في الآخرة من عذاب وأهوال، واستهدفت كما هو المتبادر تذكير السامعين الكفار بعاقبة الكفار العنيديين الأولين في الدنيا وما سوف تكون عاقبتهم في الآخرة وإثارة الخوف والارعواء فيهم، وفيها- كما في سابقها- معنى التعقيب على آيات السورة الأولى التي حكمت موقف كفار العرب كما هو المتبادر أيضاً.

وبلغت النظر إلى التماثل بين ما تحكيه الآيات من موقف كفار الأمم السابقة وأقوالهم، وما حكته آيات عديدة مرّت أمثلة، منها: من موقف كفار العرب وأقوالهم ومجادلتهم وتهديدهم للنبي والمؤمنين بالإخراج وأذيتهم لمن يقدر على أذيته منهم، وكذلك التماثل بين ما تحكيه من أقوال الأنبياء وردودهم وبين ما حكته آيات عديدة مرّت أمثلة منها من موقف النبي وردوده على الكفار بلسان القرآن.

وواضح أن هذا التماثل يزيد في قوة تأثير الآيات في السامعين من جهة، وفي تطمين النبي والمؤمنين وتسليتهم من جهة أخرى، وهو ما استهدفته الآيات كما هو المتبادر.

وقوله (أَفِي اللَّهِ شَكٌّ) جديرة بالتنويه؛ فكفار الأمم السابقة يقولون لأنبيائهم: إننا في شك مما تدعوننا إليه، ويطلبون برهاناً على صحة دعوتهم فيحكي القرآن ردّ الأنبياء بأن دعوتهم إلى الله ولا يصح أن يكون في الله شك، وهو فاطر السموات والأرض حتى يطلبوا برهاناً على صحة الدعوة إليه^(٢).

٥- هذا مماثل لموقف القرآن من كفار العرب فكما طلبوا الآيات والخوارق، كدليل على صحة رسالة النبي أجيبوا بما يفيد أن الدعوة إلى الله، وأنها لا تحتاج إلى آيات وخوارق لأن آيات الله الماثلة أمامهم والتي يرونها، ويحسونها في مشاهد الكون العظيم ونواميسه وفي أنفسهم كافية شافية لمن كان حسن النية صادق الرغبة في الإيمان بالله وحده. والمتبادر أن هذا قد حكي على لسان الأنبياء السابقين ليكون فيه لكفار العرب الإلزام والإفحام^(٣).

٦- الله تعالى فاطر السموات والأرض متصف أيضاً بكمال الرحمة والكرم والجود، بدليل أن الغرض من دعوة الناس إلى الإيمان به ويتوحيده أمران:

(١) انظر: التفسير المنير: الزحيلي (١٣/ ٢١٨).

(٢) انظر: التفسير الحديث: دروزة (٥/ ٢٢٤).

(٣) انظر: المرجع السابق (٥/ ٢٢٤).

الأول- مغفرة الذنوب والخطايا والآثام، وفيها تطهير للنفس بيوئها لدخول الجنان التي لا يستحقها إلا الأظهار، والثاني- تأخير الناس إلى نهاية أعمارهم وهو الموت، فلا يعذبهم في الدنيا. كانت أجوبة الكفار واهية مشتملة على شبهات ثلاث:

الأولى: التساوي في الإنسانية يمنع وجود التفاضل بينهم، بأن يكون الواحد منهم رسولاً من عند الله، مطلعاً على الغيب، مخالطاً لزمرة الملائكة، والباقون غافلون عن كل هذه الأحوال، وهذا معنى قولهم: إن أنتم إلا بشر مثلنا.

والثانية: التمسك بطريق التقليد: وهي أنهم وجدوا آباءهم وعلماءهم وكبراءهم متفقين على عبادة الأوثان، ويعبد أنهم لم يعرفوا بطلان هذا الدين، وهذا معنى قولهم: تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا.

والثالثة: المعجز لا يدل على الصدق أصلاً، وإن سلم أنه يدل على الصدق، فإن ما جاء به الرسل أمور معتادة، وليست من باب المعجزات الخارجة عن قدرة البشر، وهذا معنى قولهم: فأتونا بسلطان مبين^(١).

(١) انظر: تفسير الشعراوي (١٢ / ٧٤٥٠)، أيسر التفاسير: الجزائري (٣ / ٤٤).

المطلب الثاني

توكل الأنبياء على الله وصبرهم على إيذاء اقوامهم

قَالَ تَعَالَى ﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۗ وَمَا كُنَّا لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ * وَمَا لَنَا إِلَّا نَنُوكِلَ عَلَىٰ اللَّهِ وَقَدْ هَدانا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا أَدَيْتُمُونَا وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [إبراهيم م: ١١، ١٢].

أولاً: المناسبة:

بعد أن ذكر الله ﷻ ما دار من الحوار والجدل بين الرسل وأقوامهم، ذكر الحجج التي أدلى بها الرسل^(١).

ثانياً: معاني المفردات:

١- (يَمُنُّ) مَنْ عَلَيْهِ: أي أنعم^(٢).

٢- (نَنُوكِلَ) اتكل على الله: اعتمد عليه واستسلم إليه ثقة برحمته وكرمه^(٣).

٣- (سُبُلَنَا) السبيل هو الطريق وما وضع منه^(٤).

ثالثاً: المعنى الإجمالي:

لقد خص الله ﷻ الأنبياء بالرسالة بفضل منه وامتنان، وما يصح وما يستقيم للرسل أن يأتوا بحجة من الحجج، أو بخارق من الخوارق التي يقترحها عليهم الكفار، إلا بإذن الله وإرادته، وفي الآيات الكريمة أمر من الرسل لمن آمن من قومهم بالتوكل على الله وحده، وقد قصدوا بهذا الأمر أنفسهم قصداً أولياً^(٥).

(١) انظر: تفسير المراغي (١٣ / ١٣٧).

(٢) انظر: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم: الحميري (٩ / ٦١٩٧).

(٣) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة: أحمد عمر (٣ / ٢٤٨٩).

(٤) انظر: المعجم الوسيط- مجمع اللغة العربية بالقاهرة (١ / ٤١٥).

(٥) انظر: التفسير الوسيط: الطنطاوي (٧ / ٥٣١).

رابعاً: البلاغة:

١- (وَعَلَى اللَّهِ فَيْتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) قدم الجار والمجرور؛ للدلالة على أنه لا يعتمد إلا عليه ﷺ^(١).

٢- (وَمَا لَنَا) الاستفهام هنا؛ لتقرير التوكل وتثبيته، أي: ما ساغ لنا ألا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا^(٢).

٣- (سُبُلَنَا) أضافوا السبل إلى ضميرهم؛ للاختصار لأن أمور دينهم صارت معروفة لدى الجميع^(٣).

٤- (وَمَا لَنَا الْأَنْتَوَكَّلِ) استفهام إنكاري؛ لانتفاء توكلهم على الله، أتوا به في صورة الإنكار بناء على ما هو معروف من استحماق الكفار إياهم في توكلهم على الله، فجاءوا بإنكار نفي التوكل على الله، ومعنى وما لنا ألا نتوكل ما ثبت لنا من عدم التوكل، فاللام للاستحقاق^(٤).

٥- فصيغة الاستقبال المستفادة من المضارع المؤكد بنون التوكيد في (وَلَنْصَبِرَنَّ) دلت على أذى مستقبل، ودلت صيغة الماضي المنتزع منها المصدر في قوله: (مَاءً آذِيْتُمُونَا) على أذى مضى، فحصل من ذلك معنى نصبر على أذى متوقع كما صبرنا على أذى مضى^(٥).

خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف:

١- تأكيد الأنبياء لأقوامهم أنهم يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق واختصاص النبوة أمر متروك لله يتفضل بها على من يشاء من عباده، وتقليدكم للآباء لا يتفق مع العقل والكرامة الإنسانية، ولا نستطيع الإتيان بمعجزة أو دليل حسي لإثبات نبوتنا إلا بإذن الله وإرادته ومشيتته، وعلى جميع المؤمنين الاتكال على الله في كل أمورهم، لدفع الشر أو جلب الخير أو الصبر على العداوة^(٦).

(١) انظر: زهرة التفاسير (٨/ ٤٠٠٣).

(٢) انظر: المرجع السابق (٨/ ٤٠٠٤).

(٣) انظر: التحرير والتنوير (١٣/ ٢٠٤).

(٤) انظر: المرجع السابق نفسه: الصفحة نفسها.

(٥) انظر: المرجع السابق نفسه: الصفحة نفسها.

(٦) انظر: التفسير الوسيط: الزحيلي (٢/ ١١٨٥).

٢- كان رد الأنبياء عليهم السلام على الشبهات الثلاث بما يأتي:

أما الشبهة الأولى: إن أنتم إلا بشر مثلنا فجوابها أن التماثل في البشرية والإنسانية لا يمنع من اختصاص بعض البشر بمنصب النبوة لأنه منصب يمن الله به على من يشاء من عباده.

وأما الشبهة الثانية: وهي توافق السلف على ذلك الدين، مما يدل على كونه حقا، فجوابها: أن التمييز بين الحق والباطل، والصدق والكذب عطية من الله تعالى وفضل منه، ولا يبعد أن يخص بعض عباده بهذه العطية، وأن يحرم الجمع العظيم منها.

وأما الشبهة الثالثة: وهي أنا لا نرضى بهذه المعجزات التي أتيت بها، وإنما نريد معجزات قاهرة قوية، فالجواب عنها أن الأشياء التي طلبتموها أمور زائدة، والحكم فيها لله تعالى، فإن أظهرها فله الفضل، وإن لم يخلقها فله العدل، ولا يطلب منه شيء بعد توافر قدر الكفاية^(١).

٣- لا سبيل أمام الأنبياء إلا الصبر على الأذى والاعتصام بالله وتفويض الأمر إليه والتوكل التام عليه، فإن الصبر مفتاح الفرج، ومطلع الخيرات، والتوكل على الله والاعتماد على فضله محقق للنصر والفتوح، وفي ذلك أيضاً للمؤمنين على توكل والصبر في كافة أمورهم الحياتية^(٢).

٤- يبين الله سبحانه وتعالى ما كان أهل الكفر يقابلون به أنبيائهم ومعاندتهم في الرد عليهم بعدم قبول دعوتهم وجحودهم بما أنزل الله سبحانه وتعالى في حين أن الرسل تفننوا في الرد عليهم ودعوتهم إلى الإيمان، ومن أمثلة جحود الكافرين ما قال الظالمون لرسلمهم الذين جاءوا لهديتهم، ما أنتم إلا بشر مثلنا في الهيئة والصورة والمأكَل والمشرب، تريدون بما جئتمونا به أن تصرفونا وتمنعونا عن عبادة الآلهة التي ورثنا عبادتها عن آبائنا ... فإن كنتم صادقين في دعوكم هذه (فأئونا بسُلطانٍ مُبينٍ) أي: بحجة ظاهرة تدل على صدقكم وتتسلط هذه الحجة بقوتها على نفوسنا وتجذبها إلى اليقين، من السلاطة وهي التمكن من القهر.

وكان هؤلاء الظالمين بقولهم هذا، يرون أن الرسل لا يصح أن يكونوا من البشر، وإنما يكونون من الملائكة.

وكان ما أتاهم به الرسل من حجج باهرة تدل على صدقهم، ليس كافياً في زعم هؤلاء المكذبين للإيمان بهم، بل عليهم أن يأتوهم بحجج محسوسة أخرى، وهكذا الجحود العقلي، والانطماس النفسي يحمل أصحابه على قلب الحقائق، وإيثار طريق الضلالة على طريق الهداية وهنا

(١) انظر: التفسير الوسيط: الزحيلي (١٣ / ٢٢١).

(٢) انظر: المرجع السابق نفسه (١٣ / ٢٢٢).

يحكى القرآن أن الرسل - عليهم السلام - قد قابلوا هذا السفه من أقوالهم بالمنطق الحكيم، وبالأسلوب المهذب^(١).

٥- من الأساليب التي اختص بها الرسل في دعوة أقوامهم أن الرسل - عليهم السلام - قد سلموا للمكذبين دعواهم المماثلة في البشرية، في أول الأمر، ثم بعد ذلك بينوا لهم جهلهم وسوء تفكيرهم، بأن أفهموهم بطريق الاستدراك، أن المشاركة في الجنس لا تمنع التفاضل، فالبشر كلهم عباد الله، ولكنه - سبحانه - يمن على بعضهم بنعم لم يعطها لسواهم..

فالمقصود بالاستدراك دفع ما توهمه المكذبون، من كون المماثلة في البشرية تمنع اختصاص بعض البشر بالنبوة^(٢).

٦- نرى أن الآيات الكريمة، قد حكمت لنا بأسلوب مؤثر حكيم، جانباً من المحاورات التي دارت بين الرسل وبين مكذبيهم، وبينت لنا كيف دافع الرسل عن عقيدتهم، وكيف ردوا على الأقوال السيئة، والأفعال القبيحة، التي واجههم بها المكذبون، وكيف أعلنوا في قوة وعزم وإصرار ثباتهم في وجوه أعدائهم، ومقابلتهم الأذى بالصبر الذي لا جزع معه، مهما صنع الأعداء في طريقهم من عقبات، ومهما أثاروا من أباطيل وشبهات^(٣).

٧- جو الحديث عن نعم الله، ومنها هذه المنة على من يشاء من عباده، وهي منة ضخمة لا على أشخاص الرسل وحدهم، ولكن كذلك على البشرية التي تشرف بانتخاب أفراد منها لهذه المهمة العظيمة، مهمة الاتصال والتلقي من الملائكة الأعلى، وهي منة على البشرية بتذكير الفطرة التي ران عليها الركام لتخرج من الظلمات إلى النور ولتتحرك فيها أجهزة الاستقبال والتلقي فتخرج من الموت الراكد إلى الحياة المنفتحة... ثم هي المنة الكبرى على البشرية بإخراج الناس من الدينونة للعباد إلى الدينونة لله وحده بلا شريك واستنقاذ كرامتهم وطاقاتهم من الذل والتبديد في الدينونة للعباد...

الذل الذي يحني هامة إنسان لعبد مثله! والتبديد الذي يسخر طاقة إنسان لتأليه عبد مثله! فأما حكاية الإتيان بسلطان مبين، وقوة خارقة، فالرسل يبينون لقومهم أنها من شأن الله، ليفرقوا في مداركهم المبهمة المظلمة بين ذات الله الإلهية، وذواتهم هم البشرية، وليمحصوا صورة التوحيد المطلق الذي لا يلتبس بمشابهة في ذات ولا صفة، وهي المتاهة التي تاهت فيها الوثنيات كما تاهت فيها التصورات الكنسية في المسيحية عند ما تلبست بالوثنيات الإغريقية والرومانية

(١) انظر: أيسر التفاسير: للجزائري (٣/ ٤٨)، التفسير الوسيط: طنطاوي (٧/ ٥٣٠).

(٢) انظر: التفسير الوسيط: طنطاوي (٧/ ٥٣٠).

(٣) انظر: المرجع السابق نفسه (٧/ ٥٣٢).

والمصرية والهندية. وكانت نقطة البدء في المتاهة هي نسبة الخوارق إلى عيسى عليه السلام بذاته واللبس بين ألوهية الله وعبودية عيسى عليه السلام، وفائدة تكرار الأمر بالتوكل: أمر أنفسهم به أولاً ثم أمر أتباعهم به، فبعد أن أمرو أنفسهم بالتوكل على الله في قوله: وما لنا ألا نتوكل على الله أمرو أتباعهم بذلك وقالوا: وعلى الله فليتوكل المتوكلون وهو يدل على أن الأمر بالخير لا يؤثر قوله إلا إذا أتى بذلك الخير أولاً^(١).

٨- التوكل هنا فهو يشمل المؤمنين والرسل، وهو تحديد للتوكل الذي يجب أن يكون حال المؤمن لا يفارقه؛ لأنه التوكل على الله مع اتخاذ الأسباب عبادة، والتوكل معناه: الاعتماد عليه، وتفويض الأمور إليه، مع مباشرة الأسباب التي أمر - سبحانه - بمباشرتها وقد أكد على وجوب التوكل عليه^(٢).

(١) انظر: في ظلال القرآن: سيد قطب (٤ / ٢٠٩١).

(٢) انظر: زهرة التفاسير: أبو زهرة (٨ / ٤٠٠٤).

المطلب الثالث

بشرى هلاك الظالمين وعودة الأرض إلى أصحابها المؤمنين

قَالَ تَعَالَى ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّسُلُ سِمْيَاتٌ نُنحَرِجُكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَعُونُكُمْ فِي مَلَاتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُلَاحِظَنَّ الظَّالِمِينَ * وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴾ [إبراهيم: ١٣، ١٤].

أولاً: المناسبة:

بعد أن بين أنبياء الله ﷺ أن توكلهم على الله وحده بين الله هنا كيف توعدت الأقوام من الأنبياء بإخراجهم من أرضهم.

ثانياً: معاني المفردات:

١- (مَلَاتِنَا) الملة هي السنة والطريقة^(١).

٢- (فَأَوْحَى) وحي يحي وحياء، أي: كتب يكتب كتباً وأوحى الله إليه، أي: بعثه، وأوحى إليه: ألهمه^(٢).

٣- (لَنُلَاحِظَنَّ) هلك الناس، أي: استوجبوا النار بسوء أعمالهم^(٣).

٤- (وَعِيدِ) الوعيد هو التهديد^(٤).

ثالثاً: المعنى الإجمالي:

بين ﷻ أنه أوحى إلى رسله أن العاقبة والنصر لهم على أعدائهم، وأنه يسكنهم الأرض بعد إهلاك أعدائهم ووعدهم النصر في الدنيا، والجنة في الآخرة^(٥).

(١) انظر: لسان العرب: ابن منظور (١١ / ٦٣١).

(٢) انظر: العين: الفراهيدي (٣ / ٣٢٠).

(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير (٥ / ٢٦٩).

(٤) انظر: تاج العروس: الزبيدي (٩ / ٣٠٩).

(٥) انظر: الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور: حكمت ياسين (٣ / ١٣٠).

رابعاً: البلاغة:

- ١- (لَيْلِكِنَّ الظَّالِمِينَ): اللام لام القسم، والنون نون التوكيد الثقيلة، وهي توكيد للقسم فضل توكيد، وأظهر سبحانه في موضع الإضمار، فلم يقل لنهلكهم، لبيان سب الهلاك وهو الظلم، وقد ظلم هؤلاء إذ لم يؤمنوا وأشركوا^(١).
- ٢- تغيير أسلوب الحكاية بطريق الإظهار دون الإضمار يؤذن بأن المراد ب(الَّذِينَ كَفَرُوا) هنا غير الكافرين الذين تقدمت الحكاية عنهم فإن الحكاية عنهم كانت بطريق الإضمار، فالمراد ب الذين كفروا هنا كفار قريش على طريقة التوجيه^(٢).
- ٣- (لَنُخْرِجَنَّكُمْ) تأكيد توعدهم بالإخراج بلام القسم ونون التوكيد ضراوة في الشر^(٣).
- ٤- (فِي مَلْتَنَا) الظرفية هنا مجازية مستعملة في التمكن من التلبس بالشيء المتروك، فكأنه عاد إليه^(٤).

خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف:

- ١- لقد تعرّض الرّسل الكرام عليهم السلام في التاريخ من أقوامهم المرسلين إليهم لأسوأ أنواع المعاملة، وأقسى الكلام، والتهديد بالطرْد أو الإبعاد من البلاد أو الإعادة إلى الوثنية الموروثة والجاهلية الفوضوية، معتمدين في هذا التهديد على مالهم من قوة وسلطان ونفوذ، إما بسبب الكثرة العددية والأتباع أو الثروة والمال، أو الجاه والظلم الطبقي، ويستغلون ضعف الدّعاة إلى الله وقلة أتباعهم، إلا أن العبرة بالنتائج، ففي نهاية الأمر تكون الغلبة والتفوق والنصر لأهل الحق والإيمان، والهزيمة والمذلة لأهل الكفر والباطل والضلال والسبب في هذا التهديد والوعيد: اغترار الكفار بقوتهم وكثرتهم، وقلة عدد المؤمنين وضعف عددهم، وأما قولهم لتعودن في ملتنا فلا يعني أن الرسل كانوا وثنيين، وإنما كانوا في ظاهر الأمر معهم، من غير إظهار مخالفة، فظن القوم أنهم كانوا على دينهم.

(١) انظر: زهرة التفاسير: أبو زهرة (٨/ ٤٠٠٦).

(٢) انظر: التحرير والتنوير: ابن عاشور (١٣/ ٢٠٥).

(٣) انظر: المرجع السابق نفسه (١٣/ ٢٠٦).

(٤) انظر: المرجع السابق نفسه: الصفحة نفسها.

فأوحى إليهم ربهم... أي: فأوحى الله إلى رسله قائلاً لهم: لنهلكن الظالمين المشركين، ولنسكنكنم أرضهم وديارهم من بعد هلاكهم، عقوبة لهم على تهديدهم وإنذارهم بالطرد والإبعاد.

وهذا تهديد ووعده من الله للمشركين في مقابل تهديدهم الرسل، وشتان بين التهديدين، كما قال

تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كِمْئَنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾

[الصافات: ١٧١ - ١٧٣]، وقال تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ

﴿١١﴾﴾ [المجادلة: ٢١] وقال ﷺ: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ

يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٥]، وأن الله سبحانه وتعالى تأييداً لذلك

ينصر عباده المتقين رغم قلة حيلتهم وإمكانياتهم في كل مكان وزمان، وقد شهدنا ذلك في العديد من الجولات التي خاضها أهل غزة في الثلاث سنوات الأخيرة وكيف أن الله أيدهم رغم

قلة عددهم وعتادهم ولكن كان ذلك بصمودهم وصبرهم ودعائهم المستمر^(١).

٢- لا يلجأ أحد إلى القوة إلا إذا كَلَّ به الدليل، وأحس بأن ما يسوقه من قول يحسبه حجة انهيار

أمام قوة الحق؛ ولأن أتباع الرسل دائماً يكونون قلة وأكثرهم ضعفاء يستهين بهم المشركون؛ لأنهم أعز نفراً، وأشد بأساً، وأكثر تعنتاً؛

وكان من وحي الله تعالى أنه بعد هلاك الظالمين يسكن الله الرسل ومن معهم مكانهم وإن عاقبة الظلم وخيمة وهي الخسران والدمار لا تتبدل ولا تتخلف وإن طال الزمن^(٢).

٣- ذكر الله ﷻ أنباء الرسل الماضية وأتباعهم؛ وأنباء أعدائهم؛ وما عامل بعضهم بعضاً، وما نزل

بالأعداء - بما عاملوا رسلهم - من العذاب والاستئصال وأنواع البلايا، وما أكرم رسله

وأتباعهم وأولياءهم من النصر على أعدائهم؛ والظفر بهم، والتمكين في الأرض، وجعل ذلك

كله كتاباً بالحكمة؛ يتلى ليعلم؛ أن كيف يعامل الأعداء والأولياء؛ وليرغب فيما استوجب

الأولياء من الكرامات وليحذروا عن مثل صنيع الأعداء؛ وليعلموا أن كيف عامل الله رسله

وأولياءه، وكيف عامل الرسل ربهم، أضاف الرسل جميع ما نالوا من الخيرات والكرامات إلى

الله؛ كأن لا صنع لهم في ذلك؛ حيث قالوا: ﴿إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ

يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾، ذكر قوله: ﴿إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ ليعلم أن الخير ليس يكون بالجوهر؛

(١) انظر: التفسير الوسيط للزحيلي (٢/ ١١٨٦)

(٢) انظر: أيسر التفاسير: للجزائري (٣/ ٤٨) وزهرة التفاسير: لأبي زهرة (٨/ ٤٠٠٥).

ولكن بفضل من الله تعالى وبرحمته، وقوله ﷺ: **﴿وَمَا كَانَتْ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَنٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾** وأمثاله، أضافوا ذلك إليه؛ كأنهم لا صنع لهم في ذلك.

٤- وذكر الله ﷻ ما أكرم أوليائه ورسله؛ من النصر والتمكين والإنزال في الديار، كأنهم استوجبوا ذلك بفعلٍ كان منهم؛

٥- وفي هذه الآيات الكريمة منهجية تربوية في الحث على آليات التعامل مع الأعداء أينما كانوا وأينما وجدوا لرد كيدهم إلى نحورهم وعدم التغلغل في بلاد المسلمين^(١).

(١) انظر: تأويلات أهل السنة: الماتريدي (٦ / ٣٧٦).

المطلب الرابع

صور عقاب المجرمين في الآخرة

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ * مِّنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِنْ مَّاءٍ صَٰكِدٍ * يَتَجَرَّرُهُ وَلَا يُعِيقُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ [إبراهيم: ١٥-١٧].

أولاً: المناسبة:

بعد أن توعدت الآيات السابقة الأقسام لأنبياء الله ﷺ بين الله ﷻ مما هذه الآيات أنواع العذاب التي يلاقها الكفار في الآخرة.

ثانياً: معاني المفردات:

- ١- (وَأَسْتَفْتَحُوا) استفتح فلاناً: استنصره، طلب منه الفتح والنصر^(١).
- ٢- (وَخَابَ) خاب عن المقصود: لم ينل ما طلب، ذهب سعيه سدى^(٢).
- ٣- (جَبَّارٍ) الجبار: المتكبر عن عبادة الله^(٣).
- ٤- (صَٰكِدٍ) القيق الذي كأنه ماء وفيه شكلة وقد أصد الجرح وصدد والصديد في القرآن ما يسيل من جلود أهل النار^(٤).
- ٥- (يَتَجَرَّرُهُ) جرعت الماء أجرعه جرعاً إذا شربه^(٥).
- ٦- (يُسِيقُهُ) ساغ شرابه وطعامه له سوغاً وسيغاً إذ تهناه واستمره وأسأغه هو وشراب سائغ عذب طيب^(٦).

(١) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة: أحمد عمر (٣/ ١٦٦٤).

(٢) انظر: تكملة المعاجم العربية: رينهارت بيتر آن دوزي (٤/ ٢٤٥).

(٣) انظر: المحكم والمحيط الأعظم: ابن سيده (٧/ ٤٠٦).

(٤) انظر: المرجع السابق نفسه (٨/ ٢٦١).

(٥) انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: الفارابي (٣/ ١١٩٥).

(٦) انظر: مشارق الأنوار على صحاح الآثار: ابن عياض (٢/ ٢٣١).

ثالثاً: المعنى الإجمالي:

يبين الله ﷻ كيف أن الأمم استفتحت وهذا منتهى الحماقة وسوء الرأي، وتأصل العناد واستفتحت الرسل على أممها واستنصرت بالله فانصرت بالله ﷻ لرسله وأهلك كل متكبر جبار وأذاقهم ألوان العذاب^(١).

رابعاً: البلاغة:

- (وَيَسْقَىٰ مِنْ مَّاءٍ صَدِيدٍ)، "وجعل الصديد ماء على التشبيه البليغ في الإسقاء، لأن شأن الماء أن يسقى، والمعنى: ويسقى صديداً عوض الماء إن طلب الإسقاء، ولذلك جعل صديد عطف بيان لـ ماء"^(٢).

خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف:

١- لقد تعددت مظاهر عقاب المشركين في الآخرة والتي منها حرق جلودهم وتقطيع أمعائهم والنيل منهم وروي أن الكافر يؤتى بالشرية من شراب أهل النار، فيتكرهها، فإذا أدنيت منه، شوت وجهه، وسقطت فيها فروة رأسه، فإذا شربها قطعت أمعائه، ويأتيه ألم الموت، وشدة نزع الروح من كل مكان، من غير إبقاء شعرة في بدنه، ولا يراح بالموت، فلا يموت، كما جاء في آية أخرى: ﴿فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾ [فاطر: ٣٦].

٢- ومن مظاهر تعذيب المشركين ماء أهل جهنم هو صديد أهل النار الذي يسيل من أجسامهم من القيح والدم، والكافر يتحساه جرعة بعد جرعة، لا مرة واحدة، لمرارته وحرارته، ويؤلم إساعته، فهو لا يكاد يسيغه، ولكن تحصل الإساعة بصعوبة، لقوله تعالى ﴿يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ﴾ (٢٠) ﴿وَلَهُمْ مَقْعٌ مِنْ حَدِيدٍ﴾ [الحج: ٢٠ - ٢١]، وتأتية أسباب الموت من كل جهة عن يمينه وشماله، ومن فوقه وتحتة ومن قدامه وخلفه، كقوله تعالى: ﴿لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ مُظْلَمٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ مُظْلَمٌ﴾ [الزمر: ١٦].

ومن أمامه عذاب شديد متواصل الآلام من غير فتور. هذه أوصاف عذاب الكفار، في الظاهر والباطن:

أولها - من ورائه جهنم .

(١) انظر: التفسير الواضح: الحجازي (٢/ ٢٥٣).

(٢) التحرير والتنوير: ابن عاشور (١٣/ ٢١١).

ثانيها - ويسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه.

وثالثها - ويأتيه الموت من كل مكان، وما هو بميت وربعا - ومن ورائه عذاب غليظ^(١).

٣- سواء استفتح الرسل أو الكفار أو الفريقان، أي: طلبوا الفتح والنصرة على أعدائهم، فإن النصر في النهاية للمتقين والرسل لأنهم المؤمنون حق الإيمان بالله ربهم الذي يطلبون منه النصر، وتكون الخيبة والخسارة والهلاك للكافرين المتجبرين المتعاضمين عن طاعة الله، المعاندين للحق، والمجانبيين له لأنهم كفروا بالله، وتكروا لطاعة الله، وانحازوا عن منهج الحق وسبيله.

وكما يكون الهلاك للكافرين في الدنيا، يكون أمامهم العذاب في نار جهنم تنتظرهم، فمن بعد الهلاك في الدنيا، يأتي أيضاً العذاب في الآخرة^(٢).

٤- عن النبي ﷺ في قوله: (ويسقى من ماء صديد يتجرعه) قال: (يقرب إليه فيتركه، فإذا أدنى منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه، فإذا شربه قطع أمعاءه حتى يخرج من دبره)^(٣)، يقول تعالى: ﴿ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ۗ ﴾ (١٥) ، ويقول تعالى: ﴿ وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ ۗ ﴾

٥- في هذه الآيات تبرز الحقيقة الكبرى:

حقيقة الرسالة وهي واحدة، واعتراضات الجاهليين عليها وهي واحدة، وحقيقة نصر الله للمؤمنين وهي واحدة، وحقيقة استخلاف الله للصالحين وهي واحدة، وحقيقة الخيبة والخذلان للمتجبرين وهي واحدة^(٤).

٦- أن المتكبرين على الحق الجبابرة الذين يعتدون ويلجون في الباطل، ولا يصغون إلى حق من أي مكان، عمآهم الخيبة، والخسران المبين! وذلك؛ لأن الجبار يستعلي فيظلم، ولا نصر لظالم، والعنيد يركب رأسه، فلا ينصت لداع يدعو إلى التأمل وتعرف عواقب الأمور، فلا يرى إلا ما يكون بين يديه من أمور ظاهرة لا يتعرف ما وراءها، ويقول دائماً مقالة فرعون:

﴿ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ۗ ﴾^(٥).

(١) انظر: التفسير الوسيط: الزحيلي (٢/ ١١٨٧).

(٢) انظر: التفسير المنير: الزحيلي (١٣/ ٢٣٠).

(٣) المستدرک على الصحيحين: للحاكم كتاب التفسير، تفسير سورة إبراهيم □ (٢/ ٣٨٢) (ح ٣٣٣٩).

(٤) في ظلال القرآن: سيد قطب (٤/ ٢٠٧٩).

(٥) انظر: زهرة التفاسير: أبو زهرة (٨/ ٤٠٠٨).

٧- منألوان العذاب المتوعد للكفار جهنم ييقون فيها، ويسقون من ماء صديد، وهو الماء الناتج من القروح التي تجيء من حرق جلودهم، وكلما نضجت جلودهم بدلوا جلوداً غيرها حتى يذوقوا العذاب، وكأنه يستقبلهم من وراء عننتهم ولجأجتهم عذابان:

أحدهما: الإبقاء في جهنم وهو ذاته عذاب، إذ يكون لهيبها .

والعذاب الثاني: أنهم لا يرتوون إلا بماء شربه ذاته عذابه أليم، وهو الصديد^(١).

(١) انظر: زهرة التفاسير: أبو زهرة (٨/ ٤٠٠٩) .

المبحث الثالث

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة

إبراهيم من آية (١٨ إلى ٢٢)

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : ضرب المثل لأعمال الكفار بالرماد.

المطلب الثاني : ضرب المثل في خلق السموات والأرض بأنها أكبر من خلق النار.

المطلب الثالث : حوار بين الضعفاء والسادة يوم القيامة .

المطلب الرابع : خطبة الشيطان لأوليائه والتخلي عنهم .

المطلب الأول

ضرب المثل لأعمال الكفار بالرماد

قَالَ تَعَالَى ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أََعْمَلُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾ [إبراهيم: ١٨].

أولاً: المناسبة:

بعد أن ذكر ﷺ ما سيلاقه الكافرون في هذا اليوم العصيب من سائر أنواع العذاب، بيّن هنا أنّ ما عملوه في الدنيا من صالح الأعمال لا يجديهم فتياً ولا قطميراً^(١).

ثانياً: معاني المفردات:

- ١- (كَرَمَادٍ) دقاق الفحم من حراقة النار، وما هبا من الجمر فصار دقاقاً^(٢).
- ٢- (اشْتَدَّتْ) اشتد قوي وزاد، يقال: اشتد مرضه، واشتد به المرض، واشتد عليه في الأمر^(٣).
- ٣- (عَاصِفٌ) العصف للريح، والمقصود في يوم عاصف: الريح^(٤).
- ٤- (يَقْدِرُونَ) قدر عليه قدرة تمكن منه والشيء قدرأً بين مقداره^(٥).
- ٥- (كَسَبُوا) الكسب: طلب الرزق، وأصله الجمع، تقول منه: كسبت شيئاً، واكتسبته بمعنى^(٦).

ثالثاً: المعنى الإجمالي:

ضرب الله مثلاً لأعمال الكفار يوم القيامة، وأنها مثل رماد ضربته ريح عاصف. فما تبقى منه شيء كذلك لا يبقى للكفار من أعمالهم شيء ينتفعون به، لأنهم أرادوا بها غير ذلك ﷺ^(٧).

(١) انظر: تفسير المراغي: المراغي (١٣ / ١٤١).

(٢) انظر: لسان العرب: ابن منظور (٣ / ١٨٥).

(٣) انظر: المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية (١ / ٤٧٥).

(٤) انظر: تهذيب اللغة: ابن الأزهري (٢ / ٢٦).

(٥) انظر: المعجم الوسيط (٢ / ٧١٨).

(٦) انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: الفارابي (١ / ٢١٢).

(٧) انظر: الهداية الى بلوغ النهاية: مكي بن أبي طالب (٥ / ٣٧٩٣).

رابعاً: البلاغة:

١- (**مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا**) شبه الله ﷻ أعمال الكفار بالرماد الذي تأتي عليه الريح عاصفة شديدة الهبوب فتثيره فتكون رماداً يتبدد، يغبر به الجو، ثم لا يبقى منه شيء، إلا الغبار الذي يصيب أعينهم ويفسد جوههم^(١).

٢- (**مَثَلُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ**) : وصف اليوم بالعاصف مجاز عقلي، أي: عاصف ريحه، كما يقال: يوم ماطر، أي: سحابه^(٢).

خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف:

١- ورد في السنة دليل على أن عمل الكافر لا ينفعه يوم القيامة ولو كان صالحاً، عن أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: يا رسول الله: ابنُ جُدْعَانَ^(٣)، كان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين، فهل ذلك نافعه؟ قال: "لا ينفعه، إنه لم يقل يوماً: رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين"^(٤).

وكان عبد الله بن جدعان من وجوه بني تيم وروساء قريش، وكان قريباً لأم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، وله تاريخ حافل بالجدود والمواساة، فأهمها شأنه، فسألت عنه من لا ينطق عن الهوى صلوات الله وسلامه عليه، فأجابها بأن شيئاً من هذه الصالحات التي عملها لا تنفعه يوم القيامة، لأنه لم يصدق بالبعث فمات كافراً، والإيمان هو الشرط الأساسي في قبول الصالحات وحسن جزائها.

٢- الأعمال الصالحة التي عملوها في حال كفرهم، أو أعمالهم الصالحة التي كانت لهم في حال الإيمان؛ ثم أحدثوا الكفر - لا ينفعون بها، وقال الحق في آية أخرى: (**أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيَعَةٍ**)، فيشبه أن يكون هذا في أعمالهم السيئة في أنفسها فأروها صالحة حسنة؛ كقوله: (**أَفَمَنْ رُزِيَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا**)، فشبّه ما كان في نفسه سبباً بالسراب؛ لأنه لا شيء هنالك؛ إنما

(١) انظر: زهرة التفاسير: أبو زهرة (٨ / ٤٠١١).

(٢) انظر التحرير والتنوير: ابن عاشور (١٣ / ٢١٣).

(٣) عبد الله بن جدعان التيمي القرشي: أحد الأجداد المشهورين في الجاهلية. أدرك النبي ﷺ قبل النبوة. وكانت له جفنة يأكل منها الطعام القائم والراكب، فوقع فيها صبي، فغرق! وهو الذي خاطبه أمية بن أبي الصلت بأبيات اشتهر منها قوله: " أذكر حاجتي أم قد كفاني حياؤك؟ إن شيمتك الحياء " الأعلام للزركلي (٤ / ٧٦).

(٤) صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على الكفر لا ينفعه عمل (١ / ١٩٦) (ح / ٢١٤).

يرى خيالاً، فعلى ذلك: أعمالهم السيئة في أنفسها فأروها حسنة صالحة، وما كان وما شبه بالرماد - فهي أعمالهم الصالحة في أنفسها؛ لكن الكفر أبطلها^(١).

٣- إن الهداية على أربعة أضرب هداية بالفطرة، وهداية ببعث الرسل وهما عامان لكل مكلف، وهداية بالتوفيق لمن يستحق الاهتداء وهداية هي ثواب الآخرة، وهاتان لا تكونان للكافر ومع ذلك فإن الله سبحانه وتعالى يهدي من يشاء من عباده والهداية هي أساس وركن من أركان العقيدة^(٢).

وقد عرفت بتعريفات كثيرة اخترت منها لغة الدلالة والإرشاد^(٣)، واصطلاحاً: هي سلوك الطريق الذي يوصل الإنسان إلى غايته، وهي إتباع شرع^(٤).

٤- لا جدوى ولا فائدة في الآخرة لأعمال الكفار الطيبة التي عملوها في الدنيا، مثل إطعام الطعام، وإغاثة الملهوف، وفعل المعروف، والصدقة، وصلة الرحم، وبر الوالدين، ولا ثواب على عمل البر في الدنيا؛ لإحباطه بالكفر، وذلك هو الخسران الكبير.

فقد ضرب الله هذه الآية مثلاً لأعمال الكفار، في أنه يحققها كما تحقق الريح الشديدة الرماد في يوم عاصف، والعصف: شدة الريح، وإنما كان ذلك؛ لأنهم أشركوا فيها غير الله تعالى، فلم يتوافر فيها أساس القبول، وهو الإيمان بالله وحده لا شريك له^(٥).

٥- "بطلان أعمال المشركين والكافرين وخيبتهم فيها؛ إذ لا ينتفعون بشيء منها"^(٦).

(١) انظر: تأويلات أهل السنة: الماتريدي (٦ / ٣٧٩).

(٢) انظر: تفسير الراغب الأصفهاني (١ / ٥٥٧).

(٣) انظر: لسان العرب: ابن منظور (١٥ / ٣٥٧).

(٤) انظر: الكليات: الكفوي (ص: ٩٥٢).

(٥) انظر: التفسير المنير: الزحيلي (١٣ / ٢٣١).

(٦) أيسر التفاسير: الجزائري (٣ / ٥١).

المطلب الثاني

ضرب المثل في خلق السموات والأرض بأنها أكبر من خلق النار

قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبَسُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمُ ائْتِافًا مِنَّا فَذَلِكُمْ أَكْبَرُ مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاغِبُونَ﴾ [إبراهيم: ١٩، ٢٠].

أولاً: المناسبة:

بعد أن شبه أعمال الكفار برماد، أطارته الريح في يوم عاصف، فذهبت به في كل ناحية، بيّن أن ذلك اليوم آتٍ لا ريب فيه، فإن من أنشأ السموات والأرض بلا معين ولا ظهير قادر على أن يفنيهم، ويأتي بخلق سواهم^(١).

ثانياً: معاني المفردات:

١- (يَشَاءُ) شاء الأمر: أراد، أحبه ورغب فيه، وشاء الله الشيء: قدره^(٢).

٢- (يُذْهِبْكُمْ) يفتيككم^(٣).

ثالثاً: المعنى الإجمالي:

يبين الله ﷻ أنه أنشأ السموات والأرض بالحق غير ظهير، ولا معين وهو قادر على فنائهم والإتيان بخلق جديد عوضاً منهم، والله وحده القادر على ما يشاء^(٤).

رابعاً: البلاغة:

١- (الَّذِينَ آمَنُوا) استفهام؛ لإنكار الوقوع أي للنفي، وهو داخل على النفي (لم) ونفي النفي إثبات، وهو إثبات مؤكد، كأنه استفهام فكان الجواب هو الإثبات، وتأكيد أن الله خلق السموات والأرض^(٥).

(١) انظر: تفسير المراغي (١٣/ ١٤١).

(٢) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة: أحمد عمر (٢/ ١٢٥٢).

(٣) انظر: الكلبيات: الكفوي (ص: ٩٩٣).

(٤) انظر: الهداية الى بلوغ النهاية: مكين أبي طالب (٥/ ٣٧٩٤).

(٥) انظر: زهرة التفاسير: أبو زهرة (٨/ ٤٠١٢).

٢- (يُذْهِبْكُمْ) الخطاب للجماعة، والمقصود: التعريض بالمشركين خاصة، تأكيداً لوعيدهم

الذي اقتضاه قول الله تعالى: ﴿لَتُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنَسْكَنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ

بَعْدِهِمْ ﴿١٤﴾﴾^(١).

٣- (وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ) عطف على جملة (إِنْ يَشَاءُ يُذْهِبْكُمْ) مؤكداً لمضمونها، وإنما سلك

بهذا التأكيد ملك العطف؛ لما فيه من المغايرة للمؤكد في الجملة، بأنه يفيد أن هذا المشيء

سهل عليه هين^(٢).

خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف:

١- قدرة الله القاهرة على إفناء الموجود، وإنشاء المعدوم، وقلب أوضاع العالم رأساً على عقب، تأديباً منه للمتمردين على طاعته، وعقاباً للعصاة من خلقه، وتعويضاً عنهم بمن هم أطوع لإرادة الله وأمره، وبمن هم أحرص على رضاه، وأشد تمسكاً بتقواه، وتتمثل قدرة الله سبحانه وتعالى في كل موجوداته وخفاياه فهو القادر على كل شيء، لا توازيه قدرة لأحد سبحانه عَلَيْهِ^(٣).

٢- في هذا الخطاب الإلهي تحذيرٌ من الهزات والانقلابات والنكبات والكوارث الطبيعية، ودعوة موجّهة للمؤمنين إلى أن يقوموا بواجبهم الكامل في تحقيق مراد الله تعالى وإعلاء كلمته في الأرض، وإعطاء الخلافة عن الله التي وكلها إليهم في أرضه حقها من الامتثال والفعالية، حتى تكون التوجيهات الإلهية حاکمة عليها، مسيرة لها، بارزة في جميع جنباتها، وإلا نزع الله يده منهم، ووكلمهم إلى أنفسهم، وسلط عليهم النعمة، بدلاً من النعمة، وفي هذا المعنى جاءت آيات كريمة أخرى تزيده وضوحاً وبياناً^(٤).

٣- الآيات دليل وحدانية الله ووجوده، عن قدرته على معاد الأبدان يوم القيامة، وبأنه خلق السموات والأرض التي هي أكبر من خلق الناس، أفليس الذي قدر على خلق هذه السموات، في ارتفاعها واتساعها وعظمتها، وما فيها من الكواكب الثابتة والسيارة، وهذه الأرض بما فيها من مهاد ووهاد وأوتاد، وصحارى وقفار، وبحار وأشجار، ونبات وحيوان على اختلاف

(١) انظر: التحرير والتنوير: ابن عاشور (١٣ / ٢١٥).

(٢) انظر: المرجع السابق نفسه: الصفحة نفسها.

(٣) انظر: التيسير في أحاديث التفسير: محمد الناصري (١ / ٣٩٣).

(٤) انظر: المرجع السابق نفسه: الصفحة نفسها.

أصنافها ومنافعها وأشكالها وألوانها. ونظير الآية كثير في القرآن منها: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْ يَخْلُقْهُنَّ بِقَدْرِ عَلَيَّ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾ [الأحقاف: ٣٣].

ومنها:

﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْتَهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ أَقُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِّنْهُ تُوقَدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَيَّ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَانَ الَّذِي فِي يَدَيْهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [يس: ٧٧ - ٨٣].

فالآية للاستدلال بها على قدرته تعالى، فمن خلق السموات والأرض على ما يوافق الحكمة والصواب، قادر على إعادة الخلق بعد الموت، فالله هو القادر على الإفناء، كما هو قادر على إيجاد الأشياء، فلا تعصوه، فإنكم إن عصيتموه يعدمكم، ويأت بخلق جديد أفضل وأطوع منكم، إذ لو كانوا مثل الأولين، فلا فائدة في الإبدال، وما ذلك على الله بمتعذر.

والمقصود أن الكفار أغرقوا في الكفر بالله، مع قيام الأدلة على قدرته وحكمته تعالى، وأنه الحقيق بالطاعة، الذي يرجى ثوابه ويخاف عقابه في دار الجزاء.^(١)

٤- تقرر الآيات صفات الكمال والاكتمال لله تعالى من الملك والقدرة والعلم، والخبرة التامة الكاملة وبكل شيء، قال تعالى: (ليس كمثل شيء وهو السميع العليم)^(٢).

٥- تقرر هذه الآيات أن إماتة الخلق والإيتاء بخلق آخر ليس بالأمر العسير على رب العالمين، فإنه قادر بذاته على جميع الممكنات، لا اختصاص له بمقدور دون مقدور، ومن هذا شأنه فهو حقيق بأن يُعَبَّدَ وحده، ويرجى ثوابه، ويُخاف عقابه^(٣).

(١) انظر: التفسير المنير: للزحيلي (١٣ / ٢٣١)

(٢) انظر: أيسر التفاسير: للجزائري (٤ / ٣٤٦)

(٣) التفسير الوسيط - مجمع البحوث (٥ / ٤٨٣)

٦- بينت الآيات أن ذهاب العباد وفناءه ليس شاقاً على الله وليس شديداً عليه، وليس كملوك الأرض إذا أذهبوا شيئاً من مملكتهم اشتد ذلك عليهم ، فإن الله سبحانه وتعالى لا يزيد الخلق في سلطانه ولا في ملكه؛ ولا ينقص فناؤهم وذهابهم منه شيئاً^(١).

٧- في هذه الآيات بيان لإبعادهم في الضلال وعظيم خطئهم في الكفر بالله؛ لوضوح آياته الشاهدة له الدالة على قدرته الباهرة وحكمته البالغة، وأنه هو الحقيق بأن يعبد، ويخاف عقابه ويرجى ثوابه في دار الجزاء^(٢).

(١) انظر: تأويلات أهل السنة: الماتريدي (٦ / ٣٨١).

(٢) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: الزمخشري (٢ / ٥٤٨).

المطلب الثالث

حوار بين الضعفاء والسادة يوم القيامة

قَالَ تَعَالَى ﴿ وَيَبْرُؤُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَّيْنَا اللَّهُ لَهْدَيْنَا لَكُم سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرُ عَنَّا أَمْ صَبْرُنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ ﴾ [إبراهيم: ٢١].

أولاً: المناسبة:

بعد أن ذكر ﷺ أن ذلك اليوم الذي وعدهم آتٍ لا ريب فيه، فإن من أنشأ السموات والأرض بلا معين ولا ظهير قادر على أن يفنيهم، ويأتي بخلق سواهم ما يلقاه الأشقياء في ذلك اليوم من العذاب، ذكر هنا محاورة بين الأتباع المستضعفين والرؤساء المتبوعين، وما يحدث في ذلك الوقت من الخجل لهم^(١).

ثانياً: معاني المفردات:

١- (وَبَرَّؤُوا) بـروا ظهر بعد خفاء^(٢).

٢- (مُغْنُونَ) "دافعون عنا"^(٣).

٣- (أَجْرُ عَنَّا) جزعاً وجزوعاً لم يصبر على ما نزل به، فهو جزع وجزاع وجزوع وجزاع^(٤).

ثالثاً: المعنى الإجمالي:

عندما يخرج الناس جميعاً من قبورهم إلى الله ﷻ يقول الأتباع، للذين تكبروا على الناس من القادة والرؤساء، إنا كنا لكم تبعاً فهل أنتم دافعون، عنا من عذاب الله من شيء فيقولوا لو هدانا الله لدعوناكم إلى الهدى، فلما أضلنا دعوناكم إلى الضلالة^(٥).

(١) انظر: تفسير المراغي: المراغي (١٣/ ١٤٣).

(٢) انظر: المعجم الوسيط: معجم اللغة العربية (١/ ٤٨).

(٣) الكلبيات: الكفوي (ص: ٨٨٢).

(٤) انظر: المعجم الوسيط (١/ ١٢١).

(٥) انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن: البغوي (٣/ ٣٥).

رابعاً: البلاغة:

١- (مَنْ) الأولى للتبعيض، و(مَنْ) الثانية للاستغراق^(١).

٢- (فَهَلْ أَنْتُمْ) الاستفهام إنكاري؛ لإنكار الوقوع، أي لستم مغنون عنا بأي قدر من عذاب^(٢).

٣- العدول عن المضارع إلى الماضي (وَبَرَزُوا) بدل (ويبرزون)؛ للدلالة على تحقق الوقوع مثل ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل: ١]، فكأنه حدث ووقع فأخبر عنه بصيغة الماضي^(٣).

٤- (جَمِيعًا): تأكيد ليشمل جميعهم من سادة ولفيف^(٤).

خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف:

١- العتاب والنزاع والخصام قائم بين أهل النار، ففي هذه الآيات محاورة بين القادة والأتباع تدل على عجز السادة عن تحقيق أي شيء لأتباعهم الذين اتبعوهم في الدنيا، فهم لا يستطيعون تخليص أنفسهم من عذاب الله، ولا تحقيق أي نفع لذواتهم، فبالأولى لا يتمكنون من نفع غيرهم، والكل لا يجدون مهرباً ولا ملجأً من عذاب الله وعقابه على الكفر والعصيان، وذلك سواء صبروا على العذاب أو جزعوا وضجروا، " ومع ذلك نجد كثيراً من القادة والساسة لا يوفرون أدنى مقومات السلام لأتباعهم فنجد كثيراً من البلاد تنهاوى عليها النكبات دون أي محرك من قبلهم "^(٥).

٢- إقرار السادة بالضلال، فدعوا أتباعهم إلى الضلال، ولو هدوا وأرشدوا لأرشدوا غيرهم، وهذا كذب منهم، كما قال تعالى حكاية عن المنافقين: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكَ﴾ [المجادلة: ١٨].

٣- "الضعفاء هم الذين تنازلوا عن أخص خصائص الإنسان الكريم على الله حين تنازلوا عن حريتهم الشخصية في التفكير والاعتقاد والاتجاه، وجعلوا أنفسهم تبعاً للمستكبرين والطغاة،

(١) انظر: زهرة التفاسير: أبو زهرة (٨ / ٤٠١٥).

(٢) انظر: المرجع السابق نفسه: الصفحة نفسها.

(٣) انظر: صفوة التفاسير: الصابوني (٢ / ٩٤).

(٤) انظر: التحرير والتنوير: لابن عاشور (١٣ / ٢١٦).

(٥) انظر: التفسير المنير: الزحيلي (١٣ / ٢٣٩).

ودانوا لغير الله من عبده، واختاروها على الدينونة لله ﷻ والضعف ليس عذراً، بل هو الجريمة فما يريد الله لأحد أن يكون ضعيفاً، وهو يدعو الناس كلهم إلى حماه يعتزون به والعزة لله، وما يريد الله لأحد أن ينزل طائعاً عن نصيبه في الحرية- التي هي ميزته ومناط تكريمه- أو أن ينزل كارهاً، والقوة المادية- كائنة ما كانت- لا تملك أن تستعبد إنساناً يريد الحرية، ويستمسك بكرامته الأدمية. فقصارى ما تملكه تلك القوة أن تملك الجسد، تؤذيه وتعذبه وتكبله وتحبسه، أما الضمير، أو الروح، أو العقل، فلا يملك أحد حبسهم ولا استذلالهم، إلا أن يسلمها صاحبها للحبس والإذلال! "(^١).

٤- تبين الآيات أن التقليد والتبعية لا تكون عذراً لصاحبها عند الله ﷻ، عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تكونوا إمعة، تقولون: إن أحسن الناس أحسنا، وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وطنوا أنفسكم، إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساءوا فلا تظلموا)(^٢).

فالتقليد والتبعية تؤدي بصاحبها إلى الهاوية، خاصة أن الله ﷻ يبين الطريق المستقيم الذي يجب أن يسلكه الإنسان، وأن الله منحه العقل؛ ليفكر، ويختار دونما إتباع لأحد(^٣).

(١) في ظلال القرآن: سيد قطب (٤/ ٢٠٩٦).

(٢) سنن الترمذي: أبواب البر والصلة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في الإحسان والعفو (٣/ ٤٣٢)(ح٢٠٠٧)، قال المحقق بشار معروف: "هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه".

(٣) انظر: أيسر التفاسير: الجزائري (٣/ ٥٤).

المطلب الرابع

خطبة الشيطان لأوليائه والتخلي عنهم

قَالَ تَعَالَى ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ وَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [إبراهيم: ٢٢].

أولاً: المناسبة:

بعد أن ذكر ﷺ الحوار الذي دار بين الأتباع المستضعفين والرؤساء المتبوعين، وما يحدث في ذلك الوقت من الخجل لهم أردف ﷺ بعد ذلك مناظرة وقعت بين الشيطان وأتباعه من الإنس^(١).

ثانياً: معاني المفردات:

١- (قُضِيَ) القاف والضاد والحرف المعتل أصل صحيح يدل على إحكام أمر وإتقانه وإنفاذه لجهته^(٢).

٢- (وَعَدَ) يعد، وعداً وعدة، فهو واعد، وعد فلاناً بالأمر: مناه به، قال إنه يجريه له أو ينيله إياه^(٣).

٣- (سُلْطَانٍ) قدرة الملك، وقدرة من جعل ذلك له وإن لم يكن ملكاً^(٤).

٤- (وَلُومُوا) اللوم، وهو العذل تقول: لمته لوماً، والرجل ملوم والمليم: الذي يستحق اللوم، ورجل لومة: يلوم الناس^(٥).

٥- (بِمُصْرِخِكُمْ) الصريخ: المستغيث والصريخ: المغيث، أي: لا أغيثكم ولا تغيثونني^(٦).

(١) انظر: تفسير المراغي: المراغي (١٣ / ١٤٣).

(٢) انظر: مقاييس اللغة: ابن فارس (٥ / ٩٩).

(٣) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة: أحمد عمر (٣ / ٢٤٦٥).

(٤) انظر: العين: الفراهيدي (٧ / ٢١٣).

(٥) انظر: مجمل اللغة: ابن فارس (٧٩٨).

(٦) انظر: جمهرة اللغة: ابن دريد (١ / ٥٨٦).

ثالثاً: المعنى الإجمالي:

يقف إبليس يوم القيامة خطيباً في جهنم على منبر من نار يسمعه الخلائق جميعاً، عندما يفوز أهل الجنة بالجنة وأهل النار بالنار، فيؤكد لأتباعه أن وعد الله حق من البعث والجنة والنار وثواب المطيع وعقاب العاصي فصدقكم وعده، ووعدتك أن لا بعث ولا جنة ولا نار ولا ثواب ولا عقاب فأخلفتمكم^(١).

رابعاً: البلاغة:

١- إضافة (وَعَدَ) إلى (الْحَقِّ) من إضافة الموصوف إلى الصفة مبالغة في الاتصاف، أي الوعد الحق الذي لا نقض له^(٢).

٢- (إِلَّا أَنْ دَعَوْتَكُمْ) استثناء منقطع؛ لأن ما بعد حرف الاستثناء ليس من جنس ما قبله، فالمعنى: لكني دعوتكم فاستجبتم لي^(٣).

خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف

١- "أعقب الله المناظرة التي وقعت بين الرؤساء والأتباع من كفره الإنس، بالمناظرة التي وقعت بين الشيطان وأتباعه من الإنس، وموضوع المناظرتين واحد: وهو تبرؤ المتبوع من التابع، ولكن الشيطان كان أصدق في هذه المحاورة من الإنسان؛ لأنه أعلن أن الله وعد الناس وعد الحق وهو البعث والجزاء على الأعمال، فوفى لهم بما وعدهم، وأما هو فوعد الناس بخلاف ذلك وأنه لا بعث ولا جزاء، فأخلف الوعد"^(٤).

٢- يذكر الرازي أن هذه الآية تدل على أن الشيطان الأصلي هو النفس؛ لأن الشيطان بين أنه ما أتى إلا بالوسوسة، فلولا الميل الحاصل بسبب الشهوة والغضب والوهم والخيال، لم يكن لوسوسته تأثير البتة، فدل هذا على أن الشيطان الأصلي هو النفس .

ومن المعلوم أن الملائكة والشياطين هي أجسام لطيفة، والله تعالى ركبها تركيباً عجيباً، ولا يستبعد أن تتفد الأجرام اللطيفة في عمق الأجرام الكثيفة، أي: في بنية الإنسان^(٥).

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن: القرطبي (٩/ ٣٥٦).

(٢) انظر: التحرير والتنوير: ابن عاشور (١٣/ ٢١٩).

(٣) انظر: المرجع السابق (١٣/ ٢١٩).

(٤) التفسير المنير: الزحيلي (١٣/ ٢٣٩ - ٢٤٠).

(٥) انظر: مفاتيح الغيب (١٩/ ٨٦).

- ٣- للظالمين عذاب أليم، لا مرد له جزاء ظلمهم وكفرهم، فالعصيان والكفر باختيارهم وكسبهم^(١).
- ٤- تبين الآيات أن الشيطان هو المعبود من دون الله تعالى؛ إذ هو الذي دعا إلى عبادة غير الله وزينها للناس.
- ٥- تقرير لعلم الله بما لم يكن كيف يكون؛ إذ ما جاء في الآيات من حوار لم يكن بعد، ولكنه في علم الله كائن كما هو، وسوف يكون كما جاء في الآيات، لا يتخلف منه حرف واحد^(٢).
- ٦- "هذا تصريح خطير بضعف كيد الشيطان ووساوسه، وبكذبه وخيانتة في الدنيا، واعترافه بتحمل أتباعه مسئولية ذنبهم وخطيئتهم، فإنهم هم الذين استجابوا لدعوة الشيطان من غير وجود سلطان له عليهم، فهو، أي: إبليس يكون خطيب السوء، ولكنه صادق بهذه الآية فيما يقول يوم القيامة، على عكس حوار البشر الضعفاء مع سادتهم، كان للسادة نوع من السلطة والنفوذ على أتباعهم، وكانوا -أيضاً- مخطئين في الفهم والإدراك وتنبية الناس إلى تبرؤ الشيطان من وساوسه في الدنيا، وحضهم على الاستعداد ليوم الحساب، وتذكر أهوال الموقف يوم القيامة، وهذا حال الأشقياء"^(٣).
- ٧- كانت وعود الشيطان باطلة، ووعد الله هو الحق، واتبع الناس قول الشيطان بلا حجة ولا برهان، وتبرأ الشيطان منهم ومن عملهم، فليس لهم لوم عليه، إنما عليهم اللوم، وأياسهم بأنه لا نصر عنده ولا عون ولا إغاثة، بل هو محتاج إلى من ينصره، وكفر بشركهم له في الدنيا، وهذا تنبيه لهم مما سيلقونه من العذاب.
- وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا، لَأَنَّهُ وَعَدَّ مِمَّنْ يَمْلِكُ؛ أَمَا وَعَدَّ الشَّيْطَانُ فَقَدْ اخْتَلَفَ؛ لَأَنَّهُ وَعَدَّ بِمَا لَا يَمْلِكُ؛ هُوَ وَعَدَّ كَاذِبًا؛ لِأَنَّ الْحَقَّ سَبَّحَانَهُ هُوَ الْأَمْرُ الثَّابِتُ الَّذِي لَا يَتَغَيَّرُ^(٤).
- ٨- من المعروف أن الإنسان حينما يعد غيره بخير قادم؛ فهل تضمن أن ثواتيك ظروفه على أن يحقق له هذا الأمر؟
- ولذلك يوصينا الحق سبحانه أن نقول (إن شاء الله) وبذلك نردّ الوعد لله؛ فهو وحده الذي يمكنه أن يعدّ ويُنفذ ما يعدّ به.
- وعلى الواحد منا أن يحمي نفسه من الكذب، وأن يقول (إن شاء الله) فإن لم تستطع أن تحقق ما وعدت به تكون قد حميت نفسك من أن تُلقَى اتهاماً بالكذب^(٥).

(١) انظر: التفسير المنير: الزحيلي (١٣ / ٢٣٩ - ٢٤٠).

(٢) انظر: أيسر التفاسير: الجزائري (٣ / ٥٤).

(٣) التفسير الوسيط: الزحيلي (٢ / ١١٩١).

(٤) انظر: التفسير المنير: الزحيلي (١٣ / ٢٤٠).

(٥) انظر: تفسير الشعراوي (١٢ / ٧٤٨٥).

٩- ﴿وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي﴾ [إبراهيم: ٢٢].

والسلطان - كما نعلم - إما سلطان قَهْر أو سلطان إقناع، وسلطان القَهْر يعني أن يملك أحدٌ من القوة ما يقهر به غيره على أن يفعل ما يكره، بينما يكون كارهاً للفعل.

أما سلطان الحجة فهو أن يملك منطقاً يجعلك تعمل وفق ما يطلبه منك وتحب ما تفعل، وهكذا يعترف الشيطان للبشر يوم الحشر الأعظم، ويقول: أريد أن أناقشكم، هل كان لي سلطان قَهْرِيٌّ أقهركم به؟ هل كان لي سلطان إقناع أقنعكم به على اتباع طريقي؟^(١).

١٠- الشيطان إما أن يُحرِّك نوازع النفس، أو يترك النفس تتحرك بنوازعها إلى المعصية، وهي كافية لذلك.

والمعصية إن كانت من الشيطان تسويلاً استقلالياً أو تسويلاً تبعياً، فإن وقفت النفس عند معصية بعينها، وكلما أبعدنا الإنسان تُلح عليه، فهذا هو ما تريده النفس من الإنسان حيث تطلب معصية بعينها.

أما نَزْعُ الشيطان فهو أن ينتقل الشيطان من معصية إلى أخرى محاولاً غواية الإنسان، إن وجدته رافضاً لمعصية ما انتقل بالغواية إلى غيرها؛ لأن الشيطان يريد الإنسان عاصياً على أيِّ لَوْنٍ؛ فالمهم أن يعصي فقط؛ لذلك يحاول أن يدخل الإنسان من نقطة ضعفه، فإن وحده قوياً في ناحية اتجه إلى أخرى^(٢).

١١- قال الفخر الرازي: "وأما الشيطان فالمراد به إبليس لأن لفظ الشيطان مفرد فيتناول الواحد، وإبليس رأس الشياطين ورئيسهم، فحمل اللفظ عليه أولى"^(٣).

وقد قال رسول الله ﷺ: (إذا جمع الله الخلق وقضى بينهم، يقول الكافر: قد وجد المسلمون من يشفع لهم فمن يشفع لنا، ما هو إلا إبليس، فهو الذي أضلنا، فيأتونه ويسألونه فعند ذلك يقول هذا القول)^(٤).

ويفيد أنه ليس له سلطان على أحد، وإنما هو داعية شر، وما تبعه من تبعه إلا مختاراً مرجحاً للباطل على الحق وللشر على الخير.

(١) المرجع السابق نفسه (١٢ / ٧٤٨٦).

(٢) انظر: تفسير المنار: محمد رشيد رضا (٨ / ٣٠١).

(٣) مفاتيح الغيب (١٩ / ٨٤).

(٤) المعجم الكبير: الطبراني، باب العين (١٧ / ٣٢٠) (ح ٨٨٧).

المبحث الرابع

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة إبراهيم من الآية (٢٣ إلى ٣٤)

وفيه ستة مطالب :

المطلب الأول : صدق وعد الله للمؤمنين بالجنة.

المطلب الثاني : ضرب الله المثل للكلمة الطيبة والكلمة الخبيثة.

المطلب الثالث : تثبيت الله للمؤمنين بالقول الثابت في الدنيا والآخرة.

المطلب الرابع: التعجب للمبدلين نعمة الله كفرًا.

المطلب الخامس : أمر الله لعباده المؤمنين بالصلاة والنفاق.

المطلب السادس : مظاهر نعمة الله الدالة على وحدانيته .

المطلب الأول

صدق وعد الله للمؤمنين بالجنة

قَالَ تَعَالَى ﴿... وَأَدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ يُحَيِّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ [إبراهيم: ٢٣].

أولاً: المناسبة:

بعد أن ذكر ﷻ تبرؤ الشيطان من وعوده والعذاب الأليم الذي توعدهم به ذكر هنا الجزء الطيب الذي يلاقيه المؤمنون.

ثانياً: المعنى اللغوي:

١- (خَالِدِينَ) خُلِدَ فلان في الحبس، معناه: قد بقي فيه، من قول العرب: قد خَلَدَ الرجل خلوداً: إذا بقي، قال ﷻ: (خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا) معناه: باقين فيها^(١).

٢- (سَلَامٌ) معناه الدعاء أي السلامة لكم، وقيل معنى السلام عليكم أي الله معكم كما يقال الله حافظك وحائطك أو حفظ الله عليكم^(٢).

ثالثاً: المعنى الإجمالي:

وأدخل الذين آمنوا بالله ورسله وكتبه وعملوا الأعمال الصالحات بساتين تجري دونها الأنهار، ماكتين فيها أبداً بأمر ربهم والملائكة يسلمون عليهم فيها^(٣).

رابعاً: البلاغة:

(بِإِذْنِ رَبِّهِمْ) إشارة إلى العناية والاهتمام، فهو إذاً أخص من أمر القضاء العام^(٤).

(١) انظر: الزاهر في معاني كلمات الناس: أبو بكر الأنباري (٢/ ٨٢).

(٢) انظر: مشارق الأنوار على صحاح الآثار: ابن عياض (٢/ ٢١٨).

(٣) انظر: الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن ابي طالب (٥/ ٣٨٠٣).

(٤) انظر: التحرير والتنوير: ابن عاشور (١٣/ ٢٢٢).

خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف:

١- تشرح الآيات أحوال المؤمنين السعداء، وما أعد لهم في الآخرة من الثواب العظيم الجزيل، وذلك أن الثواب منفعة خالصة دائمة مقرونة بالتعظيم، يشار دائماً إلى المنفعة الخالصة، بقوله: (وَأَدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ)، وكونها دائمة أشير إليه بقوله خالد بن فيها، والتعظيم حصل من وجهين أحدهما قوله: (بِإِذْنِ رَبِّهِمْ)؛ لأن تلك المنافع إنما كانت تفضلاً من الله بإنعامه الثاني قوله: (تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ)، فيحتمل أن بعضهم يحيي بعضاً بهذه الكلمة أو الملائكة تحييهم بها أو الرب سبحانه وتعالى يحييهم^(١).

٢- جاء في بيان ما أعد الله تعالى للمؤمنين في الجنة قول الله ﷻ: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ءَامِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [الحجر: ٤٥-٤٨] والتقي هو المؤمن المستقيم بطاعة الله ﷻ الذي يؤدي الواجبات ويجتنب المحرمات، وقال تعالى:

﴿يَعْبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾﴾

﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا

تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ

تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [الزخرف: ٦٨-٧٢] وفي هذه الآيات

بيان من الله ﷻ لبعض ما يلقاه المؤمنون في الجنة من النعيم، وفيها أيضاً بيان أن المؤمن يدخل الجنة برحمة الله ومثله وفضله، إذ العباد لا يخلقون شيئاً من أعمالهم، إنما خالق الأعمال وخالق كل شيء هو الله ﷻ وفي الجنة لا يوجد كذب ولا لغو ولا مستقذرات، فعن جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (يَأْكُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ وَلَا يَتَغَوِّطُونَ وَلَا يَمْتَخِطُونَ وَلَا يَبُولُونَ وَلَكِنْ طَعَامُهُمْ ذَلِكَ جُشَاءً كَرِشَحِ الْمِسْكِ يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّكْبِيرَ كَمَا يُلْهَمُونَ النَّفْسَ)^(٢).

أما عباد الله الصالحون الأتقياء الذين وصلوا إلى الصلاح، فهؤلاء أعد الله ﷻ لهم نعيماً لم يطلع عليه أحداً من الخلق، لا الأنبياء، ولا الملائكة، حتى خازن الجنة لم يطلع الله تعالى

(١) انظر: لباب التأويل في معاني التنزيل: الخازن (٣/ ٣٤).

(٢) صحيح مسلم: كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب في صفات الجنة وأهلها وتسبيحهم فيها بكرة وعشيا (٢١٨١/٤) (ح ٢٨٣٥).

على ذلك النعيم الخاص بالصالحين.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (قال الله تعالى أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ)، وقرأوا إن شئتم قوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾. (١)

وفي الجنة لا يوجد إنسان إلا ويكون جميل الصورة، فقد جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أيضاً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (أَوَّلُ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَى أَشَدِّ كَوَكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً، لَا يَبُولُونَ، وَلَا يَتَغَوَّطُونَ، وَلَا يَنْفُلُونَ، وَلَا يَمْتَخِطُونَ، أَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ، وَرَشْحُهُمُ الْمِسْكُ، وَمَجَامِرُهُمُ الْأَلْوَةُ (وهو عُودُ الطَّيِّبِ) أَزْوَاجُهُمُ الْحُورُ الْعَيْنُ عَلَى خَلْقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ عَلَى صُورَةِ أَبِيهِمْ ءَادَمَ سِتُونَ ذِرَاعًا فِي السَّمَاءِ) (٢).

٣- العمل لا يدخل الجنة إلا بوصفه سبباً لا غير، وإلا فدخل الجنة يكون بإذن الله تعالى ورضاه ودخولها مقرون بعمل الإنسان واجتهاده في الطاعات والعبادات (٣).

(١) صحيح البخاري: كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين﴾ [السجدة: ١٧] (١١٥/٦) (ح ٤٧٧٩).

(٢) صحيح البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم صلوات الله عليه وذريته (٤/١٣٢) (ح ٣٣٢٧).

(٣) انظر: أيسر التفاسير: الجزائري (٣/ ٥٤).

المطلب الثاني

ضرب الله المثل للكلمة الطيبة والكلمة الخبيثة

قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴾ [إبراهيم: ٢٤ - ٢٦].

أولاً: المناسبة:

بعد أن بين الله تعالى أحوال الأشقياء وما آل إليهم أمرهم من العذاب في نار جهنم، وأحوال السعداء وإدراكهم الفوز عند ربهم، ذكر مثلاً يبين حال الفريقين، وسبب التفرقة بينهما، بتشبيه المعنويات بالحسيات، لترسيخ المعاني في الأذهان، كما هو الشأن في القرآن^(١).

ثانياً: المعنى اللغوي:

- ١- (طَيِّبَةً) (الطيب) ضد الخبيث، و(طاب) يطيب (طيبة) بكسر الطاء و(تطياباً) بفتح التاء^(٢).
- ٢- (أَصْلُهَا) أصلها الذي يلي الأرض ويقال لما في جوف الأرض من أصلها أرومتها^(٣).
- ٣- (خَبِيثَةٍ) الخبيث: نعت كل شيء فاسد، خبيث الطعم، وخبيث اللون^(٤).
- ٤- (اجْتُثَّتْ) جثتت الشجرة وغيرها جثاً، إذا انتزعتها من أصلها^(٥).

ثالثاً: المعنى الإجمالي:

ضرب الله مثلاً للكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة المثمرة المعطاءة طيلة السنة، وقيل هي النخلة، وللکلمة الخبيثة بالشجرة الفاسدة التي لا تثمر إلا المر الفاسد من الثمار، وقيل هي شجرة الحنظل^(٦).

(١) انظر: التفسير المنير: الزحيلي (١٣ / ٢٤٢).

(٢) انظر: مختار الصحاح: الرازي (١٩٤).

(٣) انظر: المخصص: ابن سيده (٣ / ١٥٤).

(٤) انظر: العين: الفراهيدي (٤ / ٢٤٩).

(٥) انظر: جمهرة اللغة: ابن دريد (١ / ٨١).

(٦) انظر: تفسير القرآن: السمعاني (٣ / ١١٣).

رابعاً: البلاغة:

- ١- (وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَيِّثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَيْثَةٍ) (مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً): تشبيه مرسل مجمل^(١).
- ٢- (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ) الاستفهام؛ لإنكار الوقوع بمعنى النفي، وقد دخل على (لم) وهي للنفي، ونفي النفي إثبات، والمعنى، لقد ترى كيف ضرب الله مثلاً^(٢).
- ٣- (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ) وصوغ التشويق إليه في صيغة الزمن الماضي الدال عليها حرف لم التي هي لنفي الفعل في الزمن الماضي والدال عليها فعل ضرب بصيغة الماضي لقصد الزيادة في التشويق لمعرفة هذا المثل وما مثل به^(٣).
- ٤- (كَيْفَ) للدلالة على أن حالة ضرب هذا المثل ذات كيفية عجيبة من بلاغته وانطباقه^(٤).

خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف:

- ١- "ضرب الله المثل للعمل الصالح الذي يعمله المؤمن كلما همَّ بعمل، وللقول الطيب الذي يفوه به كلما فاه بخطاب، ولاسيما كلمة الإيمان كما ضرب كتاب الله المثل للعمل الفاسد والقول الخبيث، اللذين يقوم بهما الضالون والمنحرفون، والمنافقون والكافرون، ولاسيما كلمة الكفر والإلحاد"^(٥).
- ٢- يَثَّبَتِ اللهُ رِجْلَ الَّذِينَ صَدَقُوا بِرِسَالَةِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ عَلَى دِينِهِمْ وَيَقِينُهُمْ بِسَبَبِ اعْتِرَافِهِمُ الثَّابِتِ بِتَوْحِيدِ اللهِ وَطَمَأْنِينَتِهِمْ بِهِ، فَلَمْ تَهْزَعْ الشُّكُوكَ وَلَمْ يَزَلْزَلْهُ الْإِيذَاءُ أَوْ التَّشْكِيكُ؛ فَيَطْلُؤْنَ عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْيَقِينِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، لَا تَرْحُزُهُمْ عَنْهُ الشَّدَائِدُ وَالْفِتَنُ، وَإِنْ كَانَتْ كَمَوْجِ الْبَحْرِ أَوْ كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمَظْلَمِ!!^(٦).
- ٣- عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أنه ذكر في قوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُوْتِقُ أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [إبراهيم: ٢٥]، قال: " يعني

(١) انظر: صفوة التفاسير: الصابوني (٢ / ٩١).

(٢) انظر: زهرة التفاسير: أبو زهرة (٨ / ٤٠٢٠).

(٣) انظر: التحرير والتنوير: ابن عاشور (١٣ / ٢٢٣).

(٤) انظر: المرجع السابق نفسه: الصفحة نفسها.

(٥) التيسير في أحاديث التفسير: محمد الناصري (٣ / ٢٦١).

(٦) انظر: التفسير الوسيط - مجمع البحوث (٥ / ٤٩٢).

بالشجرة الطيبة: المؤمن، ويعني بالأصل الثابت: في الأرض، وبالفرع في السماء: يكون المؤمن يعمل في الأرض، ويتكلم فيبلغ عمله وقوله السماء وهو في الأرض " (١).

وهذا من منهجية القرآن في تقريب الصورة وتوضيحها ألا وهو ضرب المثل.

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (شهادة أن لا إله إلا الله وأما الشجرة فكل شجرة مثمرة طيبة الثمار، كالنخلة وشجرة التين والعنب والرمان وغير ذلك) (٢).

ورد عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: (إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وإنما مثل المسلم فحدثوني ما هي)؟ قال عبد الله فوقع الناس في شجر البوادي ووقع في نفسي أنها النخلة فاستحييت، ثم قال لي عمر: يا بني لو كنت قلتها لكانت أحب إلي من حمر النعم، ثم قال رسول الله ﷺ: (ألا إنها النخلة) (٣).

٤- إن أرباب النفوس العالية وكبار المفكرين هم أصحاب الكلمة الطيبة، وعلومهم تعطي أممهم نعماً ورزقاً في الدنيا، وهي مستقرة في نفوسهم، وفروعها ممتدة إلى العوالم العلوية والسفلية، وتثمر كل حين لأبناء أمتهم ولغيرهم، فيهتدي بها المؤمنون، وما أشبههم بالنخلة التي لها أصل مستقر وفروع عالية وثمر دائم ويأكل الناس منها صيفا وشتاء.

وأرباب الشهوات والنفوس الضعيفة والمقلدون في العلم هم أصحاب الكلمة الخبيثة التي لا ثبات لها كالحنظل، الكلمة الخبيثة وهي كلمة الكفر لا قرار لها ولا ثبات، ولا جدوى ولا نفع، ولا تعتمد على حجة مقبولة أو برهان صحيح، والشجرة الخبيثة في الأصح: شجرة الحنظل، وهو قول ابن عباس ومجاهد وغيرهما (٤).

٥- يقارن الله ﷻ بين الإيمان والكفر وذلك لتوضيح المعنى وتقريبه بالتشبيهات، وبخاصة تشبيه المعقول بالمحسوس، فيها ذكرى وعظة وعبرة، وإفهام وإيقاظ للمشاعر والضمائر، ولفت الأنظار، وشد الانتباه إليها (٥).

(١) انظر: جامع البيان: الطبري (١٣/ ٦٣٦).

(٢) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: الزمخشري (٢/ ٥٥٣).

(٣) صحيح البخاري: كتاب العلم، باب قول المحدث: حدثنا، وأخبرنا، وأنبأنا (١/ ٢٢) (ح ٦١).

(٤) انظر: تفسير المراغي (١٣/ ١٤٩).

(٥) انظر: التفسير المنير: الزحيلي.

المطلب الثالث

تثبيت الله للمؤمنين بالقول الثابت في الدنيا والآخرة

قَالَ تَعَالَى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

أولاً: المناسبة:

بعد أن ذكر الله ﷻ مثلاً يبين حال المؤمنين والكافرين، أكد ﷻ مصير كل منهما في الدنيا قبل الآخرة.

ثانياً: المعنى اللغوي:

(يُثَبِّتُ) ثبت الشيء يثبت ثباتاً، وثبوتاً، فهو ثابت وثبيت، وأثبتته هو، وثبته، وشيء ثبت: ثابت الشيء أثبته وفلاناً مكنه من الثبات عند الشدة^(١).

ثالثاً: المعنى الإجمالي:

القول الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، كلمة الإخلاص والنجاة من النار: لا إله إلا الله، والإقرار بالنبوة، وهذه الآية تعم العالم من لدن آدم ﷺ إلى يوم القيامة، الْحَيَاةِ الدُّنْيَا هي مدة حياة الإنسان وَفِي الْآخِرَةِ هي وقت سؤاله في قبره^(٢).

رابعاً: البلاغة:

(وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ) لفظ الجلالة ذكر مرتين في جملتين متعاقبتين، ولم يكتف بالإضمار بل أظهر في موضعه، وذلك لتربية المهابة، ولبيان كمال سلطانه، وتأكيد إرادته المختارة ومشينته الحكيمة^(٣).

خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف:

١- بشر الله ﷻ المؤمن بالثبوت على الإيمان حتى يموت مؤمناً وبالنجاة من عذاب القبر حيث يجيب منكرًا ونكيرًا على سؤالهما إياه بتثبيت الله تعالى له.

(١) انظر: المحكم والمحيط الأعظم: ابن سيده (٩/ ٤٧٣).

(٢) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ابن عطية (٣/ ٣٣٧).

(٣) انظر: زهرة التفاسير أبو زهرة (٨/ ٤٠٢٤).

وتثبيتهم به في الدنيا: أنهم إذا فتتوا في دينهم لم يزلوا، كما ثبت الذين فتتتهم أصحاب الأخدود، والذين نشروا بالمناشير ومشطت لحومهم بأمشاط الحديد، وكما ثبت جرجيس وشمسون وغيرهم وتثبيتهم في الآخرة. أنهم إذا سئلوا عند تواقف الأشهاد عن معتقدتهم ودينهم، لم يتلعثموا ولم يبهتوا، ولم تحيرهم أهوال الحشر، وقيل معناه الثبات عند سؤال القبر. (١)

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر قبض روح المؤمن فقال: (ثم يعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه في قبره ويقولان له: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ فيقول: ربي الله، وديني الإسلام، ونبيي محمد، فينادي مناد من السماء أن صدق عبدي) فذلك قوله: (يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ) (٢).

٢ - يُثَبِّتُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْحَقِّ وَالْإِيمَانِ فِي الدُّنْيَا، فَلَا يَتَرَجَعُونَ عَنْهُ، وَيُثَبِّتُ نَفْسَهُمْ، فَيُلْهِمُهُمَا الصَّوَابَ وَالنُّطْقَ بِالْإِيمَانِ فِي الْقَبْرِ؛ لِأَنَّ الْمَوْتَى مَا يَزَالُونَ فِي الدُّنْيَا إِلَى أَنْ يَبْعَثُوا، وَكَذَلِكَ يُلْهِمُهُمَا الصَّوَابَ فِي الْآخِرَةِ عِنْدَ الْحِسَابِ، وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ عَنْ حُجَّتِهِمْ فِي قُبُورِهِمْ، كَمَا ضَلُّوا فِي الدُّنْيَا بِكُفْرِهِمْ، فَلَا يُلْقِنُهُمْ كَلِمَةَ الْحَقِّ، عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: (العبد إذا وضع في قبره، وتولي وأصحابه حتى إنه ليسمع قرع نعالهم، أتاه ملكان، فأقعداه، فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل محمد صلى الله عليه وسلم؟ فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقال: انظر إلى مقعدك من النار أبدلك الله به مقعدا من الجنة، قال النبي صلى الله عليه وسلم: لا أدري، كنت أقول ما يقول الناس، فيقال: لا دريت ولا تليت، ثم يضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه، فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين) (٣).

عن البراء بن عازب رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ [إبراهيم: ٢٧] " قال: " نزلت في عذاب القبر، فيقال له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، ونبيي محمد صلى الله عليه وسلم، فذلك قوله صلى الله عليه وسلم: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [إبراهيم: ٢٧] (٤).

(١) انظر: أيسر التفاسير: الجزائري (٣/ ٥٨).

(٢) المستدرک علی الصحیحین: للحاکم، کتاب الإیمان، حدیث معمر (١/٩٣) (ح/١٠٧).

(٣) صحیح البخاری: کتاب الجنائز، المیت یسمع خفق النعال (٢/ ٩٠) (ح/١٣٣٨).

(٤) صحیح مسلم: کتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد المیت من الجنة أو النار علیه، وإثبات عذاب القبر والتعود منه (٤/ ٢٢٠١) (ح/٤/ ٢٢٠١).

٣- يثبّت الله الذين آمنوا بالقول الحق الراسخ، وهو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وما جاء به من الدين الحق يثبتهم الله به في الحياة الدنيا، وعند مماتهم بالخاتمة الحسنة، وفي القبر عند سؤال المَلَكين بهدائيتهم إلى الجواب الصحيح، ويضل الله الظالمين عن الصواب في الدنيا والآخرة، ويفعل الله ما يشاء من توفيق أهل الإيمان وخذلان أهل الكفر والطغيان^(١).

(١) انظر: التفسير الميسر: نخبة من أساندة التفسير (١/ ٢٥٩).

المطلب الرابع

التعجب للمبدلين نعمة الله كفرةً

قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ * جَهَنَّمَ يَصَلَوْنَهَا وَيَبْسُ الْقَرَارُ * وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾
[إبراهيم: ٢٨ - ٣٠].

أولاً: المناسبة:

بعد أن بين الله ﷻ أحوال السعداء وأحوال الأشقياء، عاد إلى وصف أحوال الكفار وهم أهل مكة، حيث أسكنهم الله تعالى حرمة الأمن، وجعل عيشهم في السعة، وبعث فيهم محمداً^(١).

ثانياً: المعنى اللغوي:

١- (وَأَحَلُّوا) انزلوا^(٢).

٢- (دَارَ الْبَوَارِ): البائر الكاسد، وقد بارت البياعات، أي: كسدت، وأرض بوار ليس فيها زرع^(٣).

٣- (الْقَرَارُ): المستقر من الأرض^(٤).

٤- (أَدَادًا): الند ضد والشبه. وفلان ند فلان، ونديده ونديده، أي: مثله وشبهه^(٥).

ثالثاً: المعنى الإجمالي:

إن الذين بدلوا نعمة الله كفرةً، بعد أن أنعم الله عليهم برسوله، وأسكنهم حرمة، فكفروا بالله وبرسوله، ودعوا قومهم إلى الكفر به، وعبدوا ليعضوا بها عن دينه توعددهم بتقليل ما هم فيه من ملاذ الدنيا، إذ هو منقطع، ومردكم ومرجعكم إلى عذاب جهنم^(٦).

(١) انظر: التفسير المنير: الزحيلي (١٣ / ٢٤٩).

(٢) انظر: لسان العرب: ابن منظور (١١ / ١٧٠).

(٣) انظر: مقاييس اللغة: ابن فارس (١ / ٣١٦).

(٤) انظر: تهذيب اللغة: ابن الأزهري (٨ / ٢٢٧).

(٥) انظر المرجع السابق نفسه (١٤ / ٥١).

(٦) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ابن عطية (٣ / ٣٣٧).

رابعاً: البلاغة:

- ١- (الْبَوَارِ ... الْفَرَارُ ... النَّارِ) سجع مرصع دون تكلف^(١).
- ٢- (وَيُنْسِكُ الْفَرَارُ) أي: بنس المقر الدائم، فالقرار مصدر أريد به المكان، فالذم للمكان، أو الذم لذات القرار في جهنم، وهو الحال التي انتهوا إليها^(٢).
- ٣- (تَمَتَّعُوا) أمر للتهديد، أي: استمروا فإن مصيركم إلى النار، فالعبرة بالنتيجة لا بصيغة الأمر^(٣).
- ٤- (وَأَحْلَوْا قَوْمَهُمْ) إسناد فعل أحلوا إليهم على طريقة المجاز العقلي^(٤).

خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف

- ١- يفهم من الآية بيان الفرق بين فريق الكفار والمؤمنين، أما الكافرون فاستحقوا دخول دار البوار: جهنم؛ لأسباب ثلاثة: هي تبديلهم شكر نعمة الله عليهم كفراناً وجحوداً، واتخاذ الأنداد، أي: الشركاء، وهي الأصنام التي عبدوها، وإضلالهم الناس عن دين الله القويم، بمعنى أن عاقبتهم إلى الإضلال والضلال، ومردهم ومرجعهم إلى عذاب جهنم.
- وأما المؤمنون فلهم الجنة بسبب إقامة الصلوات الخمس المفروضة، والإنفاق في سبيل الله، بأداء الزكاة الواجبة، والتطوع بالصدقات المستحبة، بإعلان الواجب، وإخفاء التطوع، كما قال تعالى: ﴿إِنْ تَبَدُّوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ^٥ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣٧﴾﴾ [البقرة: ٢٧١].^(٥)
- ٢- نجد في كلمة (قومهم) ما يوحي بالخسنة لمن يرتكبون هذا الفعل الشائن؛ فمن يهلك قومه لأبد أن يكون خسيساً؛ ولأبد أن يكون محترف غش وخديعة؛ فالقوم هم من يقومون معهم؛ وكان من اللائق أن تضرب على يد من يصيبهم بشر أو يغشهم أو يخدعهم.

(١) انظر: صفوة التفاسير: الصابوني (٩٤ / ٢).

(٢) انظر: زهرة التفاسير أبو زهرة (٤٠٢٧ / ٨).

(٣) انظر: المرجع السابق نفسه (٤٠٢٨ / ٨).

(٤) انظر: التحرير والتنوير: ابن عاشور (٢٢٨ / ١٣).

(٥) انظر: تفسير الشعراوي (٧٥٢٢ / ١٢)، وزهرة التفاسير: أبو زهرة (٤٠٢٧ / ٨).

ويشرح الحق سبحانه دار البوار هذه، فيقول: (جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَيَبْسُ ...)، وإذا قسنا جهنم بالمقرات؛ فلن نجد مَنْ يرغب في أن تكون جهنم هي مقرّه؛ لأن الإنسان يحب أن يستقر في المكان الذي يجد فيه راحة؛ ولو لم يجد في هذا المكان راحة؛ فهو يتركه

ولقد بدلوا وأحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وجعلوا لله أندادا، وجعل الله سبحانه وتعالى الأصل، وهو تبديل نعمه التي أنعم الله بها نعمة تجزى، فجعلوها كفرا هو الأصل لكل مآثمهم، ونتيجة عقوبته؛ وذلك لأن الانغماس في الأهواء والاستطالة بها سبب الشر ونسيان الله تعالى، ومن نسي الله تعالى كان منه الانحراف الفكري والاعتقادي، والانغماس في الشهوات^(١).

هذه الأوثان بالبداهة ليست أندادا مماثلة لله جل جلاله، ولكنهم اتخذوها أندادا بأوهامهم وأهوائهم وفساد تفكيرهم؛ إذ كيف تكون الأحجار التي لا تسمع ولا تبصر، ولا تضر ولا تنفع أندادا لله، ولكنهم جعلوها كذلك^(٢).

٣- "يشير النص إلى أنّ كبراء القوم عمدوا عمداً إلى تضليل قومهم عن سبيل الله، باتخاذ هذه الأنداد من دون الله. فعقيدة التوحيد خطر على سلطان الطواغيت ومصالحهم في كل زمان. لا في زمن الجاهلية الأولى، ولكن في زمن كل جاهلية ينحرف الناس فيها عن التوحيد المطلق، في أية صورة من صور الانحراف، فيسلمون قيادهم إلى كبرائهم، وينزلون لهم عن حرياتهم وشخصياتهم، ويخضعون لأهوائهم ونزواتهم، ويتلقون شريعتهم من أهواء هؤلاء الكبراء لا من وحي الله... عندئذ تصبح الدعوة إلى توحيد الله خطراً على الكبراء يتقونه بكل وسيلة. ومنها كان اتخاذ الآلهة أندادا لله في زمن الجاهلية الأولى، ومنها اليوم اتخاذ شرائع من عمل البشر، تأمر بما لم يأمر الله به، وتنتهي عما لم ينهاه الله. فإذا واضعوها في مكان الندد الله في النفوس المضللة عن سبيل الله، وفي واقع الحياة!"^(٣).

(١) انظر: التفسير المنير: الزحيلي (١٣/ ٢٥٢).

(٢) انظر: زهرة التفاسير: أبو زهرة (٨/ ٤٠٢٧).

(٣) في ظلال القرآن: سيد قطب (٤/ ٢١٠٥).

المطلب الخامس

أمر الله لعباده المؤمنين بالصلاة والإنفاق

قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلاَلٌ﴾ [إبراهيم: ٣١].

أولاً: المناسبة:

بعد أن وصف ﷺ أحوال الكفار، وجّه الحق ﷻ العباد؛ ليبادروا لخلاص أنفسهم، من قبل أن يأتي يوم القيامة.

ثانياً: المعنى اللغوي:

(خِلَلٌ) مصدر خال صداقة ومحبة^(١).

ثالثاً: المعنى الإجمالي:

أمر الله ﷻ رسوله ﷺ أن يقول لمن آمن وحقق عبوديته أن يقيموا الصلوات الخمس ويؤدوا الزكاة، في السر والعلني يوم لا بيع فيه ولا شراء ولا مخاللة ولا قرابة، إنما هي الأعمال، إما أن يثاب بها، أو يعاقب عليها^(٢).

رابعاً: البلاغة:

١- (قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ): لما كانوا متحلّين بالكمال صيغ

الحديث عنهم بعنوان الوصف بالإيمان، وبصيغة الأمر بما هم فيه من صلاة وإنفاق لقصد الدوام على ذلك ولذلك اختير المضارع مع تقدير لام الأمر دون صيغة فعل الأمر؛ لأن المضارع دال على التجدد، فهو مع لام الأمر يلاقي حال المتلبس بالفعل الذي يؤمر به.

١- المقصود بالبيع المعاوضة وبالخلال الكناية عن التبرع.

٢- (مِنْ قَبْلِ) إدخال حرف الجر على اسم الزمان؛ لتأكيد القلبية ليفهم معنى المبادرة^(٣).

(١) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة: أحمد عمر (١/ ٦٩٠).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن: القرطبي (٩/ ٣٦٦).

(٣) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (١٣/ ٢٣٢-٢٣٤).

٣- (سُرَّاءُ عَلَانِيَةً) مقابلة.

خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف:

- ١- "تعتبر الصلاة من أخص مظاهر الشكر لله، وينفقوا مما أنعمنا عليهم به من الرزق سرّاً وعلانية، سرّاً حيث تصان كرامة الآخذين ومروءة المعطين، فلا يكون الإنفاق تفاعلاً وتظاهراً ومباهاة، وعلانية حيث تعلن الطاعة بالإنفاق وتؤدى الفريضة، وتكون القدوة الطيبة في المجتمع، وهذا وذلك متروك لحساسية الضمير المؤمن وتقديره للأحوال" (١).
 - ٢- لا ينفع الإنسان شيء مما فاتته، ولا سبيل للندم عليه؛ فلو (كان كذا) كلمة لا تجدي نفعاً، ولا يمكن استدراك ما فات، لا بمعاوضة بيع وشراء ولا بهبة خليل وصديق، فكل امرئ له شأن يغنيه، فليقدم العبد لنفسه، ولينظر ما قدمه لغد، وليتفقد أعماله، ويحاسب نفسه، قبل الحساب الأكبر (٢)، وترى الباحثة بأن محاسبة النفس تكون يومياً قبل النوم؛ لأن ذلك أفضل شيء للعبد.
 - ٣- يوجب الله ﷻ على الإنسان الفرائض ويحثه على الإكثار من الصدقات وفعل الخيرات؛ ليقبى عذاب النار (٣).
- يجوز أن يتصدق الإنسان بالعلانية ولكن الأفضل السرية وقال أبو هريرة ﷺ: عن النبي ﷺ: (ورجل تصدق بصدقة فأخفاها، حتى لا تعلم شماله ما صنعت يمينه) وقوله:
- ﴿إِنْ بُدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٧١] (٤).
- ٤- "دلت الآية على أنه لا ينفع يوم القيامة فداء ولا صداقة، وأن الطاعات الأساسية ثلاث: الإيمان بالله تعالى، وشغل النفس بخدمة المعبود في الصلاة، وصرف المال وبذله في طاعة الله تعالى، ليجد الإنسان ثواب ذلك الإنفاق في يوم لا مبايعة فيه ولا مخالفة، إلا المخالفة التي يشترك فيها الأخلاء في عبودية الله تعالى ومحبة الله تعالى كما قال تعالى:
- ﴿الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧] (٥).

(١) في ظلال القرآن: سيد قطب (٤/ ٢١٠٦).

(٢) تيسير الكريم الرحمن: السعدي (٤٢٦).

(٣) انظر: أيسر التفاسير: الجزائري (٣/ ٦٠).

(٤) صحيح البخاري كتاب الزكاة، باب صدقة السر (٢/ ١١٠).

(٥) التفسير المنير: الزحيلي (١٣/ ٢٥٢).

المطلب السادس

مظاهر نعمة الله الدالة على وحدانيته

قَالَ تَعَالَى ﴿... اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ * وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ *

وَأَنَّكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿١﴾ [إبراهيم: ٣٢ - ٣٤].

أولاً: المناسبة:

"بعد أن أوضح الله تعالى أوصاف أحوال السعداء والأشقياء، أتبعه بالأدلة الدالة على وجود الصانع وكمال علمه وقدرته ووحدانيته"^(١).

ثانياً: المعنى اللغوي:

١- (وَسَخَّرَ) السين والخاء والراء أصل مطرد مستقيم يدل على احتقار واستدلال، من ذلك سخر الله ﷻ إذا ذل ذلك لأمره وإرادته^(٢).

٢- (الْفُلْكَ): السفينة.

٣- (دَائِبَيْنِ): دأب الرجل في عمله: اجتهد فيه. ودأبت الدابة في سيرها دأباً ودأباً ودعواً والليل والنهار يدأبان في اعتقابهما^(٣).

٤- (لَا تَحْصُوهَا): أحصى الشيء: عده وأحاط به، حصره، ضبطه، لا يحصى: كثير صعب تعداده، هذا أمر لا أحصيه: لا أطيعه^(٤).

ثالثاً: المعنى الإجمالي:

ذكر الله ﷻ بإنعامه بإنزال المطر، وإخراج الثمر؛ لأجل الرزق والانتفاع به، وذكر نعمته على عباده بتسخير السفن الجارية على الماء، وسخر الأنهار، وذلكم لتجرونها حيث شئتم، والله

(١) التفسير المنير: الزحيلي (١٣ / ٢٥٤).

(٢) انظر: العين: الفراهيدي (٥ / ٣٧٤).

(٣) انظر: أساس البلاغة: الزمخشري (١ / ٢٧٦).

(٤) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة: أحمد عمر (١ / ٥١١).

سخر الشمس والقمر، يجريان دائماً فيما يعود إلى مصالح العباد لا يفتران إلى آخر الدهر، وآتاكم من كل شيء سألتموه، وما لم تسألوه لأن نعمه علينا أكثر من أن تحصى ونعم الله كثيرة على عباده، فلا يقدر أحد على حصرها ولا عدّها لكثرتها^(١).

رابعاً: البلاغة:

١- (الله) صدرت الآية الكريمة بلفظ الجلالة مفيض النعم، لتربية المهابة، ولمقابلة عبادته، وهو الواحد الأحد الفرد الصمد، بعبادة الأوهام والضلال^(٢).

٢- (لَظَلُمُوا كَفَّارًا): صيغتا المبالغة اقتضاهما كثرة النعم^(٣).

٣- (إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ): أكد الله ﷻ ظلم الإنسان بـ " إن "، وبـ " اللام " وبصيغة المبالغة في الظلم، وكفر النعمة^(٤).

خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف

١- " لقد أقام الله تعالى أدلة كثيرة على وجوده وقدرته وعلمه ووحدانيته، منها هذه الأدلة العشرة التي ذكرها في الآية من خلق السموات والأرض، وإنزال المطر من السحاب.. إلخ".^(٥)

٢- إن نعم الله تعالى على البشر لا تعد ولا تحصى لكثرتها، ولدقة إدراكها وخفائها أحياناً، كخزائن السموات والأرض، وعجائب تكوين الإنسان، وبخاصة دماغه وحواسه من سمع وبصر وملاحظة الصور، وغير ذلك من نعمة العافية، والإمداد بالرزق منذ كونه جنيناً في بطن أمه، إلى حين ولادته وطفولته، إلى شبابه وكهولته وشيخوخته، وتقلبه في أنحاء الأرض، إلى موته فلقاء ربه، إن النعم على الإنسان من الله، فلم يبدل نعمة الله بالكفر؟! وهلا استعان بها على الطاعة؟! إن من شأن الإنسان ظلم النعمة بإغفال شكرها، وكفرانها وجودها. والإنسان: جنس، أراد به العموم، وقال بعض المفسرين: وأراد به الخصوص كأبي جهل وجميع الكفار.^(٦)

(١) انظر: لباب التأويل في معاني التنزيل: الخازن (٣/ ٣٨).

(٢) انظر: زهرة التفاسير: أبو زهرة (٨/ ٤٠٣١).

(٣) انظر: التحرير والتنوير: ابن عاشور (١٣/ ٢٣٧).

(٤) انظر: زهرة التفاسير (٨/ ٤٠٣٤).

(٥) التفسير المنير: الزحيلي (١٣/ ٢٥٨).

(٦) انظر: المرجع السابق نفسه: الصفحة نفسها.

- ٣- "معرفة الإنسان لله ﷻ توجب الخشية منه حيث يحث الله سبحانه وتعالى الإنسان على عبادته وينهى عن عبادة غيره لأن العبرة من خلق الإنسان والجن العبادة، لقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٥٦) [الذاريات: ٥٦] والإنسان يكون ظالماً لنفسه إذا ما استقام على الطريق المستقيم) (١).
- ٤- "هذه الآية الدالة على وجود الصانع المختار القادر الذي لا يعجزه شيء أراده، فقوله تعالى: الله خلق السموات والأرض، إنما بدأ بذكر خلق السموات والأرض، لأنها أعظم المخلوقات الشاهدة الدالة على وجود الصانع الخالق القادر المختار وأنزل من السماء ماء يعني من السحاب سمي السحاب سماء لارتفاعه، وهو مشتق من سمو، وهو الارتفاع" (٢).
- ٥- استعرض كتابُ الله جملةً من بدائع الصنع الإلهي في العالم العلوي والعالم السفلي، مذكراً بما انطوت عليه من نعم كبرى سخرها للإنسان، داعياً إياه إلى التأمل في عجائبها وتدبر آياتها، إذ كلها دلائل ناطقة بوجوده وقدرته، وعلمه وحكمته، ومظاهر بارزة لإحسانه ورحمته" (٣).
- ٦- "امتَنَ ﷻ على الإنسان امتناناً خاصاً بما أكرمه به من جميع النعم، التي يتوقف عليها في تصرفاته، الضرورية والحاجية والكمالية، سواء في ذلك ما سأله منها بلسان المقال، ما سأله منها بلسان الحال، مبيناً أن نعم الله - لكثرتها وتنوعها - لا يستطيع أن يعدها عاد، بل هنالك نعم إلهية خفية ودقيقة تخفى حتى عن أدق الأفكار، لأنها من باب اللطف الخفي، فلا يهندي إليها علم الإنسان المحدود، ولا سبيل لإدراكها فضلاً عن إدراجها تحت العد والمعدود" (٤).
- ٧- دعوة المؤمنين إلى التمسك بإيمانهم وأداء شعائر دينهم، وإلى شكر نعم الله العديدة عليهم، وأنها لا يمكن إحصاؤها سواءً في أرجاء الأرض أم آفاق السماوات، ويذكر قریش بنعم الله عليهم، واستجابته لدعاء إبراهيم ﷺ من أجلهم وأن عليهم أن يعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف" (٥).
- ٨- إنذار المشركين بما أعدَّ الله لهم من عذاب أليم يوم القيامة، وتأكيد هذا الإنذار وأنه واقع بهم لا محالة ﴿يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ (٤٨) [إبراهيم: ٤٨]

(١) انظر: أيسر التفاسير: الجزائري (٦٠ / ٣).

(٢) لباب التأويل في معاني التنزيل: الخازن (٣ / ٣٨).

(٣) انظر: التيسير في أحاديث التفسير: الناصري (٣ / ٢٦٨).

(٤) التيسير في أحاديث التفسير: الناصري (٣ / ٢٦٨).

(٥) انظر: التفسير الوسيط - مجمع البحوث (٥ / ٤٥٨).

المبحث الخامس

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة إبراهيم من الآية (٣٥ إلى ٤٦)

وفيه ستة مطالب :

- المطلب الأول: دعاء إبراهيم عليه السلام لأهله وأهل مكة بالخير.
- المطلب الثاني: حمد إبراهيم عليه السلام لربه على رزقه الولد بعد كبر.
- المطلب الثالث: دعاء إبراهيم عليه السلام له ولولده وللمؤمنين.
- المطلب الرابع: إمهال الله للظالمين.
- المطلب الخامس: موقف الظالمين يوم إتيان العذاب.
- المطلب السادس: صفات الظالمين.

المطلب الأول

دعاء إبراهيم لأهله وأهل مكة بالخير

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ * رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّونَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْنِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْعِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ * رَبَّنَا إِنَّكَ تَعَلَّمْ مَا نَخْفِي وَمَا نَعْلَمُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [إبراهيم: ٣٥ - ٣٨].

أولاً: المناسبة:

"بعد أن بين الله ﷻ بالأدلة المتقدمة أنه لا معبود إلا هو، وأنه لا يجوز عبادة غيره تعالى أصلاً، وطلب من رسوله أن يعجب من حال قومه الذين عبدوا الأصنام، أردف ذلك بذكر أصلهم إبراهيم، وأنه دعا أن يجعل مكة بلد أمان واستقرار، وأن يجنبه وبنيه عبادة الأصنام، وأنه أسكن بعض ذريته عند البيت الحرام ليعبدوه وحده بالصلاة التي هي أشرف العبادات"^(١).

ثانياً: المعنى اللغوي:

- ١- (وَاجْتَبَيْ) (جنبه) الشيء (تجنبياً) بمعنى أي نجاه عنه^(٢).
- ٢- (أَضَلُّونَ) وأضله جعله ضالاً وفي التنزيل (رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّونَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ) [إبراهيم ٣٦]، أي: ضلوا؛ لأن بسببها الأصنام لا تفعل شيئاً ولا تعقل^(٣).
- ٣- (تَبِعَنِي) (تبع): التابع: التالي، ومنه التتبع والمتابعة، والاتباع، يتبعه: يتلوه والتتبع: فعلك شيئاً بعد شيء^(٤).
- ٤- (تَهْوِي) (هوي) الهاء والواو والياء: أصل صحيح يدل على خلو وسقوط^(٥).

(١) التفسير المنير: الزحيلي (١٣/ ٢٦١).

(٢) انظر: مختار الصحاح: الرازي (ص: ٦٢).

(٣) انظر: المحكم والمحيط الأعظم: ابن سيده (٨/ ١٥٤).

(٤) انظر: العين: الفراهيدي (٢/ ٧٨).

(٥) انظر: مقاييس اللغة: ابن فارس (٦/ ١٥).

ثالثاً: المعنى الإجمالي:

إن سيدنا إبراهيم عليه السلام تبرأ ممن عبد غير الله، وأنه دعا لمكة بالأمن والاستقرار في ظل التوحيد وأن يبعده وبنيه عبادة الأصنام، ثم دعا لنفسه ولوالديه ولذريته ودعا أن يجعل قلوب بعض الناس تسرع إليه شوقاً ومحبة، وتحن وتميل إلى رؤيته، وأن يرزقه وذريته من أنواع الثمار الموجودة في سائر الأقطار، ليكون ذلك عوناً لهم على طاعته، وإنما دعا بذلك إظهاراً لعبودية الله تعالى، وافتقاراً إلى رحمته، واستعجالاً لنيل ما عندك، ولا يغيب عن الله شيء في الأرض أو في السماء، فكله مخلوق له، وهو عالم به^(١).

رابعاً: البلاغة:

- ١- الطباق في {تَبَعَنِي، عَصَانِي} وفي {تُخْفِي، تُعَلِّنُ} وفي {الْأَرْضِ، السَّمَاءِ}^(٢).
- ٢- {رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا} وصف المكان بالأمن، فيه بيان سيادة الأمن، فالمكان لا اعتداء فيه، وهو مقدس^(٣).
- ٣- وافتتحت الآيات بالنداء لزيادة التضرع، وفي كون النداء تأكيداً لنداء سابق.
- ٤- وأضيف الرب هنا إلى ضمير الجمع خلافاً لسابقه لأن الدعاء الذي افتتح به فيه حظ للداعي ولأبنائه.
- ٥- {رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ} إعادة النداء لإنشاء التحسر على ذلك. وجملة إنهم أضلن كثيراً من الناس تعليل للدعوة بإجنابه عبادتها بأنها ضلال راج بين كثير من الناس.
- ٦- {مَنْ} في قوله: {مَنْ} اتصالية، وأصلها التبعية المجازي، أي: فإنه متصل بي اتصال البعض بكله.
- ٧- {تهوى} جعل كناية عن المحبة والشوق إلى زيارتهم، والمقصود من هذا الدعاء تأنيس مكانهم بتردد الزائرين وقضاء حوائجهم منهم^(٤).

(١) انظر: التفسير المنير: الزحيلي (١٣/ ٢٦١).

(٢) انظر: صفوة التفاسير: الصابوني (٢/ ٩٤).

(٣) انظر: زهرة التفاسير: أبو زهرة (٨/ ٤٠٣٥).

(٤) انظر: التحرير والتنوير: ابن عاشور (١٣/ ٢٤٢-٢٤٠).

خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف:

١- "يعلمنا القرآن الكريم طلب نعمة الأمان من الله، فابتداء إبراهيم ﷺ بطلب نعمة الأمان في هذا الدعاء يدل على أنه أعظم أنواع النعم والخيرات، وأنه لا يتم شيء من مصالح الدين والدنيا إلا به"^(١).

٢- يشرع القرآن الكريم الدعاء للنفس والذرية والبلاد، بل ينبغي لكل داع أن يدعو لنفسه ولوالديه ولذريته كان دعاء إبراهيم مركزاً حول إخلاص التوحيد لله ﷻ، وتجنب عبادة الأصنام والأوثان، التي كانت سبباً في إضلال كثير من الناس، فدعاؤه جمع بين طلب أن يرزق التوحيد، وبين طلب صونه عن الشرك، وتضمن أيضاً طلب توفيقه لمصالح الأعمال، وتخصيصه بالرحمة والمغفرة يوم القيامة وحينما يدعو المؤمن يحبذ أن يدعو بدعاء عام لأن الدعاء يشمله أيضاً كما دعا نوح ﷺ: ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا ﴾^(٢).

٣- يصرح القرآن الكريم أن الالتفاف حول النبي أو المصلح واجب لقول إبراهيم: (فمن تبغني فإنه مني)، وفي الالتفاف حوله واتباع سنته سبيل إلى الهدى والخير، هذا مختص بالمؤمنين من أولاده والدليل عليه أنه قال في آخر الآية: (فمن تبغني فإنه مني)، وذلك يفيد أن من لم يتبعه على دينه فليس منه^(٣).

٤- طلب المغفرة للعصاة غير الكفار لأن الشرك أو الكفر لا يجوز بالإجماع طلب إسقاطه ومغفرته لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٤٨].

٥- إسكان إبراهيم وزوجه وابنه إسماعيل عند البيت الحرام كان لإقامة الصلاة.

فعن ابن عباس قال ما مفاده أن إبراهيم ترك هاجر وابنها إسماعيل وهي ترضعه، عند البيت، عند دوحة فوق زمزم، في أعلى المسجد، وليس بمكة يومئذ أحد، وليس بها ماء، ووضع عندهما جراباً، وسقاء فيه ماء، ثم قفى إبراهيم منطلقاً، فتبعته أم إسماعيل فقالت: يا إبراهيم! أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه إنس ولا شيء، فقالت له ذلك مراراً، وجعل لا يلتفت إليها، فقالت له: آله أمرك بهذا؟ قال: نعم، قالت: إذاً لا يضيعنا ثم رجعت،

(١) التفسير المنير: الزحيلي (١٣/ ٢٦٦).

(٢) انظر: المرجع السابق نفسه: الصفحة نفسها.

(٣) انظر: المرجع السابق نفسه: الصفحة نفسها.

فانطلق إبراهيم عليه السلام، حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونها، استقبل بوجهه البيت، ثم دعا بهذه الدعوات، ورفع يديه فقال: ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْعَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ [إبراهيم: ٣٧]، وبعد أن نفذ ما في السقاء، عطشت وعطش ابنها، فجعلت تسعى سعي المجهود بين الصفا والمروة، سبع مرات.

قال النبي ﷺ: (فذلك سعي الناس بينهما) ثم سمعت وهي على المروة صوتاً، عند موضع زمزم، فبحث بعقبه أو بجناحه، حتى ظهر الماء^(١).

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: (ماء زمزم لما شرب له، فإن شربته تستشفى به شفاك الله، وإن شربته مستعيذاً عاذك الله، وإن شربته ليقطع ظمأك قطعه)، وكان ابن عباس إذا شرب ماء زمزم قال: (اللهم أسألك علماً نافعاً، ورزقاً واسعاً، وشفاء من كل داء)^(٢).

٦- لا يجوز لأحد أن يفعل فعل إبراهيم في طرح ولده وعياله بأرض مضيعة، اتكالا على العزيز الرحيم، واقتداء بفعل إبراهيم الخليل، فإن إبراهيم فعل ذلك بأمر الله تعالى^(٣).

٧- تضمنت هذه الآية أن الصلاة بمكة أفضل من الصلاة بغيرها لأن معنى ﴿ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾ [إبراهيم: ٣٧]، أي أسكنتهم عند بيتك المحرم ليقوموا الصلاة فيه^(٤).

٨- كان من بركة دعاء إبراهيم عليه السلام واستجابة الله له أن التعلق بالبيت الحرام وحبه والشوق إليه والحنين إلى زيارته متمكن في قلب كل مؤمن.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما في الآية: (فاجعل أفئدة): "سأل أن يجعل الله الناس يهون السكنى بمكة، فيصير بيتاً محرماً، وكل ذلك كان، والحمد لله، وأول من سكنه جرهم"^(٥).

(١) صحيح البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء (٤ / ١٤٢) (ح ٣٣٦٤).

(٢) المستدرک علی الصحیحین للحاکم: کتاب المناسک (١ / ٦٤٦) هذا حديث صحيح الإسناد إن سلم من الجارودي، ولم يخرجاه

(٣) انظر: التفسير المنير: الزحيلي (١٣ / ٢٦٨).

(٤) انظر: المرجع السابق نفسه: الصفحة نفسها.

(٥) الجامع لأحكام القرآن: القرطبي (٩ / ٣٧٤).

وأن مكة أصبحت ملتقى الأثمار والفاوكة الآتية من كل الأنحاء والأمصار، وأُنبت الله لهم بالطائف سائر الأشجار.

٩- "احتج أهل السنة بآية ﴿وَأَجْنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ على أن أفعال العبد مخلوقة الله تعالى، وهذا يشمل ترك المنهيات المنصوص عليه في هذه الآية: (وَأَجْنِبْنِي) وفعل المأمورات المنصوص عليه في آية: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ وذلك تصريح بأن إبراهيم عليه السلام كان مصرا على أن الكل من خلق الله جل جلاله"^(١).

١٠- لمكة الفضل والشرف العظيم عند الرسول صلى الله عليه وسلم وهي بلد آمن وقد تمسك بها الرسول صلى الله عليه وسلم.

١١- الخوف من الشرك لخطورته وعلى المؤمن أن يسأل الله الحفظ من ذلك وأن يجنبه كل ما يؤدي إلى الشرك لأنه هلاك وضياح في النهاية^(٢).

١٢- تقوية المؤمن علاقته بربه وتوحيده لله سبحانه وتعالى والتمسك بما أمر رابطة قوية بينه وبين ربه، وهي أقوى من أية رابطة أخرى كرابطة النسب؛ لأن رابطة النسب تزول، ولكن علاقة الإنسان بربه باقية لها نتائج خير عظيمة^(٣).

١٣- بين كتاب الله أن ما عليه مشركو العرب من عبادة الأوثان والأصنام لا يمت بصلة إلى ملة إبراهيم، وأن عبادة الأصنام إنما هي ضلال في ضلال، وأن ما يتمتعون به من أمن في البلد الحرام إنما هم مدينون به قبل كل شيء لدعوة إبراهيم الخليل عليه السلام، لا إلى ما اخترعوه لعبادتهم من الأوثان والأصنام، وبذلك أقام الحجة عليهم، ولم يبق لهم عذراً^(٤).

١٤- أبعدني وذريتي عن عبادة الأصنام، سأل إبراهيم عليه السلام هذا نفسه مع أن الأنبياء جميعاً معصومون من الشرك، للإيدان بأن العصمة بفضل الله ومعونته وتوفيقه، كما أن فيه هضماً لنفسه واعترافاً بحاجته إلى فضل ربه في كل أمر^(٥).

(١) التفسير المنير: الزحيلي (١٣ / ٢٦٨).

(٢) انظر: أيسر التفاسير: الجزائري (٣ / ٦٣).

(٣) انظر: المرجع السابق نفسه: الصفحة نفسها.

(٤) انظر: التيسير في أحاديث التفسير: الناصري (٣ / ٢٦٩).

(٥) انظر: التفسير الوسيط - مجمع البحوث (٥ / ٥٠٢).

المطلب الثاني

حمد إبراهيم لربه على رزقه الولد بعد كبر

قَالَ تَعَالَى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾

[إبراهيم: ٣٩].

أولاً: المناسبة:

بعد ان دعا سيدنا إبراهيم عليه السلام ربه أن يجعل مكة بلد أمان واستقرار، وأن يجنبه وبنيه عبادة الأصنام شكر الله تعالى على منحه بعد الكبر واليأس من الولد ولدين هما إسماعيل وإسحاق.

ثانياً: المعنى اللغوي:

(وهب): وهبت له شيئاً وهباً، ووهباً بالتحريك، وهبة، والاسم الموهب والموهبة، بكسر الهاء فيهما. والاتهاب: قبول الهبة، والاستيهاب: سؤال الهبة^(١).

ثالثاً: المعنى الإجمالي:

حمد سيدنا إبراهيم عليه السلام ربه عز وجل وشكره على ما رزقه منحه من الولد بعد الكبر واليأس من الولد^(٢).

رابعاً: البلاغة:

١- (الْحَمْدُ لِلَّهِ) فيه معنى القصر، أي إن الحمد لله تعالى وحده، فهو مانح النعم ومجريها وحده^(٣).

٢- (إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ): فيه ما يدل على أن ذلك كان بدعاء من الخليل واستجابة من الله تعالى، فقد أكد أن الله سميع الدعاء بالجملة الاسمية، و بـ (إِنَّ) المؤكدة، وباللام^(٤).

٣- (عَلَى الْكِبَرِ): للاستعلاء المجازي بمعنى مع، أي وهب ذلك تعلياً على الحالة التي شأنها أن لا تسمح بذلك^(٥).

(١) انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: الفارابي (١/ ٢٣٥).

(٢) انظر: التفسير المنير: الزحيلي (١٣/ ٢٦٤).

(٣) انظر: زهرة التفاسير: أبو زهرة (٨/ ٤٠٤٢).

(٤) انظر: المرجع السابق (٨/ ٤٠٤٣).

(٥) انظر: التحرير والتنوير: ابن عاشور (١٣/ ٢٤٣).

٤- (لَسَمِيعُ): كناية مستعمل في إجابة المطلوب^(١).

خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف

١- "دل القرآن على أنه تعالى أعطى إبراهيم عليه السلام ولدين هما إسماعيل في شبابه، وإسحاق على الكبر والشيخوخة، ولم يتعرض القرآن لسن إبراهيم في ذلك الوقت، وإنما يؤخذ من روايات التاريخ"^(٢).

٢- بيان استجابة دعاء إبراهيم عليه السلام فيما سأل ربه تعالى فيه، حيث إن إبراهيم عليه السلام سأل ربه بأن يرزقه الذرية الصالحة فأجابه، وفي ذلك توجيه للعبد الذي لم يرزقه الله ما عليه إلا التوجه لله تعالى دونما منازع وأن يدعو، لقوله تعالى: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٩] ^(٣).

(١) انظر: التحرير والتنوير: ابن عاشور (١٣ / ٢٤٣).

(٢) التفسير المنير: الزحيلي (١٣ / ٢٦٨).

(٣) انظر: أيسر التفاسير: الجزائري (٣ / ٦٤).

المطلب الثالث

دعاء إبراهيم عليه السلام له ولولده وللمؤمنين

قَالَ تَعَالَى: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءَ * رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ
وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ [إبراهيم: ٤٠ - ٤١].

أولاً: المناسبة:

بعد أن شكر إبراهيم عليه السلام الله ﷻ على منحه بعد الكبر واليأس من الولد ولدين، طلب المغفرة له ولوالديه وللمؤمنين يوم يوجد الحساب.

ثانياً: المعنى اللغوي:

(مُقِيمٌ): أقام بالمكان إقامة، والهاء عوض عن عين الفعل لأن أصله إقاما، وأقامه من موضعه، وأقام الشيء: أدامه^(١).

ثالثاً: المعنى الإجمالي:

دعا سيدنا إبراهيم عليه السلام أن يجعله محافظاً على الصلاة مقيماً لحدودها وكذلك ذريته أيضاً، وأن يتقبل دعاءه فيما سأله فيه كله، وأن يغفر لوالديه قبل أن يتبرأ من أبيه لما تبين له عداوته لله ﷻ، ولجميع المؤمنين يوم أن يحاسب الله ﷻ عباده فيجزئهم بأعمالهم، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر^(٢).

رابعاً: البلاغة:

١- (وَمِنْ): ابتدائية، وليست للتبعيض، لأن إبراهيم عليه السلام لا يسأل الله إلا أكمل ما يحبه لنفسه ولذريته^(٣).

خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف

١- ينبغي لكل داع أن لا يخص نفسه بالدعاء، بل أن يدعو لنفسه ووالديه وذريته وكل من له حق عليه، وأن يدعو لكافة المؤمنين^(٤).

(١) انظر: لسان العرب: ابن منظور (١٢ / ٤٩٨).

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير (٤ / ٥١٤).

(٣) انظر: التحرير والتنوير: ابن عاشور (١٣ / ٢٤٤).

(٤) انظر: التيسير في أحاديث التفسير (٣ / ٢٧٣).

٢- "خص الدعاء ببعض ذريته لعلمه من جهة الله تعالى أن بعضاً منهم لا يكون مقيماً للصلاة، بأن يكون كافراً أو مؤمناً لا يؤدي الصلاة، ويجوز أن يكون قد علم من استقرائه عادة الله في الأمم السابقة، أن يكون في ذريته من لا يقيمها" (١).

٣- (واغفر لوالدي)، وكان ذلك الاستغفار منه لهما قبل أن يثبت عنده أنهما عدوان لله، وقال القشيري: ولا يبعد أن تكون أمه مسلمة، لأن الله ذكر عذره في استغفاره لأبيه دون أمه، وأما الوالد فإنما استغفر له قبل أن يتبين له أنه مقيم على الشرك، فقال تعالى:

﴿ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَّتْهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ

لِلَّهِ تَبَرَّأ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ [التوبة: ١١٤] (٢).

(١) التفسير الوسيط - مجمع البحوث (٥ / ٥٠٦).

(٢) انظر: تفسير السمعاني (٣ / ١٢١).

المطلب الرابع

إمهال الله للظالمين

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ
الْأَبْصَارُ﴾ [إبراهيم: ٤٢].

أولاً: المناسبة:

ذكر الله ﷻ مثلاً كاملاً لشكر النعمة، واختار لذلك خليته إبراهيم ﷺ، وذكره دعوة إلى اتباع ملته، وهي الإسلام، وبعد ذلك ذكر ﷻ من يكفرون النعمة ويظلمون أنفسهم بكفرهم، وذكر ما يدل على وجود يوم القيامة^(١).

ثانياً: المعنى اللغوي:

١- (تَحَسَّبَ) يقال حسبته صالحاً، أي: ظننته، حساباً ومحسبة ومحسبة^(٢).

٢- (تَشْخَصُ) شخص الرجل ببصره عند الموت، يشخص شخصاً: رفعه فلم يطرف، مشتق من ذلك. اتسع دون أن يطرف^(٣).

ثالثاً: المعنى الإجمالي:

يخاطب الله ﷻ محمداً ﷺ كي لا يحسب أنه أنظرهم وأجلهم؛ كونه غافلاً عنهم مهملاً لهم، لا يعاقبهم على صنعهم بل هو يحصي ذلك عليهم ويعده عدّاً، ويؤخرهم ليوم عاصيب هو يوم القيامة^(٤).

رابعاً: البلاغة:

١- (وَلَا تَحْسَبَنَّ) نهي للتثبت، وتأكيد أنه لم يقع من النبي ﷺ، وفوق ذلك أن النهي إعلام للنبي ﷺ بأنه عالم بحالهم مُحصٍ عليهم سيئاتهم^(٥).

(١) انظر: زهرة التفاسير: أبو زهرة (٤٠٤٧/٨).

(٢) انظر: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم: الحميري (١٤٤٥/٣).

(٣) انظر: المحكم والمحيط الأعظم - ابن سيده (١٧/٥).

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير (٥١٥/٤).

(٥) انظر: زهرة التفاسير: أبو زهرة (٤٠٤٨/٨).

- ٢- (عَفْلًا) ونفي الغفلة عن الله ليس جارياً على صريح معناه؛ لأن ذلك لا يظنه مؤمن بل هو كناية عن النهي عن استعجال العذاب للظالمين^(١).
- ٣- (الظالمون^٤) أظهر في موضع الإضمار؛ لتسجيل الظلم عليهم؛ ولأن العقاب سبب الظلم، فهم أشركوا، والشرك ظلم عظيم^(٢).
- ٤- (إِنَّمَا) هنا أداة حصر، أي: كان التأخير لأجل هذا اليوم الذي يكون شديداً^(٣).

خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف

- ١- وجود يوم القيامة بنحو مؤكد مقطوع به، أما تأخير العذاب الشديد ليوم القيامة فلحكمة إلهية يعود نفعها إلى مصلحة العباد، كيلا يعجل بعقابهم وتترك الفرصة لهم لإصلاح أحوالهم، فليس تأخير العذاب للرضا بأفعالهم، بل سنة الله إمهال العصاة مدة^(٤).
- ٢- في هذه الآية تسليية للنبي ﷺ عما ساءه من إعراض المشركين عن الإيمان بدعوته، فهذا وعيد للظالمين، وتعزية للمظلومين.

(١) انظر: التحرير والتنوير: ابن عاشور (١٣ / ٢٤٦).

(٢) انظر: زهرة التفاسير: أبو زهرة (٨ / ٤٠٤٨).

(٣) انظر: المرجع السابق نفسه (٨ / ٤٠٤٨).

(٤) انظر: التفسير المنير: الزحيلي (١٣ / ٢٧٩).

المطلب الخامس

موقف الظالمين يوم إتيان العذاب

قَالَ تَعَالَى: ﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾ [إبراهيم: ٤٣].

أولاً: المناسبة:

بعد أن ذكر ﷺ ما يدل على وجود يوم القيامة ذكر ما يدل على صفة يوم القيامة وحال الكافرين في ذلك اليوم العصيب.

ثانياً: المعنى اللغوي:

- ١- (مُهْطِعِينَ) المهطع: المقبل ببصره على الشيء لا يرفعه عنه^(١).
- ٢- (مُقْنِعِي) أقنع رأسه، إذا رفعه^(٢).
- ٣- (يَرْتَدُّ) الرد: صرف الشيء ورجعه، والرد: مصدر رددت الشيء، ورده عن وجهه يرده رداً ومرداً وترداداً: صرفه^(٣).
- ٤- (طَرْفُهُمْ): (الطرف) العين ولا يجمع لأنه في الأصل مصدر فيكون واحداً وجمعاً^(٤).

ثالثاً: المعنى الإجمالي:

ذكر ﷺ كيفية قيام الكفار من قبورهم ومجيئهم إلى قيام المحشر مسرعين مقنعي رافعي رؤوسهم أبصارهم طائفة شاخصة، يديمون النظر لا يطرفون لحظة لكثرة ما هم فيه من الهول والمخافة لما يحل بهم، وقلوبهم خاوية خالية ليس فيها شيء لكثرة الفزع والوجل والخوف^(٥).

(١) انظر: العين: الفراهيدي (١/ ١٠١).

(٢) انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: الفارابي (٣/ ١٢٧٤).

(٣) انظر: لسان العرب: ابن منظور (٣/ ١٧٢).

(٤) انظر: مختار الصحاح: الرازي (ص: ١٨٩).

(٥) انظر: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير (٤/ ٥١٥).

رابعاً: البلاغة:

١- (وَأَفْنَدْتَهُمْ هَوَاءً): تشبيهه بليغ، حذف منه أداة التشبيه ووجه الشبه أي قلوبهم كالهواء نفاغها لشدة الهول من جميع الأشياء فأصبح التشبيه بليغاً^(١).

خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف

١- يسيطر على يوم الحساب الحيرة والدهشة، والخوف والفرع، والاضطراب والقلق، فتري المجرمين حيارى لا تغمض أعينهم من هول ما يرونه في ذلك اليوم، ويسرعون في الخروج من القبور إلى مكان دعاء الداعي لهم بالتجمع في موقف الحساب، ناظرين من غير أن يطرفوا، ورافعي رؤوسهم ينظرون في ذل واستكانة، لا ترجع إليهم أبصارهم من شدة النظر، فهي شاخصة النظر، وأفندتهم خاوية خربة ليس فيها خير ولا عقل، ولا وعي ولا فهم من شدة^(٢).

٢- "تأخير العذاب عن الظلمة في كل زمان ومكان لم يكن غفلة عنهم، وإنما هو تأخيرهم إلى يوم القيامة أو إلى أن يحين الوقت المحدد لأخذهم"^(٣).

٣- "تنبية عام من الله ﷻ موجه لكل ذي عقل وبصيرة من عموم الناس، إلى أن الله تعالى إذا أمهل الظالمين فإنه لا يهملهم، إذ إليه يرجعون، وسيعاقبهم على ما يعملون"^(٤).

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير (٤/ ٥١٥).

(٢) انظر: التفسير المنير: الزحيلي (١٣/ ٢٧٩).

(٣) أيسر التفاسير: الجزائري (٣/ ٦٦).

(٤) التيسير في أحاديث التفسير: الناصري (٣/ ٢٧٣).

المطلب السادس

وصف حال الظالمين عند وقوع العذاب

تَعَالَى: ﴿وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبِّ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرَّسُولَ ۖ أَوْلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ * وَسَكَنْتُمْ فِي مَسْكَانٍ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ * وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ [إبراهيم: ٤٤ - ٤٦].
أولاً: المناسبة:

بعد أن ذكر ﷺ أحوال الكافرين يوم القيامة طلب من الرسول ﷺ أن ينذر القوم الظالمين، ويزجرهم عما هم عليه من الظلم شفقة بهم من أهوال يوم القيامة وشدته^(١).

ثانياً: المعنى اللغوي:

١- (وَأَنْذِرِ) انذر، حذر، اظهر عيوب شيء ما^(٢).

٢- (زَوَالٍ) زوال الشمس، وزوال الملك ونحو ذلك مما يزول عن حاله؛ وقد زالت الشمس زوالاً، وزال القوم عن مكانهم: إذا حاصوا عنه وتحووا^(٣).

٣- (مَكْرَهُمْ): مكر يمكر مكرًا، ومكر به: كاده والمكر احتيال في خفية، ومكر الله إيقاع بلائه بأعدائه دون أوليائه^(٤).

ثالثاً: المعنى الإجمالي:

أمر ﷺ رسوله ﷺ بإنذار الناس مخوفاً لهم من عاقبة أمرهم إذا استمروا على الشرك بالله والكفر برسوله وشرعه، يومها يطلب الذين أشركوا بربهم، وأذوا عباده المؤمنين الإنظار والإمهال كي يوحدوا الله ويطيعوه ويطيعوا الرسول، بعد ان حلفوا وقالوا ما لنا من زوال ولا ارتحال من الدنيا إلى الآخرة، وسكنوا مساكن الذين ظلموا انفسهم بالشرك والمعاصي بعد أن أهلكهم الله ﷻ وقد مكر كفار قريش برسول الله ﷺ؛ حيث قرروا حبسه في السجن حتى الموت أو قتله، أو نفيه وعزموا على القتل ولم يستطيعوه، ولم يكن مكرهم؛ لتزول منه الجبال فإنه تافه لا وزن له ولا اعتبار^(٥).

(١) انظر: تفسير المراغي: المراغي (١٣ / ١٦٦).

(٢) انظر: تكملة المعاجم العربية: رينهارت بيتر أن دوزي (١٠ / ١٩٣).

(٣) انظر: تهذيب اللغة: ابن الأزهري (١٣ / ١٧٢).

(٤) انظر: تاج العروس: الزبيدي (١٤ / ١٤٧).

(٥) انظر: أيسر التفاسير: الجزائري (٣ / ٦٦).

رابعاً: البلاغة:

- ١- {مَكْرُوا مَكْرَهُمْ}: جناس الاشتقاق^(١).
- ٢- {أَخْرِنَا}:فالتأخير مستعمل في الإعادة إلى الحياة الدنيا مجازاً مرسلأ بعلاقة الأول^(٢).
- ٣- {فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخْرِنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُبِحِّبُ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرَّسُولَ}، فإن المشركين يقولون ذلك حين يرون ابتداء العذاب فيهم فالتأخير على هذا حقيقة والرسول على هذا المحمل مستعمل في الواحد مجازاً، والمراد به محمد ﷺ^(٣).
- ٤- {لَتَرْوُلَ مِنَ الْجِبَالِ} هذا من المبالغة في حصول أمر شنيع أو شديد في نوعه^(٤).

خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف

- ١- "ما أكثر المواعظ والعبر، وأقل الاتعاظ والاعتبار!! فقد سكن الناس في مساكن الظالمين، في بلاد ثمود ونحوها، ولم يعتبروا بمساكنهم، بعد ما تبين ما فعل الله بهم، وبعد أن ضرب الله لهم الأمثال في القرآن للظة والعبرة"^(٥).
- ٢- لا جدوى من مكر الكافرين الشديد بالشرك بالله، وتكذيب الرسل والمعاندة، فعند الله العلم التام بمكرهم، وهو مجازيهم عليه، ومكرهم حقير مهين لا يؤدي إلى شيء، من إزالة جبال الأرض، وإزاحة الإسلام والقرآن الثابتين ثبوت الجبال الراسيات، وقد حفظ الله رسوله ﷺ من ألوان مكرهم^(٦).
- ٣- الله ﷻ منجز وعده لرسله وأوليائه لا محالة، ولن يخلف الله وعده بنصر أهل الحق وعقاب المبطلين، والله تعالى قوي غالب منتقم من أعدائه، ومن أسمائه: المنتقم الجبار.
- ٤- الأمثال التي ضربها الله ﷻ في القرآن ليتدبروها، ويعتبروا بها فيجب على كل من شاهد أحوال الماضين من الأمم الخالية، والقرون الماضية، وعلم ما جرى لهم وكيف أهلكوا أن يعتبر بهم، ويعمل في خلاص نفسه من العقاب والهلاك.

(١) انظر: صفوة التفاسير: الصابوني (٢/ ٩٤).

(٢) انظر: التحرير والتنوير: ابن عاشور (١٣/ ٢٤٨).

(٣) انظر: المرجع السابق نفسه (١٣/ ٢٤٨).

(٤) انظر: المرجع السابق نفسه (١٣/ ٢٥١).

(٥) التفسير المنير: الزحيلي (١٣/ ٢٨٠).

(٦) انظر: المرجع السابق نفسه: الصفحة نفسها.

المبحث السادس
الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة
ابراهيم من الآية (٤٧ إلى ٥٢)

وفيه ثلاثة مطالب :

- المطلب الأول : نصره الله لرسوله في الحياة الدنيا والآخرة .
- المطلب الثاني : وصف عذاب المجرمين يوم القيامة .
- المطلب الثالث : القرآن بلاغ لجميع الخلق من إنس وجن .

المطلب الأول

نصرة الله لرسوله في الحياة الدنيا والآخرة

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخَلَّفًا وَعَدِيهِ رَسُولَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ [إبراهيم: ٤٧].

أولاً: المناسبة:

بعد أن أمر الله ﷻ رسوله الكريم بإنذار العباد ذكر هنا تسلية لرسوله وتهديدا للظالمين من أهل مكة أن تأخيرهم وتمتعهم بالحظوظ الدنيوية ليس إعمال للعقوبة ولا لغفلة عن حالهم^(١).

ثانياً: المعنى اللغوي:

١- (مُخَلَّفٌ): الإخلاف أن لا تقي بالعهد، وأن تعد عدة ولا تتجزها، ويقال: رجل مخلف، أي: كثير الإخلاف لوعده^(٢).

٢- (وَعَدِيهِ): (الوعد) يستعمل في الخير والشر، يقال: (وعد) يعد بالكسر (وعدا) ويقال: (وعدته) خيراً ووعدته شراً فإذا أسقطوا الخير والشر قالوا في الخير: (الوعد) و (العدة) وفي الشر (الإيعاد) و (الوعيد)^(٣).

ثالثاً: المعنى الإجمالي:

بين الله ﷻ لرسوله الكريم ﷺ أنه كما لم يخلف رسله الأولين لن يخلفه وإنه لا بد منجز له ما وعده من النصر على أعدائه فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم فإن غالب لا يغلب غالب على أمره ما يريده لا بد واقع شديد ممن عصاه وتمرد على طاعته وحارب أوليائه^(٤).

رابعاً: البلاغة:

١- (مُخَلَّفًا وَعَدِيهِ رَسُولَهُ) أضيف مخلف إلى مفعوله الثاني وهو وعده وإن كان المفعول الأول هو الأصل في التقديم والإضافة إليه لأن الاهتمام بنفي إخلاف الوعد أشد، فلذلك قدم وعده على رسله.

(١) انظر: تفسير المراغي (١٣ / ١٦٤).

(٢) انظر: تاج العروس: الزبيدي (٢٣ / ٢٥٠).

(٣) انظر: مختار الصحاح: الرازي (ص: ٣٤٢).

(٤) انظر: أيسر التفاسير: الجزائري (٣ / ٦٨).

٢- (رُسُلُهُ) جمع مراد به النبي ﷺ لا محالة، فهو جمع مستعمل في الواحد مجازاً.

٣- (إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ) تعليل للنهي عن حساباته مخلف وعده^(١).

خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف:

١- إن الله ﷻ لا يخلف ما وعد به رسله من النصر وإعلاء الكلمة، وإظهار الدين فإنه ناصر رسله وأوليائه ومهلك أعدائه^(٢).

٢- "خطاب عام من الله تعالى موجه إلى كل ذي عقل وبصيرة من عموم الناس، بأن لا يشك أدنى شك في إنجاز ما وعد الله به، أي كان الشخص الموعود به، ولاسيما الوعد الذي وعد الله به رسله أنفسهم"^(٣).

٣- "قوله ﷻ: { فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلَفًا وَعَدْوَهُ رُسُلَهُ } أمراً مفهوماً ومعقولاً، فإن من غير المفهوم وغير المعقول أن يعتبر الخطاب فيهما موجهاً إلى الرسول نفسه ﷺ، لأنه لا يتصور في حق الرسول أن يسيء الظن بالله أو يشك في إنجاز وعده الحق"^(٤).

قال أبو حيان في تفسيره: "الخطاب بقوله {ولا تحسبن الله غافلاً} للسامع الذي يمكن منه حسابان مثل هذا، لجهله بصفات الله، لا للرسول ﷺ فإنه مستحيل ذلك في حقه"^(٥).

(١) انظر: التحرير والتنوير: لابن عاشور (١٣ / ٢٥١).

(٢) انظر: لباب التأويل في معاني التنزيل: للخازن (٣ / ٤٥).

(٣) التيسير في أحاديث التفسير: الناصري (٣ / ٢٧٣).

(٤) المرجع السابق نفسه (٣ / ٢٧٤).

(٥) البحر المحيط في التفسير: ابن حيان (٦ / ٤٥١).

المطلب الثاني

وصف عذاب المجرمين يوم القيامة

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ^ط وَيُرْزَأُ لِلَّهِ الْوَحِيدِ الْقَهَّارِ * وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقْرَنِينَ فِي الْأَصْفَادِ * سَرَابِيَهُمْ مِّنْ فِطْرَانٍ وَنَعَشَى^ق وَجُوهَهُمُ النَّارُ * لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [إبراهيم: ٤٨ - ٥١].

أولاً: المناسبة:

بعد تهديده ﷻ للظالمين من أهل مكة بين الله ﷻ لصور من أهوال يوم القيامة.

ثانياً: المعنى اللغوي:

- ١- (مُّقْرَنِينَ) قرنت الشيء بالشيء: وصلته به، وقرنت الأسارى في الحبال، شدد للكثرة واقرن الشيء بغيره، وقارنته قرانا: صاحبته^(١).
- ٢- (الْأَصْفَادِ) (صفدت) يعني شددت بالأغلال وأوتقت، يقال منه: صفدت الرجل فهو مصفود، وصفدته فهو مصفد. وأما أصفدته بالألف إصفادا، فهو أن تعطيه وتصله^(٢).
- ٣- (سَرَابِيَهُمْ): السريال هو القميص أو كل ما لبس^(٣).
- ٤- (فِطْرَانٍ) عصارة شجر الأرز والأبهل تطبخ ثم تطلّى بها الإبل وفي التنزيل العزيز وهو شديد الاشتعال ومادة سوداء سائلة لزجة تستخرج من الخشب والفحم^(٤).
- ٥- (وَنَعَشَى) الغشاء: الغطاء^(٥).

(١) انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: الفارابي (٦/ ٢١٨١).

(٢) انظر: تهذيب اللغة: ابن الأزهري (١٢/ ١٠٥).

(٣) انظر: اللطائف في اللغة = معجم أسماء الأشياء: اللبائدي (ص: ٣٤١).

(٤) انظر: المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية (٢/ ٧٤٤).

(٥) انظر: تهذيب اللغة (٨/ ١٤٥).

ثالثاً: المعنى الإجمالي:

تُبدل الأرض بأرضٍ كالفضة بيضاء نقيّة يُحشر النَّاسُ عليها والسَّماءُ من ذهبٍ ويخرج الذين زعموا أنّ الله شريكاً وولداً يوم القيامة من قبورهم موصولين بسلاسل الحديد والأغلال كلُّ كافرٍ مع شيطانٍ في غلٍّ وقمصهم ما يُطلى به الإبل وذلك أبلغ لاشتعال النَّارِ فيهم { وتعلو وجوههم ليقع لهم الجزاء من الله سبحانه بما كسبوا^(١).

رابعاً: البلاغة:

١- {يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضُ عِزَّ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ^ط} الإيجاز بالحذف حذف منه والسموات تبدل غير السموات لدلالة ما سبق^(٢).

٢- (يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضُ) متعلقاً بقوله: (سَرِيحَ الْحِسَابِ) قدم عليه للاهتمام بوصف ما يحصل فيه، فجاء على هذا النظم ليحصل من التشويق إلى وصف هذا اليوم لما فيه من التهويل^(٣).

خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف:

١- تتبدل الأرض والسموات يوم القيامة، وتبدل الأرض في رأي الأكثرين: عبارة عن تغيير صفاتها، وتسوية آكامها، ونسف جبالها، ومد أرضها. وتبدل السموات: انتشار كواكبها وتصدعها وانشقاقها وتكوير شمسها وخسوف قمرها^(٤).

٢- للمجرمين في النار صفات كئيبة، فهم مقيدون بالأغلال والقيود، وتطلي جلودهم بالقطران، وتضرب الناس وجوههم فتغشيها وتحيط بها وبجميع أجسادهم^(٥).

٣- إن حشر الناس يوم المعاد لإنصاف الخلائق وإقامة صرح العدل المطلق بينهم، ومجازاة كل امرئ بما عمل، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

٤- يبين الله ﷻ أحوال المجرمين يوم العرض وفي جهنم حيث تكون وجوههم شاحبة يتمنون العودة إلى الدنيا مرة ثانية ليعملوا الصالحات ولكن بأس الحال حالهم فذلك اليوم لا ينفع الندم^(٦).

(١) انظر: الوجيز: الواحدي (ص: ٥٨٦).

(٢) انظر: صفة التفاسير: الصابوني (٢/ ٩٤).

(٣) انظر: التحرير والتنوير: ابن عاشور (١٣/ ٢٥٢).

(٤) انظر: التفسير المنير: الزحيلي (١٣/ ٢٨٠).

(٥) انظر: المرجع السابق نفسه: الصفحة نفسها.

(٦) انظر: أيسر التفاسير: الجزائري (٣/ ٦٩).

٥- يبين الله ﷻ العلة في المعاد الآخر وهو الجزاء على الكسب في الدنيا فمن عمل صالحاً فله الأجر والثواب ومن عمل غير ذلك فله العاقبة^(١).

٦- (وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ * سَرَابِئُهُمْ مِّنْ قَطْرَانٍ وَتَنْشَىٰ وُجُوهُهُمْ

النَّارُ)، فمشهد المجرمين: اثنين اثنين مقرونين في الوثاق، يمرّون صفاً وراء صف.. مشهد مذل دال كذلك على قدرة القهار. ويضاف إلى قرنها في الوثاق أن سرابيلهم وثيابهم من مادة شديدة القابلية للالتهاج، وهي في ذات الوقت فذرة سوداء.. «من قطران» .. ففيها الذل والتحقير، وفيها الإيحاء بشدة الاشتعال بمجرد قربهم من النار! فهو مشهد العذاب المذل المتلطي المشتعل جزاء المكر والاستكبار^(٢).

٧- "إن الغاية الأساسية من البلاغ والإنذار، هي أن يعلم الناس «أنما هو إلهٌ واحدٌ» .. فهذه هي قاعدة دين الله التي يقوم عليها منهجه في الحياة.

وليس المقصود بطبيعة الحال مجرد العلم، إنما المقصود هو إقامة حياتهم على قاعدة هذا العلم.. المقصود هو الدينونة لله وحده، ما دام أنه لا إله غيره. فالإله هو الذي يستحق أن يكون رباً- أي حاكماً وسيداً ومتصرفاً ومشرعاً وموجهاً- وقيام الحياة البشرية على هذه القاعدة يجعلها تختلف اختلافاً جوهرياً عن كل حياة تقوم على قاعدة ربوبية العباد للعباد- أي حاكمية العباد للعباد ودينونة العباد للعباد- وهو اختلاف يتناول الاعتقاد والتصور، ويتناول الشعائر والمناسك كما يتناول الأخلاق والسلوك، والقيم والموازين وكما يتناول الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وكل جانب من جوانب الحياة الفردية والجماعية على السواء^(٣).

(١) انظر: أيسر التفاسير: الجزائري (٣ / ٦٩).

(٢) في ظلال القرآن: سيد قطب (٤ / ٢١١٣).

(٣) المرجع السابق نفسه (٤ / ٢١١٤).

المطلب الثالث

القرآن بلاغ لجميع الخلق من إنس وجن

قَالَ تَعَالَى: ﴿ هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ، وَيَعْلَمُوا أَنَّهَا هُوَ إِلَهُ وَحْدٌ وَلِيَذَّكَّرُوا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [إبراهيم: ٥٢].

أولاً: المناسبة:

بعد عرض الآيات القرآنية التهديد والوعيد للكفار وصور العذاب التي يلاقونها الكفار بين الحق ﷻ أن وعد الله لرسوله لا يخلف، وهو ناصرهم وخاذل أعدائه.

ثانياً: المعنى اللغوي:

(بَلَّغٌ): وبلغ الشيء يبلغ بلوغاً، وأبلغته إبلاغاً وبلغته تبليغاً في الرسالة ونحوها هذا بلاغ للناس، أي: هذا القرآن ذو بلاغ، أي: بيان كاف^(١).

(أَلْبَابٌ): اللب: العقل، والجمع الأبواب^(٢).

ثالثاً: المعنى الإجمالي:

إن القرآن الكريم تبليغ وعظة للناس وليخوفوا به وليستدلوا بهذه الآيات على وحدانية الله ﷻ وليتعض أولو العقول^(٣).

رابعاً: البلاغة:

(أَنَّماً) مقصور على الإلهية الموحدة، وهذا قصر موصوف على صفة وهو إضافي، أي: أنه تعالى لا يتجاوز تلك الصفة إلى صفة التعدد بالكثرة أو التثليث^(٤).

(١) انظر: العين: الفراهيدي (٤/ ٤٢١).

(٢) انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: الفارابي (١/ ٢١٦).

(٣) انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن: البغوي (٤/ ٣٦٣).

(٤) انظر: التحرير والتنوير: ابن عاشور (١٣/ ٢٥٥).

خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف

- ١- القرآن وما فيه من عظات تبليغ للناس وعظة، وإنذار وتخويف من عقاب الله ﷻ، ومصدر للعلم بوحداية الله بما تضمنه من الحجج والبراهين، وموعظة يتعظ به أصحاب العقول^(١).
- ٢- هذه الآية الأخيرة من السورة دالة على أنه لا فضيلة للإنسان ولا منقبة له إلا بسبب عقله لأنه تعالى بين أنه إنما أنزل هذه الكتب، وإنما بعث الرسل لتذكير أولي الألباب^(٢).
- ٣- هذا الإنذار للكافرين ليحسبوا والعبرة قد تفيدهم، ففيه تذكيراً لأولي العقول المدركين وهم المؤمنون فيزدادوا بهذا البلاغ إيماناً، والله أعلم بشرعه.
- قوله تعالى في آخر آية من هذه السورة: (هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا أنما هو إله واحد وليذكر أولوا الألباب) هذه الآية صالحة لأن تكون عنواناً ثانٍ للقرآن الكريم إذ دلت على مضمونه كاملاً مع جازة اللفظ وجمال العبارة^(٣).
- ٤- إنه سبحانه جعل لهذا البلاغ ثلاث فوائد هي الحكمة من إنزال الكتب والرسل:
 - إن الرسل يخوفون الناس عقاب الله وينذرونهم بأسه، ليكملوهم بمعرفة ربهم وتقواه والعمل على طاعته.
 - إن الناس ترتقى قوتهم النظرية إلى منتهى كما لها، بتوحيد الخالق والاعتراف بأنه مدبر الكون والمسيطر عليه.
 - إنهم يستصلحون قوتهم العملية بتدريجهم بلباس التقوى^(٤).
- ٥- لقد جاء هذا القرآن العظيم للبشرية جمعاء ولأصحاب العقول الكاملة خاصة ليدركوا به ما ينفعهم فيفعلونه، وما يضرهم فيتركونه، وبذلك صاروا أولي الألباب والبصائر.
- إذ بالقرآن ازدادت معارفهم وآراؤهم، وتنورت أفكارهم لما أخذوه غضاً طرياً فإنه لا يدعو إلا إلى أعلى الأخلاق والأعمال وأفضلها، ولا يستدل على ذلك إلا بأقوى الأدلة وأبينها وهذه القاعدة إذا تدرب بها العبد الذكي لم يزل في صعود ورقي على الدوام في كل خصلة حميدة^(٥).

(١) انظر: التفسير المنير: الزحيلي (١٣ / ٢٨١).

(٢) انظر: أيسر التفاسير: الجزائري (٣ / ٦٩).

(٣) انظر: زهرة التفاسير: أبو زهرة (٨ / ٤٠٥٩).

(٤) انظر: تفسير المراغي (١٣ / ١٧١).

(٥) انظر: تيسير الكريم الرحمن: السعدي (ص: ٤٢٨).

الخاتمة

الحمد لله الذي أعانني على اتمام هذا البحث وإخراجه وأسأله سبحانه أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه مؤثراً نافعاً قارئه والصلاة والسلام على معلم الناس الخير سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد.

أولاً - نتائج البحث:

- ١- قررت سورة الرعد وحدانية الله تعالى، والرسالة، والبعث والجزاء
- ٢- أكدت سورة الرعد أن الحق واضح مبين، وراسخ، وثابت، والباطل ضعيف زائف خادع، مهما ظهر على الحق بزينة الزائفة.
- ٣- تناولت سورة إبراهيم العقيدة في أصولها الكبيرة من الإيمان بالله وبالرسل والبعث والجزاء .
- ٤- تناولت السورة دعوة الرسل الكرام بشيء من التفصيل وبين وظيفة الرسل في إخراج البشرية من الظلمات إلى النور فدعوتهم واحدة، وهدفهم واحد.
- ٥- حقق البحث مجموعة طيبة من وجوه المناسبات بين الآيات بما يساعد علي ربط موضوعاتها .
- ٦- جاء في البحث كمّ ليس بالقليل من اللطائف البيانية، التي تبين بلاغة القرآن الكريم، وروعة نظمه .
- ٧- احتوى البحث على معاني المفردات، والمعاني الإجمالية للآيات، مما يجعله واضح المعنى للعامة والخاصة .

ثانياً - أهم التوصيات:

- ١- أوصي الدعاة وطلاب العلم بتقوي الله وتلاوة كتاب الله وتدبر معانيه وربط ذلك كله بواقع المسلمين سعياً للمساهمة لحل مشاكلهم .
- ٢- أوصي الباحثين وطلاب العلم بالاهتمام والاعتناء والتركيز علي علم مقاصد وأهداف سور القرآن، فإن ذلك مما يعمق الإيمان، ويزيده مما يدركه المرء من حكم ومصالح ورغبات .

- ٣- صاحب العقيدة الراسخة الحقه عليه أن يصمت أمام المحن والشدائد ولا يستسلم لعواصف الحاقدين علي الإسلام والمسلمين
- ٤- استخدام المقاصد المستتبطة في بيان عظمة القرآن الكريم وإعجازه، وأن تكون هذه المقاصد منطلقاً في الدعوة إلي الله ﷻ.

الفهارس العامة

أولاً: فهرس الآيات القرآنية.

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية.

ثالثاً: فهرس الأعلام المترجم لهم.

رابعاً: فهرس المصادر والمراجع.

خامساً: فهرس الموضوعات

أولاً: فهرس الآيات القرآنية

الصفحة	رقمها	طرف الآية
سورة البقرة		
٩	١٩	﴿ أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ ﴾
٥٧	٢٤	﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ ... ﴾
٨٧	54	﴿ وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾
١٦١	٢٧١	﴿ إِن تَبَدُّوا لَأَبْهَتُوا الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا رِزْقٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِزْقُ الْآبَاءِ الَّذِينَ هُمُ الْمُؤْمِنِينَ أَكْثَرُ عَلَيْهِمْ ... ﴾
سورة آل عمران		
٥٦	١٣٣	﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ... ﴾
سورة النساء		
٥٥	٤٧	﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ مِّن ... ﴾
١٧١	٤٨	﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ ... ﴾
٦٨	٧٨	﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ ﴾
٥٥	٩٣	﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا ... ﴾
سورة المائدة		
٥٦	٢٧	﴿ قَالَ إِنَّمَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾
سورة الأنعام		
٥٠	٥٩	﴿ وَمَا سَقَطَ مِنْ رَّيْقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا ﴾

الصفحة	رقمها	طرف الآية
سورة الأعراف		
١٠٣	١٥٨	﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ ... ﴾
سورة الأنفال		
٥٦	٢٩	﴿ إِنْ تَقْتُلُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا ﴾
٥٤	٤٢	﴿ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِأَخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ ﴾
سورة التوبة		
٥٤	٦٨	﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ ... ﴾
أ	١٠٥	﴿ وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾
١٧٧	١١٤	﴿ وَمَا كَانِ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ ... ﴾
سورة يونس		
سورة هود		
٥٠	٦	﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا ... ﴾
٥٠	١٠٢	﴿ وَكَذَلِكَ أَخَذْنَا مِنْكَ الْبَدْحَ إِذَا أَخَذْنَا مِنَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَلِيمَةٌ إِنَّ أَخَذَهُ ... ﴾
٢٩	١١٤	﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴾
سورة يوسف		
١٠١	٢	﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾
٧٠	٣٥	﴿ ثُمَّ بَدَأْ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا آيَاتِنَا لِيَسْجُنُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾

الصفحة	رقمها	طرف الآية
٥٧	٩٠	﴿ إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾
سورة الرعد		
١٠	١٢	﴿ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ﴾
٩	١٣	﴿ وَيَسِّحُ الرِّعْدَ بِحَمْدِهِ ﴾
٢٢	١٩	﴿ أَمَّنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَنْذَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَّا لَأَبْيَأُ ﴾
٢٢	٢٠	﴿ الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْعَيْثَ ﴾
٢٢	٢١	﴿ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴾
٢٢	٢٢	﴿ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ ﴾
٢٢	٢٣	﴿ جَنَّاتٍ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَأَنْزَلَ مِنْهَا الْأَنْهَارَ مِنْ فَوْقِهَا وَأَنْزَلَ مِنْهَا الْأَنْهَارَ مِنْ فَوْقِهَا وَأَنْزَلَ مِنْهَا الْأَنْهَارَ مِنْ فَوْقِهَا ... ﴾
٢٢	٢٤	﴿ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾
٣١	٢٥	﴿ وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ ... ﴾
٣٣	٢٦	﴿ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي ... ﴾
٣٣	٢٧	﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ ... ﴾
٣٣	٢٨	﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾
٣٣	٢٩	﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحَسَنُ مَا أَجْرُ ﴾
٣٧	٣٠	﴿ كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِيَتْلُوا عَلَيْهَا ... ﴾

الصفحة	رقمها	طرف الآية
٤٣، ١٠	٣١	﴿ وَلَوْ أَن قُرْءَانَا سُرَّتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمٌ بِهِ الْمَوْتُ ... ﴾
٤٨	٣٢	﴿ وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْتُمْ بِرُسُلٍ مِن قَبْلِكَ فَأَمَلَيْتُمُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ ... ﴾
٤٨	٣٣	﴿ أَفَمَن هُوَ قَائِدٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلُوبَهُمْ أَمْ ... ﴾
٤٨	٣٤	﴿ هُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَّاقٍ ﴾
٥٣	٣٥	﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ ... ﴾
٦٢، ٥٨	٣٦	﴿ وَالَّذِينَ آمَنَتْهُمْ أَلْكَتَبَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَن ... ﴾
٦٣	٣٧	﴿ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حِكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنْ ... ﴾
٦٦	٣٨	﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا ذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ ... ﴾
٦٩	٣٩	﴿ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ ۗ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾
٧٤	٤٠	﴿ وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَقَّعَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ ... ﴾
٧٧	٤١	﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۗ وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ ... ﴾
٨١	٤٢	﴿ وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ ... ﴾
٨٥، ١١	٤٣	﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ... ﴾
سورة إبراهيم		
٩٣، ٩١	١	﴿ الرَّكْعَتَيْنِ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَىٰ ... ﴾
٩٥	٢	﴿ اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ ... ﴾

الصفحة	رقمها	طرف الآية
٩٥	٣	﴿ الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ ... ﴾
١٠٠	٤	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ ... ﴾
١٠٥	٥	﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ ... ﴾
١٠٥	٦	﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ ... ﴾
١٠٩	٧	﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ ... ﴾
١٠٩	٨	﴿ وَقَالَ مُوسَى إِنَّ تَكْفُرًا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَأَنْتَ ... ﴾
١١٦	٩	﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ ... ﴾
١١٦	١٠	﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أِنِّي إِلَهُكُمْ فَاتَّخَذُوا لِلَّهِ آلِهَةً ... ﴾
١٢٢	١١	﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ ... ﴾
١٢٢	١٢	﴿ وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنْ يُضِلَّهُمْ ... ﴾
١٢٧	١٣	﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ ... ﴾
١٢٧	١٤	﴿ وَلَنَسْكَنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي ... ﴾
١٣١	١٥	﴿ وَأَسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ ﴾
١٣١	١٦	﴿ مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَسُقِيَ مِنْ مَاءٍ صَٰكِبٍ ﴿١٦﴾ ﴾
١٣١	١٧	﴿ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ ... ﴾
١٣٦	١٨	﴿ مِثْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَلُهُمْ كَرَمًا اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ ... ﴾

الصفحة	رقمها	طرف الآية
١٣٩	١٩	﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِالْحَقِّ وَالْأَرْضِ بِالْحَقِّ إِنَّ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ...﴾
١٣٩	٢٠	﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾﴾
١٤٣	٢١	﴿وَيَرْزُقُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ...﴾
١٤٦، ١٣	٢٢	﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ...﴾
١٥١	٢٣	﴿وَأَدْخِلْ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا...﴾
١٥٤، ١٤	٢٤	﴿الَّذِينَ تَرَكَفَ صَرَبَ اللَّهِ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ...﴾
١٥٤، ١٥٥	٢٥	﴿تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ...﴾
١٥٤	٢٦	﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ...﴾
١٥٧	٢٧	﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا...﴾
١٦٠، ١٣	٢٨	﴿الَّذِينَ تَرَى إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كَفْرًا وَأَحْلَوْا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ...﴾
١٦٠	٢٩	﴿جَهَنَّمَ يَصَلَوْنَهَا وَيَبْسُ الْقَرَارُ ﴿٢٩﴾﴾
١٦٠، ١٣	٣٠	﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِن...﴾
١٦٣	٣١	﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ...﴾
١٦٥	٣٢	﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً...﴾
١٦٥	٣٣	﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ...﴾
١٦٥، ١١٢	٣٤	﴿وَمَا آتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا...﴾

الصفحة	رقمها	طرف الآية
١٦٩	٣٥	﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ ... ﴾
١٦٩	٣٦	﴿ رَبِّ إِنَّمَنْ أَصْلَلَنْ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ ... ﴾
١٦٩	٣٧	﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ عَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ ... ﴾
١٦٩	٣٨	﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعَلَّمْ مَا نَخْفِي وَمَا نُعَلِّنُ وَمَا نَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي ... ﴾
١٧٤، ١٤	٣٩	﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي ... ﴾
١٧٦، ١٤	٤٠	﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴾
١٧٦	٤١	﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴿٤١﴾ ﴾
١٧٨، ١٤	٤٢	﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفْلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا ... ﴾
١٨٠	٤٣	﴿ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴿٤٣﴾ ﴾
١٨٢	٤٤	﴿ وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَا نَبِيَّهُمُ الْعَذَابُ الْفَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا آخِرْنَا ... ﴾
١٨٢	٤٥	﴿ وَسَكَنتُمْ فِي مَسْكِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ ... ﴾
١٨٢	٤٦	﴿ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ ... ﴾
١٨٥	٤٧	﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخَلَّفًا وَعَدُوَّهُ رَسُولُهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ ﴾
١٨٧، ١٦٧	٤٨	﴿ يَوْمَ تَبَدَّلَ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾
١٨٧	٤٩	﴿ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ ﴾
١٨٧	٥٠	﴿ سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطْرَانٍ وَتَعْنَى وُجُوهُهُمْ النَّارُ ﴿٥٠﴾ ﴾

الصفحة	رقمها	طرف الآية
١٨٧	٥١	﴿ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٥١﴾ ﴾
١٩٠	٥٢	﴿ هَذَا بَلَّغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ. وَيَعْلَمُوا أَنَّ مَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَلِيَذَكَّرَ ... ﴾
سورة الحجر		
٤٠	٩	﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾
١٥٢	٤٥	﴿ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ فِي جَهَنَّمَ وَعِيونِ ﴾
سورة النحل		
١٤٤	١	﴿ أَقْبِ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾
١٦	٩	﴿ وَعَلَى اللَّهِ قَضُ السَّبِيلِ ﴾
١١٢	١٨	﴿ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾
١١٢	٥٣	﴿ وَمَا يَكُومُ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ يَجْتَرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾
سورة الإسراء		
٢٨	٣٤	﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾
١٠٣	٨٨	﴿ قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا ... ﴾
٣٩	١١٠	﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ ﴾
سورة الكهف		
٣٩	١١٠	﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ ﴾
سورة الأنبياء		
٨٢	٦	﴿ مَا أَمَنْتَ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرِيْبَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ ﴾

الصفحة	رقمها	طرف الآية
٤٢	٢٢	﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا ءِالِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا ... ﴾
١٠٦	٣٥	﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبَلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ... ﴾
١٢٩	١٠٥	﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا ... ﴾
٣٩	١٠٧	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾
سورة الفرقان		
٦١	٣	﴿ وَاتَّخِذُوا مِن دُونِي ءِالِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا ... ﴾
سورة النمل		
١١٠	٢١	﴿ لِأَعَذِّبَهُ عَذَابًا شَدِيدًا ﴾
سورة القصص		
٩٤	٥٦	﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَئِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ ... ﴾
سورة العنكبوت		
٢٦	٤٥	﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ... ﴾
٢٨	٦٩	﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾
سورة الروم		
٦٢	٥ - ١	﴿ اَلَمْ ﴿١﴾ غَلِبَتِ الرُّومُ ﴿٢﴾ فِي آدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ ... ﴾
سورة سبأ		
٤٧	١٩	﴿ فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ﴾

الصفحة	رقمها	طرف الآية
١٠٣	٢٨	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾
سورة فاطر		
٢٥	٢٨	﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾
١٣٢	٣٦	﴿ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ ﴾
سورة يس		
١٤١	٧٧	﴿ أَوْلَعِبِ الْإِنْسَانُ إِنَّا خَلَقْتَهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾
سورة الصافات		
١٢٩	١٧١	﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَاتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴾
سورة الزمر		
١١٠	٧	﴿ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾
١٣٢	١٦	﴿ لَهُمْ مِنْ قَوْفِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ﴾
٤١	٢٩	﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا ... ﴾
٧٠	٤٧	﴿ وَبَدَأَ لَهُمْ مِنِ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾
سورة الزخرف		
١٦٤	٦٧	﴿ الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾
١٥٢	٦٨	﴿ يَتَعْبَادُونَ لَكَ خَوْفٌ عَلَيْكَ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾
سورة الأحقاف		
١٤١	٣٣	﴿ أَوْلَعِبِرُوا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَتَّخِذْ لِنَفْسِهِ وَلَدًا ... ﴾

الصفحة	رقمها	طرف الآية
سورة الفتح		
٥٤	٢٠	﴿ وَعَدَّكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً ﴾
سورة الذاريات		
٤٥	٢٠	﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾
١٦٧، ٥٩	٥٦	﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٨﴾ ﴾
سورة المجادلة		
١٤٤	١٨	﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْطِفُونَ لَهُمْ كَمَا يَحْطِفُونَ لَكُمْ ﴾
١٢٩	٢١	﴿ كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَىٰ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّكَ اللَّهُ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٨﴾ ﴾
سورة الصف		
٥٩	٦	﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ ... ﴾
سورة التغابن		
١١٠	٦	﴿ فَكْفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَأَسْتَعْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ عَنِّي حَمِيدٌ ﴿٦﴾ ﴾
سورة الطلاق		
٥٦	١	﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ ﴾
٥٦	٢	﴿ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾
سورة الملك		
٤٥	١٥	﴿ فَامْسُوا فِي مَنَاجِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿١٥﴾ ﴾

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية

الصفحة	طرف الحديث
٢٦	اتق الله حيثما كنت، وخالق الناس بخلق حسن
٧٩	إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس، وفي رواية من العباد،
٥٠	إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه
١٠٧	إن أمر المؤمن كله عجب، لا يقضي الله له قضاء
٥٥	إن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة
١٥٦	إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها
٥٥	إني أريت الجنة فتناولت منها عنقوداً
١٥٣	أَوَّلُ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةٍ
٢٤	آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب
١٥٨	ثم يعاد روحه في جسده
٦٧	جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة
١٥٣	قال الله تعالى أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا
١١٩	كل مولود يولد على الفطرة
١٤٥	لا تكونوا إمعة
١٠٣	لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي
١٣٧	لا ينفعه، إنه لم يقل يوماً: رب اغفر لي خطيئتي
١٠٢	لم يبعث الله ﷺ نبياً إلا بلغه قومه

الصفحة	طرف الحديث
٧١	اللهم اهدني فيمن هديت، وعافني فيمن زوجوا الودود الولود
٤١	لو أنكم كنتم تاكلون على الله حق توكله
٤٦	ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي
١٧٢	ماء زمزم لما شرب له
٩٤	مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد
٥٤	من شهد أن لا اله إلا الله وأن محمداً رسول الله، حرم الله عليه
١٦٤	ورجل تصدق بصدقة فأخفاها
١١١	يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم
١٥٢	يَأْكُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ
١٣٣	يقرب إليه فيتكرهه

ثالثاً: فهرس الأعلام المترجم لهم

الصفحة	اسم العلم
٨٦	ابن الأنباري
٧٢	أبو وائل
٧٢	الأعمش
٧٢	الحسن
٨٥	حيي بن أخطب
٨٦	الزجاج
١٠	سعيد بن جبير
٧٩	الشعبي
٨٦	الضحاك
١٣٧	عبد الله بن جدعان
١٠	عطاء
٧٩	عكرمة
٢٤	قتادة
٨٥	كعب بن الأشرف
١٠	مجاهد
١٠٨	مقاتل

رابعاً: فهرس المصادر والمراجع

• القرآن الكريم

١. الإحسان في تقريب صحيح بن حبان: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى: ٧٣٩ هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، عدد الأجزاء: ١٨ .
٢. أحكام القرآن: أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (المتوفى: ٣٧٠هـ)، المحقق: محمد صادق القمحاوي - عضو لجنة مراجعة المصاحف بالأزهر الشريف، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، ١٤٠٥ هـ.
٣. أحكام القرآن: القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (المتوفى: ٥٤٣هـ)، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م، عدد الأجزاء: ٤.
٤. إحياء علوم الدين: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، دار المعرفة - بيروت، عدد الأجزاء: ٤.
٥. أساس البلاغة: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، عدد الأجزاء: ٢.
٦. أسباب نزول القرآن: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ) المحقق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح - الدمام الطبعة: الثانية، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.
٧. الإصابة في تمييز الصحابة: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٥ هـ ، عدد الأجزاء: ٨.

٨. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن : محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.
٩. الأعلام: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي دمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو ٢٠٠٢م.
١٠. الأم: الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (المتوفى: ٢٠٤هـ) : دار المعرفة - بيروت، سنة النشر: ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، عدد الأجزاء: ٨.
١١. أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ)، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ.
١٢. أوضح التفاسير، محمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب (المتوفى: ١٤٠٢هـ)، المطبعة المصرية ومكتبتها، الطبعة: السادسة، رمضان ١٣٨٣ هـ - فبراير ١٩٦٤ م.
١٣. أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري ، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية الطبعة: الخامسة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، عدد الأجزاء: ٥.
١٤. بحر العلوم: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: ٣٧٣هـ).
١٥. البحر المحيط في التفسير: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أنير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل ، دار الفكر - بيروت، الطبعة: ١٤٢٠هـ.
١٦. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسن بن الأنجري الفاسي الصوفي (المتوفى: ١٢٢٤هـ)، المحقق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي - القاهرة، الطبعة: ١٤١٩ هـ.
١٧. البداية والنهاية: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

١٨. البيان في عدّ آي القرآن: عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (المتوفى: ٤٤٤هـ)، المحقق: غانم قدوري الحمد، مركز المخطوطات والتراث - الكويت، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
١٩. تاج العروس من جواهر القاموس: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
٢٠. التاريخ الكبير: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ)، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد - الدكن، طبع تحت مراقبة: محمد عبد المعيد خان، عدد الأجزاء: ٨.
٢١. التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، دار التونسية للنشر - تونس سنة النشر: ١٩٨٤ هـ، عدد الأجزاء: ٣٠.
٢٢. تذكرة الحفاظ: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، عدد الأجزاء: ٤.
٢٣. التسهيل لعلوم التنزيل: أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، بن جزي الكلبى الغرناطي (المتوفى: ٧٤١هـ)، المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٦ هـ.
٢٤. التعريفات: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ) المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان الطبعة: الأولى ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م عدد الأجزاء: ١
٢٥. تفسير أبي السعود إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
٢٦. تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن: محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الحسني الحسيني الإيجي الشافعيّ (المتوفى: ٩٠٥هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م، عدد الأجزاء: ٤.

٢٧. تفسير التستري: أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التستري (المتوفى: ٢٨٣هـ)، جمعها: أبو بكر محمد البلدي، المحقق: محمد باسل عيون السود، منشورات محمد علي بيضون / دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٣ هـ.
٢٨. التفسير الحديث [مرتب حسب ترتيب النزول]: دروزة محمد عزت، دار إحياء الكتب العربية - القاهرة، الطبعة: ١٣٨٣ هـ.
٢٩. التفسير الحديث: [مرتب حسب ترتيب النزول]: دروزة محمد عزت، دار إحياء الكتب العربية - القاهرة، الطبعة: ١٣٨٣ هـ.
٣٠. تفسير الراغب الأصفهاني: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢هـ) جزء ١: المقدمة وتفسير الفاتحة والبقرة تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسيوني الناشر: كلية الآداب - جامعة طنطا .
٣١. تفسير الشعراوي - الخواطر،: محمد متولي الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨هـ) ، مطابع أخبار اليوم عدد الأجزاء: ٢٠، نشر عام ١٩٩٧ م.
٣٢. تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار): محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: ١٩٩٠ م، عدد الأجزاء: ١٢ .
٣٣. تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي بن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ)، المحقق: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة - ١٤١٩ هـ.
٣٤. تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة: الثانية ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، عدد الأجزاء: ٨.
٣٥. تفسير القرآن: أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد المرزوي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ)، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس ابن غنيم، دار الوطن، الرياض - السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.
٣٦. التفسير القرآني للقرآن: عبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد ١٣٩٠هـ)، الناشر: دار الفكر العربي - القاهرة.

٣٧. التفسير القرآني للقرآن: عبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد ١٣٩٠هـ)، دار الفكر العربي - القاهرة.
٣٨. تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة): محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: ٣٣٣هـ)، المحقق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م، عدد الأجزاء: ١٠.
٣٩. تفسير الماوردي = النكت والعيون: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، المحقق: السيد بن عبد المقصود ابن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، عدد الأجزاء: ٦.
٤٠. التفسير المظهري: المظهري، محمد ثناء الله المحقق: غلام نبي التونسي، الناشر: مكتبة الرشدية - باكستان، الطبعة: ١٤١٢ هـ.
٤١. التفسير الموضوعي: مناهج جامعة المدينة العالمية، جامعة المدينة العالمية، عدد الأجزاء: ١.
٤٢. التفسير الميسر: نخبة من أساتذة التفسير، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - السعودية، الطبعة: الثانية، مزيدة ومنقحة، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م، عدد الأجزاء: ١.
٤٣. تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل): أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، عدد الأجزاء: ٣.
٤٤. التفسير الواضح الحجازي، محمد محمود، دار الجيل الجديد - بيروت، الطبعة: العاشرة - ١٤١٣ هـ.
٤٥. التفسير الوسيط للزحيلي: د وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الفكر - دمشق، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ عدد الأجزاء: ٣.
٤٦. التفسير الوسيط للقرآن الكريم: مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الناشر: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية الطبعة: الأولى، (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م) - (١٤١٤ هـ = ١٩٩٣ م)، عدد المجلدات: ١٠ مجلدات.
٤٧. التفسير الوسيط للقرآن الكريم: محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة الطبعة: الأولى.

٤٨. تفسير مقاتل بن سليمان: أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (المتوفى: ١٥٠هـ)، المحقق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٣ هـ.
٤٩. تكملة المعاجم العربية: رينهارت بيتر آن دُوزي (المتوفى: ١٣٠٠هـ نقله إلى العربية وعلق عليه: ج ١ - ٨: محمد سليم النعيمي، ج ٩، ١٠: جمال الخياط، الناشر: وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية الطبعة: الأولى، من ١٩٧٩ - ٢٠٠٠ م، عدد الأجزاء: ١١.
٥٠. توفيق الرحمن في دروس القرآن: فيصل بن عبد العزيز بن فيصل ابن حمد المبارك الحريملي النجدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الزبير آل محمد، دار العاصمة، المملكة العربية السعودية - الرياض، دار العليان للنشر والتوزيع، القصيم - بريدة، الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م، عدد الأجزاء: ٤.
٥١. تهذيب الكمال في أسماء الرجال: يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبلي المزني (المتوفى: ٧٤٢هـ)، المحقق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٠ - ١٩٨٠، عدد الأجزاء: ٣٥.
٥٢. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ) المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م .
٥٣. تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن: أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ.
٥٤. التيسير في أحاديث التفسير: محمد المكي الناصري (المتوفى: ١٤١٤هـ)، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م، عدد الأجزاء: ٦.
٥٥. جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، عدد الأجزاء: ٢٤.

٥٦. الجامع الكبير - سنن الترمذي: محمد بن عيسى بن سؤرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، المحقق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي - بيروت، سنة النشر: ١٩٩٨ م، عدد الأجزاء: ٦.
٥٧. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي المحقق: محمد زهير ابن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ، عدد الأجزاء: ٩.
٥٨. الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م، عدد الأجزاء: ٢٠ جزءا .
٥٩. دستور العلماء = جامع العلوم في اصطلاحات الفنون: القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري (المتوفى: ق ١٢هـ)، عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، دار الكتب العلمية - لبنان / بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠ م، عدد الأجزاء: ٤.
٦٠. رسالة ماجستير بعنوان: "أهداف ومقاصد وموضوعات سورة التوبة دراسة تحليلية" إعداد الطالب: حسن عبد الله الخطيب، إشراف د. عبد الكريم الدهشان، (ص: ٥٧-٥٩).
٦١. روائع التفسير (الجامع لتفسير الإمام بن رجب الحنبلي): زين الدين عبد الرحمن بن أحمد ابن رجب بن الحسن، السلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، جمع وترتيب: أبي معاذ طارق بن عوض الله بن محمد الناشر: دار العاصمة - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى ١٤٢٢ - ٢٠٠١ م، عدد الأجزاء: ٢.
٦٢. روح البيان: إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، المولى أبو الفداء (المتوفى: ١١٢٧هـ)، الناشر: دار الفكر - بيروت.
٦٣. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ، عدد الأجزاء: ١٦.
٦٤. زاد المسير في علم التفسير: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ.

٦٥. زاد المسير في علم التفسير: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ.
٦٦. الزاهر في معاني كلمات الناس: محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري (المتوفى: ٣٢٨هـ)، المحقق: د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢، عدد الأجزاء: ٢.
٦٧. زهرة التفاسير: محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ)، دار الفكر العربي، عدد الأجزاء: ١٠.
٦٨. سنن أبي داود: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - محمّد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م، عدد الأجزاء: ٧.
٦٩. سنن الترمذي: محمد بن عيسى بن سؤرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (ج ١، ٢) ومحمد فؤاد عبد الباقي (ج ٣) وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (ج ٤، ٥)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م، عدد الأجزاء: ٥ أجزاء.
٧٠. سنن بن ماجه: بن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي، عدد الأجزاء: ٢.
٧١. سير أعلام النبلاء: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، دار الحديث - القاهرة، الطبعة: ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، عدد الأجزاء: ١٨.
٧٢. شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية: أبو عبد الله محمد بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن شهاب الدين بن محمد الزرقاني المالكي (المتوفى: ١١٢٢هـ)، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، عدد الأجزاء: ١٢.
٧٣. شعب الإيمان: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار

- السلفية ببومباي - الهند، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م، عدد الأجزاء: ١٤.
٧٤. شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم: نشوان بن سعيد الحميري اليمني (المتوفى: ٥٧٣هـ)، المحقق: د حسين بن عبد الله العمري - مطهر بن علي الإيراني - د يوسف محمد عبد الله الناشر: دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان)، دار الفكر (دمشق - سورية)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، عدد الأجزاء: ١١.
٧٥. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م، عدد الأجزاء: ٦.
٧٦. صفة التفسير: محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.
٧٧. الطبقات الكبرى: أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: ٢٣٠هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م، عدد الأجزاء: ٨.
٧٨. علم المقاصد الشرعية: نور الدين بن مختار الخادمي، مكتبة العبيكان، الطبعة: الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
٧٩. عمدة القاري شرح صحيح البخاري: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني (المتوفى: ٨٥٥هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
٨٠. غرائب التفسير وعجائب التأويل: محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرمانى، ويعرف بتاج القراء (المتوفى: نحو ٥٠٥هـ)، دار القبلة للثقافة الإسلامية - جدة، مؤسسة علوم القرآن - بيروت، عدد الأجزاء: ٢.
٨١. غرائب القرآن و رغائب الفرقان: نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (المتوفى: ٨٥٠هـ)، المحقق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٦ هـ.

٨٢. غريب القرآن المسمى بنزهة القلوب: محمد بن عَزِير السجستاني، أبو بكر العُزَيْرِي (المتوفى : ٣٣٠هـ)، المحقق : محمد أديب عبد الواحد جمران، دار قتيبة - سوريا، الطبعة الأولى ، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م.
٨٣. غريب القرآن: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، المحقق: أحمد صقر، دار الكتب العلمية (علها مصورة عن الطبعة المصرية)، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م
٨٤. فتحُ البيان في مقاصد القرآن: أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي بن لطف الله الحسيني البخاري الفَنُوجِي (المتوفى: ١٣٠٧هـ) عني بطبعه وقدم له وراجعته: خادم العلم عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا - بيروت، عام النشر: ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م، عدد الأجزاء: ١٥.
٨٥. فتح القدير: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ) ، دار بن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٤ هـ .
٨٦. فقه الأدعية والأذكار: عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، الناشر: الكويت الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م، عدد الأجزاء: ٣.
٨٧. الفواتح الإلهية والمفاتيح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية: نعمة الله بن محمود النخجواني، ويعرف بالشيخ علوان (المتوفى: ٩٢٠هـ)، دار ركابي للنشر - الغورية، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م.
٨٨. في ظلال القرآن: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: ١٣٨٥هـ)، دار الشروق - بيروت - القاهرة، الطبعة: السابعة عشر - ١٤١٢ هـ.
٨٩. القاموس الفقهي لغةً واصطلاحاً: الدكتور سعدي أبو حبيب، دار الفكر. دمشق - سورية الطبعة: الثانية ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م.
٩٠. القاموس المحيط: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (المتوفى: ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م .
٩١. القيامة الكبرى: عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبيدار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة: السادسة، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.

٩٢. كتاب العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، عدد الأجزاء: ٨.
٩٣. الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار: أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: ٢٣٥هـ)، المحقق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩، عدد الأجزاء: ٧.
٩٤. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ، عدد الأجزاء: ٤.
٩٥. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية: أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: ١٠٩٤هـ)، المحقق: عدنان درويش - محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت.
٩٦. لباب التأويل في معاني التنزيل: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: ٧٤١هـ)، المحقق: تصحيح محمد علي شاهين الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٥ هـ.
٩٧. اللباب في علوم الكتاب: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ)، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م، عدد الأجزاء: ٢٠.
٩٨. لسان العرب: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين بن منظر الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ)، دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ، عدد الأجزاء: ١٥.
٩٩. لطائف الإشارات = تفسير القشيري: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: ٤٦٥هـ)، المحقق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر الطبعة: الثالثة.
١٠٠. اللطائف في اللغة = معجم أسماء الأشياء: أحمد بن مصطفى اللبائدي الدمشقي (المتوفى: ١٣١٨هـ)، دار الفضيلة - القاهرة، عدد الأجزاء: ١.

١٠١. محاسن التأويل: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)، المحقق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ.
١٠٢. المحكم والمحيط الأعظم: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي [ت: ٤٥٨هـ]، المحقق: عبد الحميد هندأوي الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م عدد الأجزاء: ١١
١٠٣. مختار الصحاح: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ)، المحقق: يوسف الشيخ محمد الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩ م .
١٠٤. مختصر إظهار الحق: محمد رحمت الله بن خليل الرحمن الكيرانوي العثماني الهندي الحنفي (المتوفى: ١٣٠٨هـ)، تحقيق واختصار: محمد أحمد عبد القادر ملكاوي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ.
١٠٥. مختصر تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل: عبد الله بن أحمد بن علي الزيد، دار السلام للنشر والتوزيع - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ .
١٠٦. مختصر تفسير بن كثير: (اختصار وتحقيق) محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت - لبنان، الطبعة: السابعة، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨١ م، عدد الأجزاء: ٣.
١٠٧. المخصص: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المحقق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م، عدد الأجزاء: ٥.
١٠٨. مخطوطة الجمل - معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن: حسن عز الدين بن حسين بن عبد الفتاح أحمد الجمل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٣ - ٢٠٠٨ م، عدد الأجزاء: ٥.
١٠٩. مراح ليبيد لكشف معنى القرآن المجيد: محمد بن عمر نووي الجاوي البنتني إقليميا، التتاري بلدا (المتوفى: ١٣١٦هـ)، المحقق: محمد أمين الصناوي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٧ هـ

١١٠. المستدرک علی الصحیحین: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه ابن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ - ١٩٩٠ م، عدد الأجزاء: ٤.
١١١. مسند الإمام أحمد بن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
١١٢. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، عدد الأجزاء: ٥،
١١٣. مشارق الأنوار على صحاح الآثار: عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن اليحصبي السبتي، أبو الفضل (المتوفى: ٥٤٤هـ)، المكتبة العتيقة ودار التراث، عدد الأجزاء: ٢.
١١٤. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ)، المكتبة العلمية - بيروت، عدد الأجزاء: ٢.
١١٥. معاني القرآن وإعرابه: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ)، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب - بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، عدد الأجزاء: ٥.
١١٦. معجم الشعراء: للإمام أبي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني (المتوفى: ٣٨٤ هـ)، بتصحيح وتعليق: الأستاذ الدكتور ف. كرنكو، مكتبة القدسي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م، عدد الأجزاء: ١.
١١٧. المعجم الكبير: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية - القاهرة، الطبعة: الثانية، عدد الأجزاء: ٢٥.
١١٨. معجم اللغة العربية المعاصرة: د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م، عدد الأجزاء: ٤.

١١٩. المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، الناشر: دار الدعوة.
١٢٠. معجم لغة الفقهاء: محمد رواس قلعجي - حامد صادق قنبيبي، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
١٢١. معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، المحقق: أ. د محمد إبراهيم عبادة الناشر: مكتبة الآداب - القاهرة / مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤ م.
١٢٢. معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، عدد الأجزاء: ٦.
١٢٣. مفاتيح الغيب = التفسير الكبير: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ.
١٢٤. المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٢ هـ.
١٢٥. الموافقات: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: ٧٩٠هـ)، المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، عدد الأجزاء: ٧.
١٢٦. موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور: أ. د. حكمت بن بشير بن ياسين، دار المآثر للنشر والتوزيع والطباعة - المدينة النبوية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، عدد الأجزاء: ٤.
١٢٧. موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور: أ. د. حكمت بن بشير بن ياسين، دار المآثر للنشر والتوزيع والطباعة - المدينة النبوية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، عدد الأجزاء: ٤.

١٢٨. موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: محمد بن علي بن القاضي محمد حامد بن محمد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (المتوفى: بعد ١١٥٨هـ)، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم تحقيق: د. علي دحروج نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني، الناشر: مكتبة لبنان ناشرون - بيروت الطبعة: الأولى - ١٩٩٦م، عدد الأجزاء: ٢.

١٢٩. نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي: أحمد الريسوني، دار العالمية للكتاب الإسلامي الطبعة: الثانية - ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م، عدد الأجزاء: ١.

١٣٠. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، عدد الأجزاء: ٢٢.

١٣١. الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه: أبو محمد مكي بن أبي طالب حمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: ٤٣٧هـ)، المحقق: مجموعة رسائل جامعة بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م، عدد الأجزاء: ١٣

١٣٢. الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه: أبو محمد مكي بن أبي طالب حمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: ٤٣٧هـ)، المحقق: مجموعة رسائل جامعة بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م، عدد الأجزاء: ١٣

١٣٣. الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دار الشامية - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ، عدد الأجزاء: ١.

١٣٤. الوسيط في تفسير القرآن المجيد: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل،

الدكتور عبد الرحمن عويس، قدمه وقرضه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، الناشر:
دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م، عدد
الأجزاء: ٤.

١٣٥. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن
أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: ٦٨١هـ)، المحقق: إحسان عباس، دار
صادر - بيروت.

١٣٦. <http://ar.wikipedia.org/wiki>

خامساً: فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
أ	آية
ب	إهداء
ت	شكر وتقدير
١	المقدمة
١	أولاً: أسباب اختيار موضوع البحث
٢	ثانياً: أهمية موضوع البحث
٢	ثالثاً: أهداف البحث
٢	رابعاً: الدراسات السابقة
٢	خامساً: منهجية الباحثة
٣	سادساً : خطة البحث
التمهيد	
٩	أولاً : مدخل إلى سورة الرعد:
١٢	ثانياً: مدخل إلى سورة إبراهيم:
١٥	ثالثاً: التعريف بالدراسة التحليلية لأهداف ومقاصد السورة:
الفصل الأول	
الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الرعد من الآية (١٩ إلى ٤٣)	
٢١	المبحث الأول: الدراسة التحليلية لأهداف ومقاصد سورة الرعد من الآية (١٩ - ٢٧) .

الصفحة	الموضوع
٢٢	المطلب الأول : صفات المؤمنين وجزاؤهم .
٣١	المطلب الثاني : صفات الكافرين وجزاؤهم.
٣٣	المطلب الثالث : سعة الرزق وتقتيره والهداية والضلال بيد الله.
٣٦	المبحث الثاني : الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الرعد من الآية (٢٨) إلى (٣٤).
٣٧	المطلب الأول : للرسول أسوة في تكذيب الأقسام لرسولهم.
٤٣	المطلب الثاني : مدح الله للقرآن وتفضيله علي سائر الكتب.
٤٨	المطلب الثالث : عقاب من استهزأ بالرسول وصد عن سبيل الله.
٥٢	المبحث الثالث : الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الرعد من الآية (٣٥) إلى (٣٩) .
٥٣	المطلب الأول : وصف الجنة ونعيمها.
٥٨	المطلب الثاني : خلاف أهل الكتاب في قبول ما أرسل للنبي من القرآن.
٦٣	المطلب الثالث : حال النبي ﷺ كسابقه من المرسلين.
٦٦	المطلب الرابع : إنزال القرآن محكماً معرباً شرف وتفضيل لرسول الله ﷺ.
٦٩	المطلب الخامس : الكلام عن المحو والإثبات.
٧٣	المبحث الرابع : الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الرعد من الآية (٤٠) إلى (٤٣).
٧٤	المطلب الأول : مهمة الرسول إبلاغ رسالة الله فقط.
٧٧	المطلب الثاني : قدرة الله في خراب القرى الظالمة.

الصفحة	الموضوع
٨١	المطلب الثالث : رد الله على مكر الكافرين يرد كيدهم وجعل العاقبة للمتقين.
٨٥	المطلب الرابع : إنكار الكافرين لرسالة النبي ﷺ وشهادة الله لرسوله بالنبوة والرسالة.
الفصل الثاني الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة ابراهيم	
٩٠	المبحث الأول : الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة إبراهيم من الآية (١ إلى ٨) .
٩١	المطلب الأول : القرآن الكريم يخرج الناس من الظلمات إلى النور.
٩٥	المطلب الثاني : الوعيد للكفار والذين يصدون عن سبيل الله.
١٠٠	المطلب الثالث : إرسال الله الأنبياء لهداية الناس.
١٠٥	المطلب الرابع : نعمة الله على بني اسرائيل.
١٠٩	المطلب الخامس : جزاء من شكر النعمة وجزاء من جردها.
١١٥	المبحث الثاني : الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة إبراهيم من الآية (٩ إلى ١٧) .
١١٦	المطلب الأول : كفر ومجادلة الأقسام للأنبياء.
١٢٢	المطلب الثاني : توكل الأنبياء على الله وصبرهم على إيذاء أقوامهم.
١٢٧	المطلب الثالث : بشرى هلاك الظالمين وعودة الأرض إلى أصحابها المؤمنين.
١٣١	المطلب الرابع : مظاهر لعقاب المجرمين في الآخرة.
١٣٥	المبحث الثالث : الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة إبراهيم من آية (١٨ إلى ٢٢) .

الصفحة	الموضوع
١٣٦	المطلب الأول : ضرب المثل لأعمال الكفار بالرماد.
١٣٩	المطلب الثاني: ضرب المثل في خلق السموات والارض بأنها أكبر من خلق النار.
١٤٣	المطلب الثالث : حوار بين الضعفاء والسادة يوم القيامة.
١٤٦	المطلب الرابع : خطبة الشيطان لأوليائه والتخلي عنهم.
١٥٠	المبحث الرابع: الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة إبراهيم من (٢٣ إلى ٣٤).
١٥١	المطلب الأول : صدق وعد الله للمؤمنين بالجنة .
١٥٤	المطلب الثاني : ضرب الله المثل للكلمة الطيبة والكلمة الخبيثة.
١٥٧	المطلب الثالث : تثبيت الله للمؤمنين في الدنيا والآخرة.
١٦٠	المطلب الرابع: التعجب للمبدلين نعمة الله كفرًا.
١٦٣	المطلب الخامس : أمر الله لعباده المؤمنين للصلاة والنفاق .
١٦٥	المطلب السادس : مظاهر نعمة الله الدالة على وحدانيته.
١٦٨	المبحث الخامس: الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة إبراهيم من الآية (٣٥ إلى ٤٦).
١٦٩	المطلب الأول : دعاء إبراهيم لأهله وأهل مكة بالخير.
١٧٤	المطلب الثاني : حمد إبراهيم لربه على رزقه الولد بعد كبر .
١٧٦	المطلب الثالث : دعاء إبراهيم له ولولده وللمؤمنين.
١٧٨	المطلب الرابع : إمهال الله للظالمين.

الصفحة	الموضوع
١٨٠	المطلب الخامس : موقف الظالمين يوم إتيان العذاب.
١٨٢	المطلب السادس : صفات الظالمين.
١٨٤	المبحث السادس : الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة إبراهيم من الآية (٤٧ إلى ٥٢).
١٨٥	المطلب الأول : نصره الله لرسوله في حياة الدنيا والآخرة.
١٨٧	المطلب الثاني : وصف لعذاب المجرمين يوم القيامة.
١٩٠	المطلب الثالث : القرآن بلاغ لجميع الخلق من إنس وجن.
١٩٢	الخاتمة : وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات.
١٩٢	أولاً: النتائج.
١٩٢	ثانياً: التوصيات.
١٩٤	الفهارس العامة: وتشتمل على الفهارس التالية:
١٩٥	أولاً: فهرس الآيات القرآنية.
٢٠٦	ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية.
٢٠٨	ثالثاً: فهرس الأعلام المترجم لهم.
٢٠٩	رابعاً: فهرس المصادر والمراجع.
٢٢٥	خامساً: فهرس الموضوعات.
٢٣٠	ملخص الدراسة باللغة العربية
٢٣١	Abstract

ملخص الرسالة بالعربية

(الدراسة التحليلية لمقاصد الأهداف الحزب السادس والعشرين من القرآن

الكريم لسورة الرعد من آية ١٩-٥٢ من سورة إبراهيم)

تناولت الباحثة فيها مقاصد وأهداف الحزب السادس والعشرون من سورة الرعد من الآية ١٩ وسورة إبراهيم، وجاء البحث في مقدمة، وتمهيد، وفصلين ورئيسين، وخاتمة وذلك علي النحو الآتي:

المقدمة: وتشمل أسباب اختيار الموضوع، وأهميته، وأهدافه، ومنهج البحث، والدراسات السابقة.

التمهيد: يبين الدراسة التحليلية، ومطالباتها، ومقاصد السور، وأهميتها، وطرق معرفتها، ومنسقات فيها .

وفيهما تعريف بسورتَي: الرعد، وإبراهيم، وبيان لمقاصدها، وجو نزولهما، وخطوطهما الرئيسة .

الفصل الأول: اشتمل علي أربعة مباحث تناولت مقاصد وأهداف (سورة الرعد من الآية ١٩ إلى الآية ٤٣).

الفصل الثاني: اشتمل على ستة مباحث تناول فيها مقاصد وأهداف سورة إبراهيم من آية (١-٥٢).

الخاتمة: تتضمن الخاتمة والتوصيات، وأخص بالذكر هنا:

١- أن يقوم المتخصصون في التفسير وعلومه بتقريب المعلومة إلى الناس بأقرب طريق، وأوجز عبارة، حتى تعم الفائدة .

٢- ربط التفسير التحليلي للآيات بالواقع، قدر الإمكان، حتى لا يبقى علم التفسير حبيس الكتب وعقول المختصين .

Abstract

Analytical Study of the Objectives and Purposes of Hizb 26 of Raad Surah and verses 19-52 from Abraham Surah

The researcher handles the objectives and purposes of Hizb 26 of Raad Surah from verse 19 and Abraham Surah. The research includes an introduction, preamble, two chapters and a conclusion.

The introduction includes the reasons behind choosing this topic, its importance, its objectives, the study approach and the literature review.

The preamble clarifies the analytical study, its requirements, purposes of Surahs, their importance and ways to recognize them. It also includes an introduction to Raad Surah and Abraham Surah. It presents the purposes of both surahs and the surroundings of them when they were sent down along with the main topics of them.

First Chapter: It includes 4 sections in which the objectives and purposes of Raad Surah from verse 19 to verse 43 have been discussed.

Second Chapter: It includes 6 sections in which the objectives and purposes of Abraham Surah from verse 1 to verse 52 have been discussed.

Conclusions and Recommendations:

- 1- Specialists in Exegesis of the Quran should work to convey the idea to people minds in as simple and brief way as possible so that benefit is generalized.
- 2- Connecting analytical exegesis of verses with reality as much as possible so that Exegesis of the Quran is not penned in books and minds of specialists.